مقارنة الأديان

(٢)

المسيحية

تأليف

الدكتور أحمد شلبي

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة

والحائز لوسام الجمهورية "وسام العلوم والفنون" من الطبقة الأولى



ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

مقارنة الأديان

٢

المسيحية

اقرا فى هذه الطبعة الموضوعات الخطيرة التالية :

١ ــ قضية الالوهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الاديان .
٢ ــ قضية رفع السيد المسيح الى السماء .
٣ ــ ماذا يقول القسس والمفكرون عن الحياة فى الاديرة .
٤ ــ اسطورة نقل رفات القديس مرقص من البندقية الى القاهرة .
٥ ــ خرافة ظهور السيدة العذراء فى كنيسة الزيتون والمعادى ...

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

الطبعة العاشرة ١٩٩٨

مع زيادات واسعة وتحقيقات مهمة



الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ولا تجادلوا اهل الكتـــاب الا بالتى هى احسن
الا الذين ظلموا منهم

وقولوا آمنا بالذى انزل الينـــا وانزل اليــكم ،
والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون ...

قرآن كريم

(سورة العنكبوت الآية ٤٦)

كتب للمؤلف

أولا : موسـوعة التاريخ الاسـلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء لتاريخ العالم الاسـلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى اسـهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ ـ الجزء الأول : (الطبعة الثانية عشرة)

ـ مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى ـ تفسير التاريخ ـ هل التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ ـ فائدة التاريخ ـ مراحل تدوين التاريخ ـ قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الاسـلامى ـ علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...
ـ تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر ـ حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .
ـ السـيرة النبوية العطـرة : جوانب من السـيرة تدون لأول مـرة
ـ الدعـوة الاسـلامية وفلسـفتها ـ عصر الخلفـاء الراشـدين

٢ ـ الجزء الثانى : (الطبعة السابعة)

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها .

٣ ـ الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين خلاله فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ ـ الجزء الرابع : (الطبعة السابعة)

ـ الأندلس الاسلامية ، وانتقال الحضـارة الاسلامية الى اوربا عن طريقهـا .
ـ المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ ليبيـا (من مطلع الاسـلام حتى العهد الحاضر) .
ـ السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ ـ الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

ـ مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .
(تدوين جديد لتاريخ مصر) .
ـ الحروب الصليبية : دوافعها ـ ادوارها ـ نتائجها .
ـ الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ — الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن :

— دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
مراكز الشمال — هجرات عربية وغير عربية — التجار — الطرق الصوفية — مراكز داخلية .

— الدول الاسلامية قبل الاستعمار الاوربى :
غانة — مالى — صنغى — دول الهوسا — برنو — باجرمى — واداى — الفونج — مقدشو — مملكة الزنج .

— الدول الاسلامية الحالية :
موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالى — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال — جيبوتى .

٧ — الجزء السابع : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

— دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
المملكة العربية السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الجنوبية — عمان — دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت .

— العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ — الجزء الثامن : (الطبعة الثانية)

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى الآن :

ايران — افغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — اندونيسيا الاقليات الاسلامية فى الهند والصين وروسيا والفيلبين .

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ — الجزء التاسع : (الطبعة الثالثة)

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب — عصر جمال عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ — الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر انور السادات . (عصر النجاح فى الشئون الخارجية والفشل فى الشئون الداخلية) .

(ترجمت اكثر اجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة اجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية ،

واجزاؤها هى :

١١ — الجزء الأول : تاريخ المناهج الاسلامية (الطبعة الرابعة)

مناهج التعليم فى صدر الاسلام — انحرافاتها فى عصور الظلام — وجوب تصحيحها (*)

١٢ — الجزء الثانى : الفكر الاسلامى : منابعة وآثاره (الطبعة السابعة)

١٣ — الجزء الثالث : السياسة (الطبعة السادسة)

فى الفكر الاسلامى

مع المقارنة بالنظم السياسية المعاصرة (*)

١٤ — الجزء الرابع : الاقتصاد (الطبعة السادسة)

فى الفكر الاسلامى

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة ، ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

١ — الاسلام والمسلمون فى مواجهة المشكلة الاقتصادية .

٢ — مبادىء الاسلام الاقتصادية .

٣ — الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة (شهادات الاستثمار ...) .

٤ — من تاريخ الاقتصاد فى الاسلام (بيت المال : موارده ومصارفه ...) .

٥ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيها .

١٥ — الجزء الخامس : التربية الاسلامية (الطبعة الثامنة)
نظمها — تاريخها — فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وامكنته ، ولحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والاجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكافؤ الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ — الجزء السادس : المجتمع الاسلامى (الطبعة السابعة)
اسس تكوينه .. اسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ — الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)
فى الفكر الاسلامى

— فى نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المراة ...

— وفى نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء ...

١٨ — الجزء الثامن : تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة الثالثة)
وتاريخ النظم القضائية فى الاسلام

مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع
ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ — الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)
فى الفكر الاسلامى (العلاقات الدولية)

بحث علمى يبرز موقف الاسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الاسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، واخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ — الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)
تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الاسلامية

كتب للمؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ، ومن التاريخ ، والحضارة ، وقصص القرآن : للأولاد والشباب والسيدات والرجال

ظهر منها الأجزاء التالية :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة : (١٦ جزءا)

ج ١ محمد قبل البعثة

ج ٢ من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام فى مكة)

ج ٣ الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات .

ج ٤ الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها

ج ٥ الرسول الداعية ومربى الدعاة

ج ٦ الرسول فى بيته : ازواجه — أولاده واحفاده — خدمه

ج ٧ الرسول فى بيته : مشكلات الحياة فى بيت الرسول وكيف عالجها

ج ٨ الرسول بين أصحابه — الرسول يربى الفرد المسلم — الرسول يربى المجتمع الاسلامى .

ج ٩ الرسول يربى القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام

ج ١٠ الرسول والشباب — الرسول والعمل

ج ١١ توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرمات للرسول — الرسول والمنافقون

ج ١٢ الرسول والنصارى — الرسول واليهود

ج ١٣ الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة أو بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — أهم احداث غزوة بدر

ج ١٤ غزوة احد والهزيمة التى أخافت المنتصر — غزوة الاحزاب وكلمة عن سلمان الفارسى

ج ١٥ صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء — غزوة مؤتة وبدء الصراع ضد الروم .

ج ١٦ فتح مكة — غزوة حنين والطائف — غزوة تبوك — الفترة الأخيرة فى حياة الرسول

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة : (٧ اجزاء)

ج ١٧ (١) ابو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التى واجهها
ج ١٨ (٢) عمر بن الخطاب والتوسع فى عهده — عمر بانى الدولة الاسلامية
ج ١٩ (٣) عثمان بن عفان : حياته واخلاقه والفتنة فى عهده
ج ٢٠ (٤) على بن ابى طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التى واجهها
ج ٢١ (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام
ج ٢٢ (٧) سعد بن ابى وقاص (٨) ابو عبيدة بن الجراح
ج ٢٣ (٩) عبد الرحمن بن عوف (١٠) سعيد بن زيد بن عمرو

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية : (٥ اجزاء)

ج ٢٤ نظرة عامة للقرآن الكريم — طريقة الوحى — نزول القرآن وتدوينه — أسماء السور وترتيبها — قراءات القرآن — فضائل القرآن — القرآن والعلم — فضائل قراءة القرآن وحكم التطريب فى ادائه والتكسب به .

ج ٢٥ خصائص القرآن والأصول التى جاء بها لخير الناس فى الدنيا والآخرة — اعجاز القرآن ومظاهر الاعجاز — معجزات الرسل فى ميدان المقارنة .

ج ٢٦ غير العرب والاعجاز البلاغى للقرآن — وجوه الاعجاز فى القرآن — مواجهة واقعية بين العرب والقرآن — التكرار فى القرآن : اسراره واعجازه .

ج ٣٤و٣٥ (ترقيم مؤقت ، وفى الطبعة الثانية ان شاء الله سيأخذان رقم ٢٧ و ٢٨ وتتسلسل الأرقام بعد ذلك) .

الأخلاق الاسلامية من القرآن الكريم

جمع الآيات القرآنية عن الأخلاق ، وتصنيفها ، وشرحها شرحا ميسرا

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم : (٧ اجزاء)

ج ٢٧ دراسات عن القصص فى القرآن — قصة اصحاب الكهف .
ج ٢٨ قصة الرجلين والجنتين — قصة ذى القرنين ويأجوج ومأجوج .
ج ٢٩ قصة موسى والخضر — قصة اصحاب الجنة .
ج ٣٠ قصة عزير — قصة ايوب عليه السلام .
ج ٣١ قصة قارون — قصة اصحاب الأخدود .
ج ٣٢ قصة اسماعيل عليه السلام .
ج ٣٣ قصة يوسف عليه السلام .

المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج الى انصاف :
(٤ اجزاء)

المجموعة السادسة : الاسلام والمراة :

(الأجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل اعداد « المكتبة الاسلامية » ضمن العدد الخاص بكتب للمؤلف)

كتب للمؤلف

ثالثا : مقــارنة الأديــان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الاديان ، تعتمد على ادق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق ، وتشمل :

٢١ — الجزء الأول : اليهـودية : (الطبعة السابعة)

— دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهـود فى التاريخ من عهد ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بنى اسرائيل، عقيدة بنى اسرائيل، يهوه اله بنى اسرائيل ، التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ...

— مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون .

— اليهود فى الظلام : الماسونية ، والروتارى ، الاغتيال ، التجسس ، البابية والبهائية .

— من صور التشريع فى اليهودية .

٢٢ — الجزء الثانى : المسيحية : (الطبعة الثامنة)

— المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة.

— بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ، طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والاديرة ، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الدينى ونتائجها ونقدهـا .

٢٣ — الجزء الثالث : الاسـلام : (الطبعة الثامنة)

— الله فى التفكير الاسلامى ، النبوة فى التفكير الاسلامى ، غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ، الدين المعاملة ، المراة فى الاسلام ، الرق وموقف الاسلام منـه ، السياسة والاقتصـاد فى الاسلام .

٢٤ — الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة السابعة)

« الهندوسية — الجينية — البوذية »

— تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات فى الهند ، الأديان فى الهند .

— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : بوجلواسستها ، كهتـا .

— اهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة الوجـود .

— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها .

كتب للمؤلف

رابعا : كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات اجنبية

كتب للمؤلف

سادسا : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

— برنامج شامل ميسّر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
— اول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
— دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
— تضم هذه السلسة الكتابين التاليين :

٤٦ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثالثة)
يبدا هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ، فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة فى القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملا فى هذه المرحلة موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من امهات الكتب العربية ثم صيغت فى أسلوب مناسب ، مع أسئلة وتمرينات مفيدة .

٤٧ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)
عرض لجميع ابواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضرورى للمثقف العربى وغير العربى

كتب نفدت ولن يعـــاد طبعها

٤٨ — فى قصور الخلفاء العباسيين :
اكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٤٩ — مصر فى حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .

٥٠ — الحكومة والدولة فى الاسلام :
واكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .

٥١ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى .

٥٢ — النظم الاقتصادية فى العالم عبر العصور واثر الفكر الاسلامى فيها .
واكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

محتـــويات الكتـــاب

مقدمة الطبعة الثـــامنة

يحس المؤلف بسعادة عندما تتكرر طبعات كتابه ، ولكن هذه السعادة لم تشغلنى عن شكر المعلم الأعظم الذى هدى لاختيار الموضـــوع ، ثم هدى لتخطيطه والقراءة له وتدوينه ، فاللهم أشكرك شكر من يعـــترف بأفضالك • وأثنى عليك ثناء من لا ينسى إلهامك وتوفيقك •

علم « مقارنة الأديان » يزدهر :

وقد أصبح علم مقارنة الأديان — بعد ما بذلتُ فيه من جهـــد — علما ذا بال في كثير من الجامعات ومعاهد العلم ، وقد سرنى أن دُعِيتُ لتدريسه بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر وشـــهدتُ اقبالا هائلا من الطلاب ، وسرنى أننى بذلك أديت بعض الدَّيْنِ لهـــذه الجامعـــة العريقـــــة •

كما أصبح هذا العلم أحـــد المواد التى تدرس بمعهـــد الدراسات الإسلامية الذي يضم مجموعة كبيرة من الطلاب الحاصلين على درجات جامعية ، من بينهم عـــدد كبير من الطلاب الوافدين من الدول العربيـــة والإسلامية ، وقد أُسْنِدَ لى تدريس هذا العلم بالمعهد ، وقد بلغ اقبال الطلاب على هذا العلم أقصى المدى •

وبدأت سلسلة مقارنة الأديان تترجـــم لعدة لغات رجاء أن يعـــم بهـــا النفـــــع •

العـــلم يتأثر بالســـياســـة :

وكان الرئيس السابق أنور الســـادات قد أعلن أنه ســـيبنى مجمّعا للأديان فى سيناء ، فكتبت إليه أذكر أن أبرز شىء يمكن أن يزْهـــر به هذا المجمّع أن تقيم معهدا لدراسة « مقارنة الأديان » وسرعان ما حول

الرئيس السابق خطابى لجامعة القاهرة لوضع منهج لهذا المعهد ، وتألفت لجان على مستوى عالٍ كنتُ عضوا فيها ، واجتمعنا وتدارسنا الأمر ، ووضعنا المناهج والخطط ٠ ٠ ٠ ٠ ولكن نهاية الرئيس وضعت نهاية لهذه المحاولة ، فغمرها النسيان ٠

وهكذا تأثر العلم والفكر بمجريات السياسة ، والأمر لله ٠

موقف المسيحيين من هذا الكتاب :

وقد قرأ عدد كبير من الأصدقاء والمواطنين المسيحيين هذا الكتاب ، وأشهد أن أغلبية هؤلاء كانت على جانب كبير من الثقافة والسماحة ، فأدركت الروح الطيبة التى لازمتنى وأنا أدون كل كلمة من كلماته ، كما رأت حرصى على الاعتماد على المراجع المسيحية وأنا أعرض أخطر القضايا فيه ، وقد اتصل الكثيرون من هؤلاء بى ، وأحسسنا دائما أن الفكر السليم يلاقى القبول ، وأن المجادلة بالحسنى تنتج أزهى النتائج ٠

ولكن من الحق أن أقرر أن بعض القراء من المسيحيين كانوا على ثقافة ضحلة أو بدون ثقافة على الاطلاق ، وواحد منهم أسمى نفسه « مينا الصعيدى »يعترف أنه لم يتعلم إلا مبادىء فى « الكُتَّاب » ويقول إنه مع هذا مستعد لمناقشتى وإقناعى ! ! ! ٠ ٠ ٠ ٠ ولم يسلم خطابه من كلمات خشنة وألفاظ لا تليق ٠

وهناك جماعة — ولا أقول فردا — أخذت ترسل لى خطابا كل يوم تقريبا يحوى كل خطاب ثلاث صفحات أو أكثر ، وتحمل الصفحات أرقاما مسلسلة ، وهى سلسلة من الشتائم والهجوم ، وطبيعى أننى لم أقرأ إلا سطورا قليلة جدا ثم توقفت عن القراءة ، وأحيانا لم أفتح الرسالة لأنى عرفت خط المرسلين ٠

وينبغى أن نصرف النظر عن هؤلاء ، ونعود للأغلبية التى لاقيت منها كل ترحيب وتشجيع ، وهم من عِلْيَةِ المسيحيين وأعلاهم مركزا

ومكانة ، ومن بين ما يذكر هنا بالتحديد أنَّ لقاء واسعا جمعنى بأعضاء نادى الروتارى فى شهر رمضان المعظم (١٤٠٤هـ) وقد دعيت لهذا الاجتماع لأتحدث عن آداب الصيام وحكمته • • • • ومع أنى لا أنتسب لنادى **الروتارى ولا لأمثاله من الأندية التى أعتقد أنها مؤسسات صهيونية ،** مع هذا فقد قبلت الدعوة لأتحدث لهذا الجمع عن الإسلام ، وقد تعودت ألا أرفض أى لقاء للحديث عن الإسلام رجاء أن تحمل كلماتنا الهداية للبشر ، وأنا فى موقفى هذا أتأسَّى بالرسول صلوات الله عليه ، الذى استقبل نصارى نجران وفرش لهم عباءته وتحدث إليهم ، واستقبل عدى بن حاتم وكان قد اعتنق النصرانية وتحدث إليه •••• والمهم أننى فى حديثى لجماعه الروتارى ذاك المساء وُجِّهَ إلىَّ سؤال من مواطن مسيحى من أرقى المستويات الثقافية والسياسية بمصر ، والسؤال هو : ما رأيك فيما يظهر من صراع أحيانا بين المسلمين والمسيحيين ؟ وما الموقف الذى ترى أن الإسلام وضعه للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ؟

وأجبت بأن القرآن الكريم حوى الإجابة الواضحة لهذه العلاقة ، وهى قوله تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » • (آل عمران ٦٤)

واستمرت الإجابة تدور حول شرح هذه الآية الكريمة ، وقد لاقت هذه الإجابة قبولا حسنا من السامعين وأثنى عليها كبار المسيحيين الحاضرين •

دعوة لقراءة هادئة لهذا الكتاب :

إننى أدعو كل مسيحى أن يقرأ هذا الكتاب بهدوء وتؤدة ، فقد كتبته وأنا فى قمة الهدوء والتؤدة ، وقد تلقيت بذور هذا العلم فى جامعة كمبردج بانجلترا ، وكانت الحيدة التامة دستور الدراسة فى هذه المادة •

وأدعو كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب كذلك بإمعان ، ففى الماضى

كان المسيحيون يعرفون الكثير عن القرآن الكريم ، ويحفظون بعض آياته لهدف أو لآخر ، ولكن المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئا عن المسيحية ولا عن اليهودية ولا عن العهد القديم أو الجديد وذلك نقص كبير ينبغى أن نتداركه فى حاضرنا الثقافى ، فالأديان السماوية من مصدر واحد ، ومعرفة حلقة من حلقاتها دون الإلمام بالحلقات الأخرى يعد نقصا كبيرا لدى المثقف الواعى .

وفى هذه الطبعة من هذا الكتاب زيادات واسعة ومهمة ، سيطالعها القارىء من أول لقائه بالكتاب ، وهي زيادة تعتبر اعادة تخطيط للكتابة عن المسيحية ، وأرجو أن يكون فيها مزيد من النفع للقارىء الذى نعيش له ، ونبذل غاية الجهد لإرضائه ، لعلنا بذلك نكافىء إقباله الكريم .

وأخيرا فإنى أتجه إلى الله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه ، وهو سبحانه نعم المجيب .

دكتور أحمد شلبى

المعادى فى الخامس من سبتمبر سنة ١٩٨٤ .

مقدمـــــة عامـــة

منـــاجاة :

يارب •• فى مطلع هذا العمل يطيب لى أن أتوجـه إليك ، أعترف بفضلك ، وأشكر نعمتك ، وأستلهم رضاك •

يارب • • • إياك أعبد وإياك أستعين ، فكن معى وأنا عبدك ، وكن لى وأنا أســتعين بك •

يارب • • • إن أوزار الأرض وأثقال الحياة تَشدُّنى وأنا أسعى إليك وتحاول أن تقصِّر خطواتى وأنا أجاهد لإرضائك ، فساعدنى يارب لأتغلب عليها ، وأنتزع منها نفسى ، لأظل فى طريقى إليك أناضل وأكافح •

يارب • • • إنى أعرف أن ثقة الناس تستلزم مزيداً من الجهـد ، وإقبال الناس يستدعى مضاعفة الطاقة ، فامددْنى يارب بالقوة والعون ، لأزيد من جهـدى وأضاعف من طاقتى •

يارب • • • ليس إلا أنت الذى يعرف مدى إخلاصى فى عملى ومدى العناء الذى ألاقيه فى سبيله ، ولستُ — لهذا — أرجو الجزاء إلا منك ، فإنك لا تضيع أجـر من أحسن عمـــلا •

يارب • • • كثيرون من الناس يكافحـون من أجلك بســيوفهم ، وكثيرون يكافحون من أجلك بأموالهم وبجاههم ، ولا أملك يارب إلا قلمى ولسانى ، فاقبل يارب كفاحى بهما ، وبارِكْهُ ، واجعل له أحسن النتائج •

وآخرون يا رب ••• أعمتهم الدنيا فراحوا بأسـلحتهم وأمـوالهم يعارضون تعاليمك ، ونحن ضد هؤلاء فى ميدان حرب ، فكن معنا يارب فى هذه المعركة ، عاوِنّا بوسائلك الظاهرة والباطنة حتى نكسب النصر ، ونرفـــع عـــلم الحق •

يارب • • • يارب • • •

أكثر الأديان تعقيـــدا :

وتكاد المسيحية تكون أكثر الأديان السماوية والوضــعية تعقيداً ، وقد علّمها عيسى عليه السلام ديناً بسيطاً سهلا ، ولكن التعقيد طرأ عليها بعد ذلك ، حتى أصبح عسيراً جدا فهم كثير من مبادئها ، وحتى أصبح غموضها طبيعة واضحة فيها ، ويقول Roland Binton **إن المســيحية بدأت بسيطة ولكن الناس عقّدوها بعقائد صعبة عصفت بها[1] •**

وقــد كُلّفت بتدريس مادة مقــارنة الأديان فى عــدة جــامعات بإندونيسيا ، وكان طبيعياً أن أختار من الأديان الســماوية والوضــعية ما يناسب البلاد التى أعمل فيها ، ومن ثمّ كانت المســيحية والبــوذية موضوع محاضراتى هناك ، وكنت أريدها محاضرات فقط ثم رأيت التبشير بإندونيسيا يقوى وينتشر ، فاستلزم ذلك طبع هذه المحاضرات ونشرها باللغة الإندونيسية ، ثم عدتُ لقراءة هذه المحاضرات وإعدادها إعــدادا يناسب الطبع والنشر بمختلف اللغات •

محاضرات ومناظـــرات :

وكانت محاضراتى عن المسيحية فى إندونيسيا تلقى إقبالا كبيرا من الطلاب والمثقفين ، وكان بعض المشتغلين بالدراسات الدينية يتتبعون هذه المحاضرات بعناية ، ثم حدث أن تلقيت خطابا من جامعة مسيحية للتخصص فى الدراسات اللاهوتية مقرها Tjijirog على بعد حوالى مائة كيلو متر من جاكرتا عاصمة إندونيسيا ، وكان هذا الخطاب دعوةً من أساتذة هذه الجامعة إلى مناظرة علمية عن الأديان وبخاصة عن الدين الإسلامى ، فقبلتُ الدعوة على الفور ، وحدد الثالث عشر من شهر يونيو سنة ١٩٥٩ موعدا لهذه المناظرة ، فذهبت فى الموعد المحدد إلى مقر هذه الجامعة حيث تجمّع الأساتذة وكلهم غربيون وحضر بعض الطلاب الاندونيسيين وبعض

(١) The Church From the Biginning up to the 20 the Century.

المشتغلين بهذه الدراسات ، وجمهور كبير من الناس ، وقد استغرقت هذه المناظرة عدة ساعات ، تلقيت خلالها عددا من الأسئلة عن الدين الإسلامى ، ويمكن القول بقوة إن التوفيق حالفنى إلى أبعد حد ، فانتزعت إعجاب الحاضرين لا بشخصى ولكن بالدين الإسلامى وبدعوته الرشيدة •

فلما جاء دورى لأسأل قدمت بعض أسئلة عن الدين المسيحى فجاءت الإجابة عنها من المسيحيين متهافتة أو قل لم تكن هناك إجابة علمية على الإطلاق •

وطلب منى بعض الحاضرين من المسلمين أن أكتب موجز هذه المناظرة وأذيعها ، ولكنى فضلت أن تكون الكتب التى أنشرها شاملة ، لا خاصة بأسئلة المناظرة واتجاهاتها ، فأعددت ضمن سلسلة مقارنة الأديان كتابين أحدهما عن الإسلام والثانى هو هذا الكتاب عن المسيحية• وكتابى عن المسيحية هدية للمسلمين والمسيحيين على السواء • إنه أبحاث علمية لا دينية ، أبعدتها بقدر الطاقة عن محيط العاطفة ، ولعلى قد نجحت فى ذلك وأرجو أن يكون — مع أمثاله من الأبحاث — نورا يهدى السبيل •

هذا الكتاب ليس رداً على الكتب التى هاجمت الإسلام :

وأحب أن أقرر أن المراجع المسيحية التى بين يدى تتعرض كثيرا بالغمز بل بأكثر من الغمز أحيانا لديننا الحنيف ، وبعضها يهاجم القرآن الكريم ويهاجم محمداً صلوات الله عليه ، وقد طبع بعض هذه الكتب فى القاهرة ، ولكنى مع هذا لم أرد أن أجعل من كتابى هذا وسيلة للرد على هؤلاء وتفنيد آرائهم ، بل سرت فى دراستى سيراً مستقيما علمياً لاعاطفياً، فعرضت المسيحية من مراجعها الأصلية عرضاً أعتقد أنه إلى الكمال أقرب •

واتجاهى يميل إلى عدم الإشارة للكتب التى كتبها مسيحيون

وهاجموا فيها الإسلام ، ولكن هناك كتابا بلغ الغاية فى انحراف، وترجمه وجهله ، وأجدنى مضطرا للإشارة إليه ، ذلك هو كتاب « الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة » للأسقف الأنبا ايسيذورس ، وقد طبع بمطبعة قاصد خير بالفجالة سنة ١٩٦٤ برعاية البطريرك كورلس السادس ، وهو مودع بدار الكتب (رمز ه رقم ٤٦٤٥) ، ومع أن قرارا صدر بعدم تداوله ، فان من السهل أن تحصل على نسخة منه بالشراء أو الاستعارة ، وقد قرأت بعض صفحاته (مثلا جـ٢ ص ٩١ وما بعدها) فوجدت كلاما يجمع البذاءة والجهل ، وإنى لأتساءل كيف أجيز طبع هذا الكلام فى بلد العلم والإيمان ؟

والإجابة فى تقديرى سهلة ، فقد طبع هذا الكتاب فى عام شهد قسوة الحكام الظالمين على الإخوان المسلمين ، أريقت فيه دماؤهم ، وعذبت أجسامهم ، وسيقوا الى السجون والمعتقلات بدون حق وبدون ذنب ، وعندما خفتَ صوت المسلمين ارتفع وعربد صوت الجهلة المتعصبين من المسيحيين وتملقتهم السلطات الحاكمة التى كان يتزعمها عبد الناصر ، فغضت النظر عن كلامهم فى عهد كان الرقيب يرى كل كلمة قبل أن تنشر • يا لله • ! !

المراجع المسيحية أساس هذا الكتاب :

وقد عُنيتُ فى هذا الكتاب عناية خاصة بالمراجع التى كتبها مسيحيون ليكون حديثى عن المسيحية أقرب بقدر الإمكان الى اعتقاد المسيحيين ، ومن أهم المراجع التى اعتمدت عليها « الكتاب المقدس » أى العهد القديم والعهد الجديد ، وقد قدم الكتاب المقدس مادة ضافية لهذه الدراسة ، وكان عمادا كبير الشأن أقمنا عليه صرح هذا البحث ، ويجىء بعد الكتاب المقدس كتاب باللغة الإندونيسية أصدرته الكنيسة الكاثوليكية وتقوم بتوزيعه ، وعنوانه :

Pengadjaran Geredja Katolik

أى « تعاليم الكنيسة الكاثوليكية » وهو دراسة دقيقة لحالة الكنيسة والتعاليم التى تتبعها ، وتاريخ هذه التعاليم •

ومن الكتب والأبحاث الغربية الهامة التى اعتمدت عليها ما يلى :

Berry : Religions of the World
Harnack : What is Christianity
William Patoun : Great Religions of the World
Encyclopaedia of Religions and Ethics.
Encyclopaedia Britannica.
Wells : A Short History of the World.

وكتب المسيحيون الشرقيون مجموعة من الكتب كانت من أهم مراجعنا مثل :

القس بولس سباط : المشرع .
القس ابراهيم سعيد : تفسير بشارة لوقا .
« بوطر : الأصول والفروع :
حبيب سعيد : أديان العالم الكبرى .

وهناك كتاب اسمه « الإنجيل والصليب » كتبه السيد عبد الأحد داود ، وهو قسيس مسيحى اعتنق الإسلام ، ولذلك يكتب عن المسيحيه عن خبرة وعمق ، وكان اقتباسى من هذا الكتاب محدوداً لأنى أدركت أن مثل هذا الكتاب قد يتحدى المسيحية ، وقد يحاول من طريق أو آخر أن يهجم عليها بسبب انتقاله من منصبه المقدس الى عامة المسلمين ، ولهذا اقتصرت فى الاقتباس منه على الأمور العقلية والأفكار المنطقية الواضحة، ولا شك أنه كان لى كبير الفائدة .

ومن الأبحاث العلمية التى كتبها باحثون مسلمون كتاب « الاسلام والمسيحية مع العلم والمدنية » للإمام محمد عبده وهو دراسة جيدة توضح دور الإسلام فى خدمة الحضارة وأن ليس للمسيحية دور فى هذا المجال ، ثم يجىء كتاب « محاضرات فى النصرانية » للأستاذ محمد أبو زهرة ، وهو بحث رائع استفدت منه كثيرا فى هذه الدراسة التى أقدمها ، كما استفدت من كتاب الأستاذ السيد محمد رشيد رضا « شبهات النصارى وحجج الإسلام » فوائد ذات بال .

وهناك مجموعات أخري كثيرة من الكتب سيجدها القارىء بين طيات هذا البحث ، على أنى بطبيعة الجال لم أكن جامعاً فقط وإنما كنت كذلك باحثاً مفكراً ، فكنت أنقد ، وأقترح ، وأبسط رأيى تقريبا فى جمع النقاط التى شملتها هـذه الدراسـة .



وهذه هى الطبعة الثامنة من كتاب « المسيحية » وإذا كنت أطمع فى رحمة من الله يوم لا ظلّ إلا ظله ، فهذا الكتاب هو أهم وسائلى لهذه الغاية ، إنه القربى التى أمسكها بإحدى يدىّ وأمسك كتاب «الإسلام» باليد الأخرى وألوّح بهما فى شكر وتواضع ، ذاكراً أنهما ساعدا على تقديم الهداية لملايين البشر ، وإنقاذهم من التبشير ووسائله ، فقد عشت سنوات فى آسيا ورأيت التبشير المسعور يعم كل الأرجاء ، يحـاول أن يجتذب للمسيحية ملايين البشر من الذين وصـفتهم فى كتابى « أديان الهند الكبرى » (١) بأنهم ذوو قلوب فارغة ، لم تستطع البوذية أن تحتفظ بها ، ولا استطاعت اللادينية أن تقنعهـا .

المسيحية السـياسـية :

ودخول هؤلاء المسـيحية ليس خطـرا ضـدنا من الناحية الدينية فحسب ، ولكنه خطر سياسى واقتصادى أيضاً ، فإن المسيحية التى يعلمها هؤلاء المبشرون ليست المسيحية التى جاء بها عيسى عليه السلام ، إنما هى المسيحية التى نسميها « المسيحية السياسية » التى ترمى أولا الى ربط آسيا وإفريقية بعجلة الغرب عن طريق نشر الدين ، وترمى ثانيـا الى خلق فكر مسيحى يقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامى فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدولية (٢) .

---

(١) ص ١٩٠ .

(٢) اقرأ ما كتبناه بهذا الكتاب تحت عنوان « الكنيسة فى خدمة السياسة الغربية » وما كتبناه فى الجزء السادس من موسوعة التـاريخ الاسلامى عن « الاستعمار والاديان » .

ضعف التجمع الاسلامى بآسيا وأفريقية بعد الاستقلال ! ! :

وقد انتهى الاستعمار السياسى فى هذه البلاد ، ولكنه يحاول أن يستعيد نفوذه بطريق المبشرين ، وأحيانا بطريق عملائه من السكان الأصليين • وكان كثير من السكان الأصليين يتجمعون حول راية الإسلام إبان الصراع للتحرر ، اذ كانت المسيحية تعد دين المستعمر ، والإسلام دين المقاومة ، فلما انتهى الاستعمار خفت صوت التجمع الاسلامى أحيانا وضعفت شوكته ، وزاد التجمع لنشر المسيحية وكثرت وسائله •

وسائل نشر المسيحية بآسيا وافريقية :

وبمناسبة الحديث عن وسائل نشر المسيحية بالشرق الأقصى وبقلب إفريقية أعدد هنا بعض هذه الوسائل تعدادا سريعا :

— وفود العلماء اللاهوتيين المبشرين •

— الرجال الذين يعملون بالسلك الدبلوماسى ولهم دراسات لاهوتية (مع ملاحظة أن أكثر الدبلوماسيين المسلمين لا يعرفون الفكر الإسلامى) •

— الكتب اللاهوتية التى تباع بأرخص الأسعار ، وتقدم هدايا فى كثير من الأحوال •

— المجلات الدينية التى توزع بدون ثمن •

— نشرات التبشير ونسخ الكتاب المقدس التى تصرف مجانا •

— المستشفيات المسيحية التى توجد فى كل مكان •

— المدارس المسيحية التى توجد فى كل مكان •

— البعثات التى تخصص لخريجى الجامعات والمعاهد وتمنحهم الشهادات بسرعة وتعيدهم لأسمى المناصب •

— البعثات السريعة التى يدعى لها مئات الصبيان [من سن ١٦ الى سن ١٨] لزيارة أمريكا أو ألمانيا مدة بضعة شهور ويلقى خلالها هؤلاء الصبيان ما يفسد عقائدهم •

— الإذاعات التبشيرية التى تنطلق فى قلب أفريقيـة ، وفى بعض المناطق بالشرق الأقصى •

ويؤسفنى أن أقرر أن المسلمين لم يعملوا شيئا ذا بال لمقاومة هذه الحركة التى ستعود بالخسارة علينا وعلى بلادنا إن لم نوقف تيارها •

نشاط تبشيرى فى البلاد الاسلامية الكبرى :

ومن أشنع ما نذكره هنا أن النشاط التبشيرى فتـح له جبهات فى البلاد الإسلامية ، ليفسد الجيل القادم من المسـلمين ، وليشـغلنا عن مقاومته فى الجبهات الخارجية ، ومما يستحق الثناء أن السلطات المسئولة بجمهورية مصر العربية تقف صارمة ضد ما يُكتشف أمره من هذه الحركات فقد علمتُ أن قسا أجنبياً كان يعيش هنـا ، وكان يمـارس ألواناً من النشاط الضارّ ، ولما اكتشفت السـلطات المسـئولة خـبره أمسكت به ووضعته فى الحال فى طائرة غادرت به بلادنا على ألا يعود اليها ، وأرجو أن يضاعَف هذا الجهد فى جمهوريتنا ، وفى السودان ، والباكسـتان ، وغيرهما من الأقطار الإسلامية ، ليوقف الى الأبد هذا الصوت التبشيرى الأثيـم •

ولم أَنِ فى كل كتبى وتقـاريرى الرسمية عن التنبيه لخطر هـذا التبشير ، ولا زلت أفعل ، وهذه السطور صورة من صور التنبيه ، فأرجو أن تتجه العنـاية لمقـاومة التبشـير ، على الأقل بترجمـة بعض الكتب الإسلامية الممتازة الى اللغات المختلفة ، وإرسال بعض المبعوثين الأفذاذ لا ليعلموا الفقه واللغة فحسب ، بل لينشروا الإسلام ويقاوموا الحركات المضـادة له :

* * *

اضافات جديدة فى كل طبعـة :

وقد بذلتُ أقصى الجهد لأضيف الى كل طبعة الجديد مما أصـل اليه من معلومات نتيجة القراءة المتصـلة ، ففى الطبعة الثانيـة أضفت

إضافات واسعة جعلت الكتاب كأنه كتاب جديد ، إذ كانت تلك الطبعة غنية بمراجع كثيرة عثرت عليها بعد ظهور الطبعة الأولى ، وغنية أيضا بأبواب جديدة • وبتنظيم جديد ، ومن الكتب التى انتفعت بها فى الطبعة الثانيـة ما يلى :

Pagan Christs by Dr. Robertson.
The Sources of Christianity by Kamal - uldin
The Life of Buddha by Edward Smith

يسوع المسيح للأب بولس إلياس •
تاريخ الأقباط للاستاذ زكى شنوده •
المسيحية فى الإسلام للقس ابراهيم لوقا •
وغيرها • • • •

خـرافات وأوهـام :

وبمناسبة الحديث عن الكتاب الأخير أذكر أن بعض المسيحيين قاموا بما يلزم أن نسميه « حديث خرافة » إذ أصروا على ربط المسيحية بالإسلام ، وعلى الاعتقاد بأن الإسلام بل القرآن الكريم أجاز المسيحية على حالها بما فيها التثليث ، وأن المسيح سيحاسب الناس يوم الدين ، وأن المسيح مصدر الحيـاة • • •

فالقس بولس سباط يروى قوله تعالى :

— إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين (١) •

— وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (٢) •

ويعلق عليهما بقوله بالحرف الواحد (فكأنى بصورة التثليث قد انعكست على مرآة القرآن فأبرزها بهاتين الآيتين) (٣) •

---

(١) سورة آل عمران الاية ٤٥ •
(٢) سورة البقرة الاية ٨٧ •
(٣) المشرع ص ٢٥ •

وردّنا عليه هو أن هذا القول ليس إلا خرافة لا تستحق الذكر ، فليس فى الآيات الكريمة ما يفيد التثليث من قريب أو بعيد ، وحاشا لذلك أن يـــكون .

أما القس ابراهيم لوقا فكتابه كله من هذا اللون ، وعلى هذا فليس إلا حديث خرافات متصلة ، وليس إلا ضلالات بعيدة كل البعد عن المنطق والفكر السليم ، وأورد على هذا مثالا واحداً ليرى القارىء اتجاه هــذا المؤلف (١) .

عقيدة المسيحيين	تصريحات المسيحية	تصريحات الإسلام
المسيح مصدر حياة	نا هـــو القيـــامة والحيـــاة ، ن آمن بى ولـــو مـــــات سيحيا ، انجيـــل يوحنـــا ١١ : ٢٥)	إنمـــا المسيح عيسى بن مـــريم رسول الله وكلمته ، ألقـــاها إلى مريم وروح منه (سورة النساء الآية ١٧٠)

ولست أدرى كيف توحى هذه الآية الكريمة بأن المسيح مصدر حياة ومبعث الكون ، مع أن الآية تنص بوضوح عـــلى أن الله خلق عيسى من مريم بعد أن ازدهر الكون وعمر ؟

وقريب من هذا ما كتب لى به أحد المسيحيين المثقفين ، فقد اقتبس فقرات من الأناجيل وآيات من القرآن الكريم يرى أن معناها تكرار لمـــا جاء فى فقرات الأناجيل ، وسألنى : ألا يعد ذلك اقتباسا من الأناجيل .

وأجبته بالتـــالى :

أولا — إن المقارنة فيها كثير من التعسف ، والفكر القرآنى بعيد عن ما ورد فى الأناجيل فى أكثر الحالات التى أوردها هذا الكاتب .

(١) المسيحية فى الاسلام ص ٩٦ .

ثانيا — اذا صح أن هناك تشابها بين الآيات القرآنية وفقرات الأناجيل أحيانا فإن سبب ذلك أن الدينين من عند الله ، ومن الممكن أن تكون هناك نصائح وتوجيهات خلقية وردت فى الأناجيل ثم كررت بشكل ما فى القرآن الكريم لإرشاد البشر فى كل زمان ومكان ، بل إن القرآن الكريم قد تكررت به آيات لهذا الغرض ، حتى اذا غفل القارىء عن معنى آيةٍ مرةً قابلته مرة أخرى .

ثالثا — هناك جوانب حضارية كانت خاصة بالاسلام فالنظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتربوى .... الذى ورد فى القرآن لم يرد له نظير من قبل ، وينحصر التشابه فى الأمور الأخلاقية .

ومن الحق أن أذكر أنه ردَّ على إجابتى بأدب جم وبالكثير من الاقتناع .



وقد حفلت الطبعة السادسة من هذا الكتاب بالجديد نتيجة قراءات واسعة لما كتبه بعض مشاهير المفكرين المسيحيين الذين اتخذوا فى كتاباتهم عن المسيحية موقف الباحث العالم لا موقف المتعصب الجامد .

وفى الطبعة السادسة كذلك دراسة اقتبستها من باحث مسيحى عن خرافة ظهور العذراء ، وعن خدعة ما عُرِف بنقل جثمان القديس مرقص من البندقية للقاهرة ، ودراسة مثيرة عن الحياة فى الأديرة .

وفى هذه الطبعة (الثامنة) زيادات واسعة أشرنا لها فى مقدمتها بصدر الكتاب .

وأرجو بذلك أن أكون متتبعا بصدق وأمانة للأحداث وللدراسات حول دين السيد المسيح عليه السلام .

وبعد ، فهذه الطبعة أقدمها للقارىء وللمجتمع ، راجيـاً أن يكون فيها هدى ونور لبنى الإنسان ، وأن يكون فيها مرضاة للخالق العظيم •

ودعاء يارب من الأعماق أن تجعل هذا الكتاب خالصا لوجهك الكريم وأن تكثر به النفع ، إنك سـميع الدعاء •

دكتور أحمد شلبى

موجز عن مسـيرة المسيحية

إن مطالعتنا للأناجيل تقدم لنا عرضا واضحا لسَيْر دعوة المسيح عليه السلام ، وإنجيل متى — فى تقديرى — أكثر الأناجيل وضـوحا ، ومنه نقتبس بعض الفقرات التى تصور لنا مسيرة هذه الدعوة :

نجـــاط الدعـــوة :

كان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم فى المجامع ، ويَكْرِز (يبشّر) بملكوت الله ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب ، فذاع خـبره فى جميع سورية ، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين ، فشفاهم ، فتبعته جمـوع كثيرة من الجليل والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن(١) .

عظـــة الجبـــل :

صعد يسوع الجبل ، وتقدم اليه تلاميذه ، ففتح فاه وعلمهم قائلا: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى لأنهم يتعزَّوْن ، طوبى للوُدَعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع والعطش الى البرّ لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون ، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعايِنُون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم يُدْعَوْن أبناء الله ، طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات (٢) .

أخــــلاقيات :

هناك صور طيبة من الأخلاقيات أوصى بها السـيد المسيح ، وإذا كانت المسيحية خلت تقريبا من التشريعات ، فإنها حفلت بالأخلاقيات ،

---

(١) متى : ٤ : ٢٣ — ٢٥ .
(٢) متى ٥ : ١ — ١٠ .

ولكن للأسف نسى أكثر المسيحيين القدماء والمحدثين هذه الأخلاقيات تماما ، تعال بنا نعرض بعضها بإعجاب ، ونأسف لإهمالها :

— سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث ، بل أَوْفِ للرب بقسمك ، **وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا ألبتة ٠٠٠٠ وليكن كلامكم نعم أو لا (١) ٠**

— **لا تكونوا كالمرائين ، الذين يحبون أن يُصلّوا حتى يقال أنهم يُصلّون ، الحق أقول لكم إن هؤلاء استوفوا أجرهم (٢) (بحديث الناس عنهم) ٠**

— إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوى ، وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم (٣) ٠٠٠٠ ولا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض ٠ حيث يُفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ٠٠٠٠ انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع فى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها (٤) ٠

— سأله الفريسيون (طائفة من اليهود) : لماذا تأكل مع الخطاة والمذنبين ؟ فأجاب : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب بل المرضى (٥)

ضد اليهود :

عانى السيد المسيح أشد عناء من طوائف اليهود ، ومع الخلاف بين هذه الطوائف (الكهنة والفريسيون والصدقيون) فإنهم جميعا اتفقوا على محاربة دعوة المسيح والوقوف منها موقف هجوم وصراع ، ولذلك

---

(١) متى ٥ : ٢٣ — ٢٧ ٠
(٢) متى ٦ : ٥ — ٧ ٠
(٣) متى ٦ :
(٤) متى ٦ : ١٤ ، ١٩ — ٢٠ ، ٢٦ ٠
(٥) متى ٩ : ١١ — ١٢ ٠

هاجمهم السيد المسيح عدة مرات ، وأبرز انحلال أخلاقهم وبعدهم عن جادة الصواب ، وفيما يلى مقتبسات من كلامه فى هذا المجال :

— قالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، فافرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء من قبل (١) .

— احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب" خاطفة (٢) .

— يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار . . . . جيل « شرير » وفاسق ، أنتم أيها الكتبة والفريسيون (٣) .

— ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذون دينونة أعظم ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون للقادة العميان . أيها الحيات أولاد الأفاعى . . . . (٤)

نهاية المسيح كما يوردها إنجيل متّى :

كان هجوم عيسى عليه السلام على اليهود أهم سبب أدى إلى

---

(١) متى ٥ : ١١ — ١٢ .
(٢) متى ٧ : ١٥ .
(٣) متى ١٢ : ٣٤ و ٣٨ .
(٤) متى ٢٣ : ١٢ وما بعدها .

محاكمته والحكم عليه بالإعدام ، فيَرْوِي متى أن رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب اجتمعوا فى دار رئيس الكهنة الذى يُدعى « قيافا » وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه [١] .

وأحسّ عيسى عليه السلام أن مؤامرات تدور حوله للقضاء عليه وأن واحداً من الحواريين سيتآمر ضده ويسلمه إلى أعدائه ويحكى متى ذلك فيقول : ولما كان المساء اتكأ يسوع مع الاثنى عشرة وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم ان واحداً منكم يسلِّمنى [٢] فحزنوا جداً ، وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو ؟

وبالاضافة الى من يسلمه عرف السيد المسيح أن من تلاميذه مَنْ سينكره ، وهو بطرس ، فقد قال له المسيح : الحق أقول لك أنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات ، فقال بطرس : لو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك [٣] .

المسيح فى ضيعة جَثْسَيْمَانِي :

وفى الليلة التى تقرر فيها القبض على السيد المسيح لجأ هو وتلاميذه إلى ضيعة جَثْسَيْمَانِي ، وأخذ المسيح يعظ تلاميذه وينصحهم وذكر لهم أن الساعة قد اقتربت ليسلَّم ابنُ الانسان الى أيدى الخطاة وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الحواريين الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وكان قد اتفق معهم على أن يعطوه ثلاثين من الفضة نظير تسليم عيسى لهم ، وقد أعطى يهوذا علامةً للجنود الرومان هى قوله لهم : الذى أقبّله هو هو أمسكوه .

---

(١) متى ٢٦ : ٣ — ٤ .
(٢) متى ٢٦ : ٢٠ — ٢٣ .
(٣) متى ٢٦ : ٢٣ — ٢٥ .

وتقدم يهوذا الاسخريوطى الى السيد المسيح وقال : السلام يا سيدى . وقبّله .

وتقول الرواية المسيحية [١] إن الجنود أمسكوا يسوع ومضوا به الى (قيافا) رئيس الكهنة حيث اجتمع الكهنة والشيوخ ، وتبعه بطرس من بعيد الى دار رئيس الكهنة فدخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ، **وحينئذ رأت جارية بطرس فجاءت وقالت : أنت كنت مع يسوع الجليلى، فانكر أنه يعرفه ، ثم رأته امرأة أخرى ، فانكر ايضا وأقسم بانه لم يعرف هذا الرجل ، ثم جاءت جموع تقول لبطرس إنك من أتباع يسوع وإن لغتك تظهرك ، فأخذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل ، وهكذا انكر بطرس ثلاث مرات معرفته لأستاذه ومعلمه [٢] .**

وفى الصباح أوثق الكهنة رباط السيد المسيح ومضوا به الى بلاطس الوالى وقد قرروا قتله ، فسأله الوالى عن الجرائم التى نسبوها اليه ، ولكنه لم يجب بشىء مما ثبّت عليه الجرائم التى ادعاها الكهنة والكتبة والشيوخ وثبّت عليه بالتالى حكم الإعدام .

وكان الوالى معتاداً فى العيد أن يطلق فى الجمع أسيراً واحداً تقرّر إعدامه هدية منه للشعب فى كل عيد ، وكان اليهود آنذاك يحتفلون بعيد من أعيادهم ، وكان هناك اثنان حكم عليهما بالإعدام ، هما عيسى عليه السلام وأسير آخر اسمه (باراباس) ولعل الوالى أراد أن ينتهز هذا التقليد لينجو به عيسى ، فاتجه للجموع يسألهم أن يختاروا نجاة أحد الاثنين ، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا نجاة (باراباس) واهلاك يسوع ، وصاحوا بيسوع : ليُصلب وهتفوا فى صوت واحد : دمه علينا وعلى أبنائنا [٣] .

وأعدم يسوع بناء على الرواية المسيحية .

وهكذا كان الرومان أكثر عدالة وعطفا على السيد المسيح من اليهود

---

(١) سندرس فيما بعد الفكر الاسلامى حول هذا الموضوع .
(٢) متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٥ .
(٣) متى ٢٧ : ١٥ — ٢٦ .

تلك فكرة سريعة عن مسيرة المسيحية ، وسنتدارس فيما يلى الاتجاهات المختلفة حول المسيح والمسيحية ، فقد اختلفت وجهات النظر اختلافا واسعا حول هذه القضية ، فكان لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود والمثقفين الغربيين اتجاه يختلف قليلا أو كثيرا عن الاتجاهات الأخرى ، وسنبدأ فيما يلى حديثنا عن هذه الاتجاهات .

أشهر الاتجاهات حول المسيح والمسيحية

نأخذ الآن فى بيان الاتجاهات المختلفة عن المسيح والمسيحية لنضع على بساط البحث أشهر الأقوال المتصلة بتلك الديانة ، سواء أكانت هذه الأقوال من عقيدة المسيحيين أو كانت رأيا لغير المسيحيين فى المسيحية . لنجعل الموضوع بذلك أكثر وضوحا ، بالأضواء نلقيها عليه من نواح متعددة :

المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين

الكلام عن المسيح والمسيحية عند المسلمين يحتاج الى تقديم سريع للتعريف ببضعة أشخاص لهم صلة بحياة المسيح :

زكريا :

كان زكريا أحدَ أنبياء بنى إسرائيل كما كان أحد من يقومون بخدمة الهيكل المقدس ، وقد تقدمت سن زكريا وأصبح كهلا ، ولكنه لم يرزق ولداً ، وكان يتمنى أن يرزقه الله ولدا يواصل دعوته من بعده ، خوفا على قومه أن يضلوا ، فقد كانت بوادر الضلال تظهر فيهم ، ولكن تقدُّمَ سنِّه ِ وإشرافَه على التسعين ، قطع أملَه فى الولد ، كما قطع أمَلَه عقمُ زوجته وتقدُّمُها فى السن أيضا ، ولكن زكريا رأى ما يجعله يتذكر أن قدرة الله إن اتجهت لشىء تغلبت على كل العوائق، فقد دخل على مريم — وسنتكلم عنها بعد قليل — وهى حبيسة الهيكل ،

تقضى فيه ليلها ونهارها ، فوجد عندها طعاما وشرابا ، ووجد فاكهة فى غير أوانها ، فسألها : يا مريم أَنَّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، هنالك دعا زكريا ربه قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعاء • فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى [1] » •

يحيى :

يحيى بن زكريا حملت به أمه اليصابات وهى عجوز كما سبق ، ووضعته ، وتربى حتى صار كما وصفه القرآن الكريم « مصدّقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين [2] » ، وقد عُرف يحيى بأوصاف التقوى والصلاح منذ صباه ، واتّجه للعلم ففهم مسائل التوراة ، وأحاط بأصولها وفروعها ، وأصبح فيها مرجعا هاما ، ونُبِّئَ يحيى قبل أن يبلغ الثلاثين ، ومن أهم ما اشتهر به أنه كان يعمّد الناس أى يغسلهم فى نهر الأردن للتوبة من الخطايا وللتطهير من الذنوب ، ولذلك سماه اليهود (يوحنا المعمدان) وقد عَمَّدَ المسيح ، وكان المسيح يضاهيه فى العمر تقريبا • وقد ورد فى إنجيل لوقا أن الحمل بعيسى بدأ فى الشهر السادس من حمل اليصابات [3] •

وكان يحيى جريئا فى الحق ، يقول ما يعتقد دون خوف من سطوة حاكم أو طغيان ملك ، وقد نقلوا إليه أن هيرودوس ملك اليهود بفلسطين قد وقع فى حب هيروديا ابنة أخيه فيلييس ، وأنه ينوى الزواج بها ، فأعلن يحيى أن ذلك يناقض التوراة ، وأنه إن حصل فهو زواج باطل •

وكانت أم هيروديا حريصة على أن تتزوج ابنتها من الملك ، ووجدت أن يحيى سيكون عقبة فى سبيل هذا الزواج ، فزينت ابنَتَها بأحسن

(١و٢) سورة آل عمران الايات ٣٧ — ٣٩ •
(٣) الاصحاح الاول الفقرتان ١٦ و ٢٦ •

زينة ، وأسلمتها لعمها وأوصتها إن طلب منها عمُّها أن تتمنى شيئاً ، أن تطالب برأس يحيى ، وأجادت الفتـاة تمثيـل الدور ، فرقصت لعمها ، وعرضت أمامه ألوان فتنتها وسحرها حتى وقـع فى حبائلها ، وسـألها أمنيتها ، فقالت : رأس ذلك الذى سمَّع بى وبك وتكلم عنا فى كل نادٍ ، ولم تمض إلا دقائق حتى كـانت رأس يحيى فى طبق أمـام هيروديا (١) فاستحقت واستحق معها عمها وأعوانه من بنى إسرائيل لعنة الله ، وفى بعض الروايات أن هذا الحاكم تزوج من بنت أخيه هيروديا ، وزوجُهـا حىٌّ . فأخذ الرسول يحيى يندد بهذه الخطيئة فى مجالسه ، ووصل هذا التنديد الى مسامع هيروديا ، وفى ليلة من ليالى اللهو رقصت بنت أخيه بين يديه فأعجب بها ووعد أن يمنحها ما تريد ، فطلبت — بإيعاز من أمها — أن يأتى لها برأس يوحنا فى طبق (٢) .

وقد بدأ المسيح دعوته بعد أن بلغه موت يحيى ، ويقـال إن زكريا مات فى هذه الفتنة التى مات فيها ابنه .

يوسف النجـار :

يوسف النجَّار شاب صالح من شباب اليهود ، كانت مريم مخطوبة له قبل أن تحمل بالمسيح ، ولما عرف أنها حامل فـكَّر فى تركها دون أن يتحدث عنها ، ولكنه رأى فى منامه مَنْ يأمره بعدم تركها لأنها بريئـة ، ولأنه إن تركها ستصير وحيدة تصارع الأحداث وحدها ، فخضع يوسف لهـذا ، وظـل معهـا .

مريم ابنـة عمـران :

كان عمران أحد عظماء بنى إسرائيل ، وكانت زوجته عاقرا تقدمت بها السنّ دون أن ترزق بولد ، وتبعا للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران

---

(١) انجيل متى ١٤ : ٢ وما بعدها ومرقص ٦ : ١٧ وما بعدها .
(٢) وردت القصة بمدلول مخالف قليلا فى متى ١٤ : ٣ — ١١ .
وانظر فى ذلك كتاب هداة الانسـانية للدكتور عبد العـزيز عبد المجيد ص ١٤٢ .

تأمل أن تكون أماً فاتَّجهت الى الله سبحانه سائلة داعية ، ونذرت إن حقق الله رجاءها ورزقها ولدا أن تتركه للهيكل خادما محرَّرا ، أى لا عمل له إلا خدمة البيت والعبادة •

واستجاب الله لها فحملت ، وسرعان ما أحست بالجنين يتحرك فى أحشائها فيحرك فى نفسها لذة وسروراً وبهجة ، وقبل أن تضع جنينها توفى زوجها ، فلم يقدَّر له أن يرى طفله المنتظر ، وأتمَّت امرأةُ عمران أشهر الحمل ، وولدت بنتا أسمتها مريم ، ولذلك خاب أملها فى النذر الذى نذرته ، فقد كانت تحسب أن البنت لا تفى بالنذر ، ولا تستطيع أن تقوم بالخدمة ، ولكنها بناء على رأى سدنة الهيكل نَفَّذت نذرها ، ووضعت طفلتها فى الهيكل المقدس لخدمته وللعبادة فيه ، وقد تنازع سدنة البيت أيُّهُم يكفُل مريم الصغيرة ، فاقترعوا فيما بينهم فخرجت القرعة لزكريا ، فكفلها وعُنِىَ بها ، وكان زوجَ خالتها ، ولم يكن له فى ذلك الوقت أولاد كما قلنا من قبل • فوجد راحة كبيرة فى الإشراف على هذه الصغيرة الناسكة ، وقد رأى زكريا صوراً حارَ لها ، تتعلق بهذه الفتاة ، هى هذه الأرزاق التى تأتيها ، وفاكهة الصيف التى يجدها عندها فى الشتاء وفاكهة الشتاء التى يجدها فى الصيف ، وراقبها زكريا فما وجد أحداً يدخل عليها ، ولا وجدها تخرج من حجرتها ، ولذلك سألها كما مر : أنَّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله • وقد وردت هذه القصة فى الآيات الكريمة :

﴿ إذ قالت امرأة عمران : رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرَّراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتْها قالت : ربِّ إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وإنى سمَّيتها مريم ، وإنى أعيذها بك وذريَّتَها من الشيطان الرجيم ، فتَقَبَّلها ربها بقبول حسنٍ ، وأنبتها نباتاً حسنا ، وكفَّلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا : قال يا مريم أَنَّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق ما يشاء بغير حساب • • • • •

• •

ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيُّهم يكفُل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون (١) •

العقـــم فى بنى إسرائيل :

إن الذى يدرس تاريخ بنى إسرائيل يشاهد تفشِّى العقم فـيهم ، فالذى حدث لزكريا وزوجته والذى حدث لعمـران وزوجته ليس شـيئا نادراً ، وفى كثير من الأحوال كان العقم يستمر ، وأحيانا تجىء لفتة من الله سبحانه وتعالى فيهب الولد بعد اليأس وتقدم السِّنّ كما رأينا ، ولعل هذا العقم هو الذى جعل بنى اسرائيل الآن لايتكاثرون كما يتكاثر سواهم من البشر •

إنه لطف الله حتى لا يكثر هذا الوباء فى المجتمع البشرى •

---

(١) سورة آل عمران : الاية ٣٤ ــ ٣٧ و ٤٤ •

المسيح فى نظر المسلمين

بعد الحديث عن هذه الشخصيات المهمة التى مهّدت للكلام عن السيد المسيح ، نصل للحديث عن السيد المسيح نفسه ، وقد ظلت مريم فى الاعتكاف كعادتها ، ولكنها فوجئت فى يوم من الأيام برجل يقف أمامها، فارتاعت وتساءلت : من هذا الذى ينغّص عليها وحدتها ؟ وماذا يريد منها ؟ ولكنه نقلها من عجب إلى عجب حين قال لها : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا [١] » وصاحت مريم : « أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكُ بغيا [٢] » فأجاب « كذلك ، قال ربك هو علىّ هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا [٣] » ورضيت مريم بمنحة الله ، وبدأ الحمل ، وتقول الآية الكريمة « والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين » [٤] .

ما الروح ؟

وينبغى أن نقف هنا وقفة قصيرة لنقدّم دراسة عن الروح متصلة بقوله تعالى « فنفخنا فيها من روحنا » .

وقد وردت « الروح » فى القرآن الكريم بمعان ثلاثة هى :

١ — بمعنى جبريل ، قال تعالى :

— وأيدناه بروح القدس	البقرة ٨٧
— فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا	مريم ١٦
— نزل به الروح الأمين	الشعراء ١٩٣
— تعرج الملائكة والروح إليه	المعارج ٤
— تنزل الملائكة والروح فيها	القدر ٤

(١) سورة مريم ١٩ .
(٢) مريم ٢٠
(٣) مريم ٢١ .
(٤) الانبياء ٩١ .

٢ – بمعنى الوحى بوجه عام أو القرآن بوجه خاص ، قال تعالى :

– ينزل الملائكة بالروح من أمره   النحل ٣

– يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده   المؤمنون ١٥

– وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا   الشورى ٥٢

٣ – بمعنى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات ، قال تعالى :

– ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى   الاسراء ٨٥

– إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين   الحجر ٢٨ – ٢٩

– إنى خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين   ص ٧١ – ٧٢

– والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا   الأنبياء ٩١

– ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا   التحريم ١٢

والآية السابقة «يسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى» واضحة الدلالة على أن هذه القوة التى تحدث الحياة فى الكائن هى من علم الله ، وأن الله سبحانه خص نفسه بمعرفة كنهها ، وهو وحده الذى يمنحها فتدب الحياة أو يأخذها فتصبح الأجسام هامدة .

والآيات التالية تطبيق لذلك ، فالله خلق بشرا من طين ثم أودعه الروح ، وباللغة القرآنية « نفخ فيه من روحه » أى أودعه القوة التى لا يعرفها ولا يسيطر عليها سواه ، فجاء آدم .

وأودع هذه القوة رحم مريم العذراء التى أحصنت فرجها والتزمت بالعفاف وعدم مخالطة الرجال ، ونتيجة لنفخ روح الله فى رحم مريم أى

إيداع الله القوة التى تخلق الكائن الحى فى رحم السيدة العذراء ، جاء السيد المسيح .

ومن هنا تجىء الآية الكريمة « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . . [١] »

ويلاحظ فى الآيتين الكريمتين السابقتين المرتبطتين بالسيدة العذراء وحملها أن الآية الأولى تقول « فنفخنا فيها » والثانية تقول « أحصنت فرجها فنفخنا فيه »والمقصود فى الآية الأولى منحنا مريم القوة التى جعلت طفلا يدب فى رحمها ، فالضمير لمريم ، أما الآية الثانية فاتجهت للوسيلة التى يجىء الأطفال عن طريقها وذلك للتقريب ، وهناك إحدى القراءات فى هذه الآية تقول « فيها » أيضا ، والنفخ هو تسلط الارادة كما سنرى بعد قليل وليس نفخا بالمعنى المعروف .

ويتجه الإمام البيضاوى اتجاها ميسرا فى شرح هذه الآيات فيرى أن « مِنْ » حرف زائد ، وأن المقصود أودعنا فى الطين أو فى الرحم روحنا أى القوة التى لا يملكها سوانا والتى بمقتضاها يجىء كائن حى بدون الوسائل العادية . وكلماته هى « روح خلقناه بلا توسط أصل » [٢] .

ويقول الباحثون المسلمون إن معنى النفخ هو تحصيل آثار الروح أى أن تدب الحياة ، ويقولون إن منح الله القوة فى كل الأرحام ضرورى للحمل والحياة ، وأن كثيرا من الأزواج يلتقون بزوجاتهم ، ولا يحصل حمل مدة من الزمن لأن الله سبحانه لم يمنح هذه القوة التى يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة ، ثم يتفضل الله عندما يشاء فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل ، ومعنى هذا أن نفخ الروح فى الأرحام ضرورى لكل البشر ، وانما ورد النص فى حالتى آدم وعيسى لأن الخلق فى آدم والحمل فى عيسى

---

(١) آل عمران ٥٩ .
(٢) تفسير البيضاوى ص ٩١ من الجزء الثانى .

جاء بغير الطـريق الطبيعي ، ولكن بالنسبة لله سبحانه وتعالى تستوى كـل الطـرق .

ولعله يرتبط بهذا ما يذكره ابن هشـام حول تفسـير قوله تعالى « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشـاء [١] » فإنه يذكر أن عيسى عليه السلام كان ممن صُوِّر فى الأرحام كما صور غيره من بنى آدم [٢].

وقد أعطى الله سبحانه وتعـالى لعيسى عليه السـلام هذه القوة ليستعملها فى هيئة الطير التى صنعها من الطين ثم نفخ فيهـا فأصبحت طيرا بإذن الله قال تعالى « ورسولا الى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طـيرا بإذن الله [٣] » .

النفـخ :

وإيضاحا لكلمة النفخ التى تكرر ورودها فى القرآن الكريم متصلة بخلق آدم أو بخلق عيسى عليهما السلام أو بخلق طير من الطين أو متصلة بالنفخ فى الصور ، نذكر أن المفسرين يرون أن معنى النفخ هو تحصـيل آثار الروح أى أن تدب الحياة ، **فهو تسلط الإرادة بالحياة فى حالة آدم وعيسى وهيئة الطير التى أعدها عيسى ، وتسلط الارادة بالبعث يوم القيامة،** وكلمات المفسرين التفصيلية هى : أصل النفخ إجراء الريح فى تجـويف جسم آخر ، ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب، وتفيض به القوة الحيوية فيسرى حاملا لهـا فى تجـويف الشرايين الى أعمـاق البـدن جعل تعلقه بالبدن نفخا ، والمقصود تعلق الإرادة عـلى كـل حـال .

وعلى هذا فخلق عيسى على هذا النمط هو على نمط خلق آدم وخلق الطائر من الطين الذى سيهيئه عيسى على هيئة الطـير ، وهـو تصرف

---

(١) آل عمران ٦ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٦١ .
(٣) آل عمران ٤٩ .

لا يحتاج لجهد ، ولكن المسيحيين عندما اتخذوا ذلك وسيلة لتأليه عيسى عقدوا الأمور ، وصوروا عيسى ابن الله • • • • والله سبحانه لم يلد ، ولم يولد ، لم يكن له كفوا أحد •

وقد اتجه بعض الكتّاب المسلمين [١] الى تأليف كتاب جعل عنوانه « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » وذلك لدقة الصلة بين الحالتين •

مشكلات السيدة العذراء بعد الحمل :

لقد تقبلت السيدة العذراء أمر ربها ، وبدأ حملها بابنها ، ولكن كيف سيكون موقفها من الناس الذين لا يعلمون ما تعلم ؟ •

وبعد فترة بدأ الجنين يدبّ في رحـم العـذراء ، وكثرت أوهامها وأفكارها عما سيقوله النـاس عنها ، وخرجت من الهيـكل الى قريتهـا الناصرة ، وأقامت فى بيت صغير اعتزلت فيه الناس ، ثم خرجت مـع يوسف النجار الى بيت لحم ، فلما أوشكت على الوضع وأحست ألـمَ المخاض خرجت من القرية ، فأجاءها المخاض (دفعها) الى جذع نخلة يابسة ، وحيدةً فريدةً ، حيث وضعت السيد المسيح ، ونظرت لطفلهـا البرىء الذى سيصبح فى نظر القوم دليل جريمة ، وقالت : « يا ليتنى متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً »[٢] ثم فكرت فى طعامها وشرابها ليكون ذلك وسيلة لدرّ اللبن الى ابنها ، فسمعت صـوت الملاك يناديهـا « ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً (جدول ماء) وهزّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلى واشربى ، وقرّى عيناً[٣] » •

وإذا كانت مسألة الطعام والشراب قد انحلّت فكيف بمشكلة العار؟ وماذا عسى أن تقول للمتّهمين والمتهكّمين والذين سيصيحون فيها قائلين

---

(١) هو الدكتور حسن عز الدين الجمل •
(٢) سورة مريم الاية ٢٣ •
(٣) نفس السورة الايات ٢٤ — ٢٦ •

« يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا [١] » ولكن الملاك علمها الرد على هذا الاتهام ، وهو أن تسكت وتدع الرد للطفل الصغير ففى كلامه الرائع معجزة وأية معجزة ، « فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً [٢] » .

فلما تجمع القوم وسألوها عن فعلتها أمسكت عن الكلام وأشارت اليهم ليكلموا الصبى « فأشارت إليه ، قالوا كيف نكلم مَنْ كان فى المهد صبياً ؟ قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركاً أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقياً ، والسلام علىّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً [٣] » وصدّق قليلون ، ورآه الباقون سحرا ، وظلت أغلبية بنى إسرائيل الساحقة فى طغيانهم يعمهون ، فكانوا يسمونه « ابن البغى » وكانوا يقولون على مريم بهتاناً عظيماً [٤].

هل هناك حكمة فى أنّ عيسى وُلد من غير أب ؟

يرى الأستاذ أبو زهرة أن ذلك كان لحكمة رائعة ، فاليهود كانوا قوما ماديين ربطوا الأسباب بمسبباتها ، وسادت عندهم الفلسفة التى تقول إن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة من معلولها ، فأراد الله سبحانه أن يوضح لهم أن قدرته هى التى ربطت الأسباب بمسبباتها ، وأنها تستطيع أن تتجاوز هذا القانون فيوجد المسبب دون أن يوجد السبب ، فخلق الله عيسى من غير أب لهذا . ومن مادية اليهود أيضاً

---

(١) سورة مريم الايات ٢٧ — ٢٨ . واخت هارون معناها أنها من نسل هرون اخى موسى ، والعرب يقولون للتميمى يا اخا تميم وللقرشى يا اخا قريش .

(٢) سورة مريم الاية ٢٦ .

(٣) نفس السورة الايات ٢٩ — ٣٣ .

(٤) مما يرتبط بعيسى فى هذه المرحلة ما رواه متى من أن مريم خرجت بعيسى ومعها يوسف النجار الى مصر هربا من ملك اليهود ، وسنذكر ذلك عند الكلام عن « المسيح فى نظر المسيحيين » .

إنكارهم الروح واعتقادهم أن الإنسان مادة خلقت من مادة فأراد الله أن يخلق إنساناً دون أن تكون المادة أساساً له [١] .

نشـــأة عيسى :

ليس عندنا كثير من المعلومات عن نشـــأة عيسى ، ويقـــول القس بولس شباط إن الأناجيل قد أوجزت الكلام عن حيـــاة عيسى من مولده الى دعوته ، فلم تذكر منها إلا نزرا يسيرا ، ولا كتب الإنجيليون سوى أنه كان يزاول التجارة [٢] وقد نشأ — فيما يبدو — كما ينشأ الصبيان فى عهده ، وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وبيت المقدس ، وامتاز بذكاء وعمق ، فلم يكن يهتم بمظاهر الأشياء بل كان يغوص فى أعماقها ، وكـــان يسمع المدرسين والحكماء فلا يسلّم بما يقولون به ، بل يناقشهم كلما رأى فى كلامهم غموضاً أو ألغازا مما تعوّد سواه أن يقبلها دون تفسير أو نقاش ، وقد ألمّ بالتوراة ونال من العلم قسـطاً كبيرا ، وســاءه ما آلت إليه حالة قومه من بنى إسرائيل من ضلال وعمى ، وما خضعوا له من ترهات وأكاذيب سنلم ببعضها فيما يلى :

بنـــو اسرائيل قبل نبوة عيسى :

حرّف بنو إسرائيل شريعة موسى وجعلوا همهم جمع المال . وامتد هذا التفكير المادى الى العلماء والرهبان ، فأخذوا يحرّضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران ، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم .

وتعمقوا فى المادية وبعدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، ومن ثمّ أنكروا الحساب والعقاب ، فانغمس الكثيرون منهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حســاباً ، وفى

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٥ .
(٢) انظر المشرع ص ٩٢ ومتى ١٣ : ٥٥ .

كلمة واحدة لقد فسدت العقيدة وفسدت الأخلاق ، ولم يكن بدّ من منقذ يحاول أن يردهم عن طغيانهم الذين كانوا فيه يعمهون [١] .

نبوة عيسى ومعجزاته :

بُعث المسيح وهو فى حوالى الثلاثين من عمره ، وكان لب دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة ، وأيده الله بمعجزات خارقة هامة ذكرها القرآن فى الآيات الآتية : « ورسولا الى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرىءُ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم [٢] » فهذه معجزات أربعة :

١ — خلق طير من الطين .

٢ — إبراء الأكمه والأبرص .

٣ — إحياء الموتى .

٤ — الإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومدخراتهم .

وأما المعجزة الخامسة فهى إنزال المائدة التى طلبها الحواريون وقد ورد ذكرها فى قوله تعالى « إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله إنى منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين [٣] » .

---

(١) انظر طه المدور : بين الديانات والحضارات ص ٢٨ والقس بولس سباط ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران الاية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة ١١٢ — ١١٥ .

ولست أدرى كيف يتشكك الحواريون فى رسالة عيسى مع براهينه الماضية ، وهم الذين اتبعوه من دون بنى إسرائيل ؟ وإذا كان هذا شأن الحواريين فكيف يكون شأن العامة ؟ ثم لماذا كانت المائدة هى الوسيلة الوحيدة ليصدّقوا ، مع أنها ليست أقوى من إحياء الموتى ولا إبراء الأكمه والأبرص ؟

وقبل أن نترك معجزات المسيح نقرر أن المسلمين مع إقرارهم بهذه المعجزات لا يؤيدون ما تذكره الأناجيل عن استعمال هذه المعجزات فى الحياة العملية ، فالذى يقرأ هذه الأناجيل يلاحظ ملاحظتين هامتين :

١ — تذكر هذه الأناجيل عددا ضخماً أحياهم المسيح بعد الموت ، أو شفاهم من البرص ، أو جعلهم يبصرون بعد العمى ، وطبيعة المعجزة غير ذلك ، إنها دليلٌ لإثبات النبوة ، ومعنى ذلك أنها تُستعمل بضع مرات لتحدّى البشر حتى يصدّقوا ، ولكن الذى تذكره هذه الأناجيل غير هذا ، إنه أشبه بالتمثيل ، أى يُميت الله فيحيى عيسى مَنْ أماته الله دائما ، ويقضى الله بالعمى فَيَهبُ عيسى الأبصارَ لكل العميان .

وتحفل الأناجيل بالحديث عن العشرات والمئات من المجانين والمصروعين والعميان والموتى والمشلولين الذين شفاهم السيد المسيح(١)، وأحيانا يذكر إنجيل متى أن « جموعا كثيرة جاءت ليسوع فيهم العرج والعمى والخرس والشلّ وآخرون كثيرون وطُرحوا عند قَدَمَىْ يسوع فشفاهم »(٢) .

٢ — من أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان . . . الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات المسيح مسّتهم ؟ حتى ليوشك أن يفوق هذا العددُ سكانَ فلسطين جميعاً فى ذلك الوقت ، وكأن كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى ، أو ماتوا فأحياهم .

---

(١) انظر انجيل متى فى الاصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ .
(٢) ١٢ : ١٥ و ١٥ : ٢٩ — ٣١ .

اتجاه معجـــــزات عيسى :

لماذا اتجهت معجزات المسيح اتجاهاً طبياً فى الغالب ؟

المشهور أن أكثر معجزات الرسل تأتى من نوع ما اشتهر من الفكر فى عهد كلٍّ منهم ، وتكون فى مستوى أعلى مما يستطيعه الناس ، فالسحر كان معجزة موسى ، والبلاغة كانت من معجزات محمد ، لانتشار السحر فى عهد موسى ، وانتشار البلاغة فى عهد محمد ، ولكن ، ليس معنى هذا انتشار الطب بين بنى إسرائيل فى عهد عيسى ، لا ، فإن الثابت أن معرفة بنى إسرائيل بالطب كانت قليلة حينذاك وقبل ذاك ، حتى لقد كان انتشار الوباء بينهم من أسباب إخراجهم من مصر [1] ، والذى نراه أن معجزات عيسى فى صميمها تتفق مع طبيعة مولده ، فمعجزاته من نوع مولده ترمى الى إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح ، تلك التى أنكرها أكثر بنى إسرائيل فَخَلْقُ شكل طير من الطين لا حراك فيه ، ثم النفخ فيه فيتحرك ويطير مع أن مادته لم يزد عليها شىء ، معناه أن زيادة جديدة طرأت ، وهذه الزيادة ليست مادية قط ، فلابدّ أن تكون روحية . وجسم الميت الذى لا يتحرك ولا يعى ، يصبح بعد دعـوة عيسى حيـاً واعياً دون زيادة مادية عليه ، فمعنى ذلك وجود الروح .

وتتّصل بمعجزات عيسى عليه السلام خرافة كان جديراً بنـــا أن تغض عنها الطرف ، ولكن لا بأس من إيرادها للترويح ، فقد ذكر الأب بولس إلياس [1] فى مجال الفخر بعيسى ومعجزاته ما يلى :

« ومن مزيته التى لا يفاضله فيها نبى ولا رسول أنه أفضى بالقدرة على إتيان المعجزات الى تلاميذه ، ثم جدّد منحها لهم بعـد قيامه من الموت وصعوده الى السماء ، وأورث كنيسته تلك القدرة أيضاً » .

---

(١) اقرأ كتاب « اليهودية » للمؤلف .

(٢) يسوع المسيح ص ٨٩ مشيرا فى هامشـه الى متى ١٠ : ١ ولوقا ٢٠ ــ ٩ ويوحنا ١٤ : ١٢ .

ولو استطاع البابا الآن أن يحيى الموتى أو يبرىء الأكمه والأبرص كما كان عيسى يفعل ، لو استطاع ذلك لتوقف الخلاف بين الأديان ولا تبعه كافة البشر ، ولكن هيهات أن يكون ذلك ، فليس البابا إلا إنساناً يمرض ولا يعرف الطريق الى علاج نفسه ، فما بالك بعلاج سواه، وقد رأينا حديثاً أحد البابوات يمرض ويطول عليه المرض ، وتقوم الصلوات فى الكنائس للتخفيف عنه وشفائه دون جدوى ، فمن أين جاء بولس إلياس وأمثاله بهذه الخرافة ؟

اليهـود ودعوة المسـيح :

كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود ، هما :

١ — شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم •

٢ — ادعاؤهم أنهم شعب مختار ، وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله والناس ، وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق •

ولشد ما كان ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا يسوع يكتسح **أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات ، إذ يعلم النـاس أن الله ليس من المساومين ، وأن ليس هناك شعب مختار ، وأن لا أحظياء فى مملكة السماء، وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء ، وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات عدم استطاعة الشمس ذلك مع الناس سواء بسواء** [1] •

وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى الى عداء بنى إسرائيل وسخطهم، ولم يؤمن به إلا قليلون منهم ، فقد انتظروه مسيحاً يبسط سلطان بنى إسرائيل على العالم أجمع ، ولكن خابت آمالهم فيه[2] ، ثم عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه ، خافوا أن تنتشر مبادئه ، فأغروا به الحاكم الرومانى ، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ولم يكونوا على استعداد

---

(١) Wells : Outline of History vol, 3 p. 684.

(٢) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٣٧ •

للدخول فى الخلافات الدينية بين اليهود ، ولم تكن دعوة المسـيح التى أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة ، ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد ، ولذلك لـم يسـتحق غضب الرومان ، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلهم يجدون منه سـقطة تثير عليـه غضب الرومان ، فلما لم يجـدوا تقوَّلوا عليـه وكذَّبوا ، فأغضـبوا الحاكم الرومانى على عيسى ، فأصدر أمره بالقبض عليه ، وحـُكِمَ عليه بالإعدام صـــلباً •

وكان الكهنة وغوغاء أورشليم المتمسكون بعقيدتهم السـلفية أكبر المتهمين ليسوع [١] • وقد ذكـرنا ذلك بشىء من التفصـيل عند حديثنا السابق عن مســيرة المسيحية •

نهـاية المسيح عـلى الأرض :

أخذ جند الرومان يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم عليه كما أوردنا من قبل ، وكان عيسى قد لجأ الى ضيعة جَثسيمانى ليحتمى بها ، ولكن الخائن يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين ، كان قد اتفق مع زعماء اليهود على أن يدلهم على مكمنه نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وتسـلم هـذا الخائن هذا المبلغ ، وقاد جند الرومان الى حيث وُجد السـيد المسيح ، ولمـا كان جنـد الرومان لا يعرفون شخصية المسيح ، فقد ذكر الخائن لهم علامة هى قوله : الذى سأقبِّله هو هو أمسكوه •

وتمَّ كل شىء على هذا النمط ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فإنه عند تقبيل الخائن للمسـيح ألقى الله عـلى الخائن شَـبَـهَ عيسى وملامحه تماما ، فأصبح الدليل هو المدلول عليه ، وأصـبح الذى قبـَّـل يحمل جميع ملامح الذى قـُبِّل ، وتقدم جند الرومـان فقبضـوا على

---

(١) Wells : Outline of History vol, 3 p. 693. ويسوع تحريف ليشوع ومعناه المخلص لانه سبب لتخليص الكثيرين من آثامهم ، لانه — فى اعتقادهـم — ضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وسنعرض هذا الرأى فيما بعد •

الخائن وأُرتج عليه ، أو أَسكَته الله فلم يتكلم حتى نفذ فيه حكم الصلب [1] .

أما السيد المسيح فقد كتب الله له النجاة من هذه المؤامرة ، وانسلّ من بين المجتمعين فلم يحس به أحد ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وسيأتى مزيد من الكلام لإيضاح هذا الموضوع بعد قليل .

بقيت بعض نقاط جديرة بالإيضاح هى :

اولا : من هو الخائن ؟

ما ذكرناه آنفا من أن الخائن هو يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين الاثنى عشر هو رواية مسيحية ، أما المراجع الاسلامية فلم تحدد شخصية الواشى ، وتتجه المراجع المسيحية الى نجاح المؤامرة وصلب السيد المسيح ، وأن يهوذا كان حيا بعد صلب عيسى ، وأنه ندم ورَدّ الى كهنة اليهود ما كان قد أخذه منهم ، ومضى فخنق نفسه [1] .

ولا يوافق المسلمون على هذا الزعم لأن هذه المراجع اتجهت هذا الاتجاه لاقتناعها بأن الذى صلب هو السيد المسيح نفسه ، ونقول إنه إذا ثبت أن يهوذا كان حيا بعد هذه الحادثة فإن الخائن يكون شخصا آخر ، لأن المسلمين لم يحددوا شخصية الخائن .

وأغلب الظن أن الدفاع عن يهوذا دفاع مصطنع قام به بعض الذين شملهم الخجل من هذه الخيانة التى قام بها أحد الحواريين .

وإذا جاز لنا أن نجرى بعض المقارنة فإننا نذكّر القارىء أن زعماء المسلمين كانوا فى حالات متعددة يضعون أنفسهم لمواجهة المخاطر حتى ينجو الرسول ، وقد حدث ذلك فى غزوة أحد وغزوة حنين ، كما حدث

---

(١) انظر تفسير البيضاوى جـ١ ص ٦٤ و ١٠٤ وانجيل برنابا بالاصحاح ١١٢ : ١٣ — ١٥ .

(٢) متى ٢٧ : ٣ — ٥ .

قبل ذلك عندما بات الإمام على فى سرير الرسول ليلة الهجرة ، وهو يعرف أن من يبيت فى هذا السرير يواجه الموت من الأعداء المتربصين بصاحب البيت •

ثانيا : الى أين ذهب عيسى بعد النجاة من المؤامرة ؟

لم تتحدث المراجع التاريخية عن المكان الذى ذهب اليه عيسى عليه السلام عقب نجاته من المؤامرة ، والذى يرشد له العقل أن عيسى عليه السلام بعد ذلك ترك فلسطين لأن بقاءه فيها كان معناه أن يعثر عليه اليهود والسلطة الحاكمة فى يوم من الايام ، وأن ينفذوا فيه الحكم الذى صدر عليه •

وعلى كل حال فقد اختفى السيد المسيح عقب نجاته ، واختفت معه أخباره ، على أن هناك قولا يرى أن المسيح هاجر الى بلاد الهند ومات هناك فى لا هور ، وهو قول ينقصه التأكيد والوثائق •

ثالثا : ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة :

هل رفع الى السماء حياً بجسمه وروحه ؟

هل استوفى أجله على الأرض وهو مختف ثم مات ودفن جسمه ورفعت روحه الى بارئها ؟

كان هناك اتجاه شاع بين الناس بأن عيسى عليه السلام عندما نجا من المؤامرة رُفع بجسمه وروحه الى السماء ، وكان هذا الرأى يصوّر اختفاءه الذى تحدثنا عنه ، ولكن هذا الاتجاه واجه دراسة واسعة قام بها المفكرون فى العصر الحديث ، واعتمدوا فى كلامهم على نصوص قديمة ودراسات موثقة ، وأوشك هذا الاتجاه الجديد أن يقضى على المزاعم القديمة التى كانت تقول برفع السيد المسيح بجسمه وروحه •

وعلى كل حال فينبغى أن نورد دعائم الرأى القديم ، وأن نناقش هذه الدعائم لنسهم فى تأصيل الرأى الجديد الذى نرتضيه •

بُنِيَ الرأى القديم على فهم غير دقيق للآيات والأحاديث التالية :

ـ قوله تعالى : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه (١) » .

ـ وقوله « إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا »

ـ ما ورد فى البخارى ومسلم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكما عادلا مقسطا ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير . . . .

ـ ما ورد فى مسلم من أن عيسى سينزل فى آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال .

مناقشة هذه الأدلة وردّها :

ويناقش جمهور المفكرين المسلمين هذه الأدلة فيقولون إن عيسى بعد أن نجا من اليهود عاش زمناً حتى استوفى أجله ، ثم مات ميتة عادية ورفعت روحه الى السماء مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء ، وقد ورد النص برفع عيسى ـ مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال لأنه نبى ـ تكريماً لمكانته بعد التحدى الذى واجهه من اليهود ، فذكر الله نجاته ، ثم مكانته التى استلزمت رفع روحه .

ويقولون عن الآية الأولى « بل رفعه إليه » إنها تحقيق الوعد الذى تضمنته الآية الثانية « إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » فإذا كان قوله تعالى « بل رفعه الله إليه » خلا من ذكر الوفاة

---

(١) النساء ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٢) آل عمران ٥٥

والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يلاحَظَ فيها ما ذكر فى قوله « إنى متوفيك •• » جمعاً بين الآيتين •

ويرى هؤلاء العلماء أن الرفع معناه رفع المكانة وقد جاء الرفع فى القرآن بهـــذا المعنى كثيرا ، قال تعالى :

— فى بيوت أذن الله أن ترفع (١) •

— نرفع درجات من نشاء (٢) •

— ورفعنا لك ذكرك (٣) •

— ورفعناه مكاناً علياً (٤) •

— يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (٥) •

وإذن فالتعبير بقوله « ورافعك إلى » وقوله « بل رفعه الله إليه » كالتعبير فى قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفى (إن الله معنا) (٦) • وفى (عند مليك مقتدر (٧)) ، وكلها لا يفهم منها ســوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس (٨) •

وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع ، ولكنها مــع هــذا لا تفنى ســوى خلود الروح لا الجسم ، وهى قوله تعالى « ولا تحسبنَّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون (٩) • فرحين بما آتاهم الله من فضــله ، ويستبشرون بالذين لــم يلحقوا بهــم من فى خلفهـــــم (٩) » •

---

(١) سورة النور الاية ٣٦ •
(٢) سورة الانعام الاية ٨٣ •
(٣) سورة الانشراح الاية الرابعة •
(٤) سورة مريم الاية ٥٧ •
(٥) سورة المجادلة الاية ١١ •
(٦) سورة التوبة الاية ٥٥ •
(٧) سورة القمر الاية ٥٥ •
(٨) الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت : الفتاوى ص ٥٦ •
(٩) سورة آل عمران الاية ١٦٩ •

فمع أن الآية قررت أنهم أحياء فليس معنى هذا حياة الجسم ، فجسم الشهيد قد وُورى التراب ، ومع أنها قررت أنهم عند ربهم . وأنهم (يرزقون) ... فليس المقصود هو العندية المكانية . ولا الرزق **المادى ، وإنما المقصود تكريم الروح بقربها من الله قرب مكانة والاستمتاع باللذائذ استمتاعاً روحياً لا جسمانيا .**

وعن الحديثين يجيب الباحثون بإجابتين :

أولا — هما من أحاديث الآحاد وهى لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية كما سبق .

ثانيا — الحديثان ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه ، وقد فُهِمَ الرفع من نزول عيسى ، فاعتقد بعض الناس أن نزول عيسى معناه أنه رُفع وسينزل ، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفِعَ لمجرد أن فى الحديثين كلمة ينزل ، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنزول ، فإذا قلت نزلت ضيفا على فلان ، فليس معنى هذا أنك كنت مرتفعا ونزلت ، وإذا رجعنا الى مدلول هذه الكلمة (نزل — وأنزل) فى القرآن الكريم ، وجدنا أنه لا يتحتم أن يكون معناها النزول من ارتفاع ، بل قد يكون معناها : جعل ، أو قدّر ، أو وقع ، أو منح ، قال تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد [١] » أى جعلنا فى الحديد قوة وبأسا .

وقال : « وقل ربى أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين [٢] » أى قَدِّر لى مكانا طيباً .

وقال : « فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين [٣] » أى وقع .

---

(١) سورة الحديد الاية ٢٥ .
(٢) سورة المؤمنون الاية ٢٩
(٣) سورة الصافات الاية ١٧٢ .

وقال : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج [1] » أى منحكم وأعطاكم .

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزل فى الحديثين — لو صحّ هذان الحديثان — ليست إلا بمعنى يجىء ، ومن الممكن أن يُحْيى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد قبل قيام القيامة ، وليس ذلك بمستبعد قط على الله ، والاستنتاج الذى قال به هؤلاء خروج بالكلمات عن مدلولها ، فالرفع ليس من كلمات الحديث الشريف بل من تفكير بعض قارئى الحديث وليس من حقهم أن يضيفوا الى الحديث ما ليس منه ومالا تستدعيه ألفاظه .

وهناك آيتان اختلف المفسرون فى تفسيرهما ، وجاء فى بعض ماقيل عنهما أنهما تدلان على نزول عيسى فى آخر الزمان ، وهاتان الآيتان هما :

— وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته [2] .

— وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها [3] .

فعن الآية الأولى يرى بعض المفسرين أن الضمير فى « به » وفى « موته » عائد على عيسى ويكون المعنى على ذلك عندهم أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ بعيسى قبل أن يموت عيسى أى سيؤمنون به عند عودته آخر الزمان ، ولكن هذا مردود بما ذكره مفسرون آخرون من أن الضمير فى « به » لعيسى وفى « موته » لأهل الكتاب ، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تتكشف له الحقيقة عند حشرجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفعه إيمان [4] .

---

(١) سورة الزمر الاية السادسة .
(٢) النساء ١٥٩ .
(٣) الزخرف ٦١ .
(٤) الشهيد سيد قطب : فى ظلال القرآن حـ ٦ ص ١٤ .

وأما عن الآية الثانية « وإنه لعلم للساعة • • • • » فيرى بعض المفسرين أن الضمير فى « إنه » ، راجع الى محمد صلى الله عليه وسلم أو الى القرآن على أنه من الممكن أن يكون راجعاً — كما يقول مفسرون آخرون — الى عيسى لأن الحديث فى الآيات السابقة كان عنه • فالمعنى وإن عيسى لعلم للساعة ، ولكن ليس معنى هذا أن عيسى سيعود للنزول بل المعنى أن وجود عيسى فى آخر الزمان (نسبياً) دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها ، أو أنه بخلقه بدون أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث •

وعلى كل حال فنزول عيسى فى آخر الزمان على فرض حدوثه ليس معناه رفعه حياً بجسمه كما سبق القول ، ثم إن الدليل اذا تطرق له الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء الأصول ، وفى هذه الأدلة أكثر من الاحتمال ، بل فيها اليقين عند الأكثرين •

المسيح الدجال فى رأى الامام محمد عبده :

ترى المسيحية أن المسيح الدجال أو المسيخ الدجال شخص مضاد للمسيح وأنه ظهر أو سيظهر ليقود قوى الشر ضد قوى الخير [1] •

ففكرة المسيح أو المسيخ الدجال فكرة مسيحية ، وقد روى مسلم حديثا عنها أوردناه فيما سبق ، وقد تعرض الاستاذ الإمام محمد عبده لهذا الحديث وقال :

إن هناك تخريجين لهذا الحديث :

١ — أولهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا القطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين ، وليس فى الباب حديث متواتر •

٢ — ثانيهما أن الدجال ليس إلا رمزا للخرافات والدجل ، وقد وجد

---

(١) رسالة يوحنا الاولى ٢ : ١٨ والثانية (هى اصحاح واحد) الفقرة ٧

ذلك وسيوجد عدة مرات ، وهو يزول بشريعة الإسلام الغراء وبالقرآن والحديث وجهود العلماء والمفكرين وعلى هذا فلا وجود لما يسمى المسيح الدجال وهو الرأى الذى يرتضيه أكثر العلماء [١] .

رفع روح عيسى لا جسمه :

ونجىء الآن لإيراد بعض التفاصيل والأدلة التى ترى أن عيسى عليه السلام مات كما مات كل الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وأن جسمه قد دفن كما دفنت أجسام الأنبياء وغيرهم ، وأن الذى رفع هو روحه :

وبادىء ذى بدء أذكر أن ندوة كبيرة أقامتها مجلة « لواء الاسلام » فى أبريل سنة ١٩٦٣ عن هذا الموضوع ، وقد اشترك فيها مجموعة من العلماء الأفذاذ ، واتفق الجميع على مبدأين مهمين هما :

١ — ليس فى القرآن الكريم نصٌ يلزم باعتقاد أن المسيح عليه السلام قد رفع بجسمه الى السماء .

٢ — عودة عيسى عليه السلام جاءت بها أحاديث صحاح ، ولكنها أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية فلا تثبت بهذه الأحاديث [٢] .

وسنقتبس مما قاله هؤلاء العلماء بعد قليل عن موت عيسى ودفنه وصعود روحه الى بارئها مع أرواح الأنبياء ، والصديقين والشهداء .

وعلى كل حال فالعلماء الذين يرون أن الذى رفع هو روح عيسى لاجسمه يعتمدون أساسا على الآيات القرآنية التالية :

— **اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك** ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين

---

(١) اقرأ تفسير النار عند شرح الايات الخاصة بنهاية عيسى على الارض .

(٢) عدد ذى الحجة ، ١٣٨ هـ (ابريل ١٩٦٣) ص ٢٦٣ .

كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامـة ، ثم إلىّ مرجعـــكم [١] •

فهذه الآية تذكر بوضوح ما سبق أن ذكرناه ، **أى** وفاة عيسى وتطهيره وحمايته من أعدائه ، وتجعل عيسى ضمن أتباعه إلى الله مرجعهم •

— ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به : أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، **فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم** ، وأنت على كـل شىء شـــهيد [٢] •

وواضح من الآية وفاة عيسى ونهايه رقابته عـلى أتباعه بعد موته وترك الرقابة لله •

— وقوله تعالى حكاية عن عيسى :

والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا [٣]

والآية واضـحة الدلالة عـلى أن عيسى كـكل البشر يولد ويموت ويبعث ، وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل •

وقد اشترك فى هذا الرأى كثير من العلماء فى العصور الماضـية وفى العصر الحديث ، وفيما يلى نسوق بعض تفاسير لهذه الآيات الكريمة كما نسوق آراء العلماء الأجلاء •

يقول الإمام الرازى [٤] فى تفسير الآية الأولى : انى متوفيك أى **منهى أجلك ، ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك الىّ ، ومطهرك أى مخرجك من بينهم ، ومفرّق بينك وبينهم** ، وكما عظّم شأنه بلفظ الرفع

(١) آل عمران ٥٥ .
(٢) المـــائدة ١١٧ .
(٣) سورة مريم الاية ٣٣ .
(٤) تفسير الفخر الرازى .

فيه خبَّر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل هذا يدل على المبالغة فى اعلاء شأنه وتعظيم منزلته ، ويقول فى معنى قوله تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » المراد بالفوقية ، الفوقية بالحجة والبرهان ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رَفْعه فى قوله : « ورافعك » هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة .

ويقول الألوسى [1] ان قوله تعالى : « انى متوفيك » معناها على الأوفق انى مستوف أجلك ، ومميتك موتا طبيعيا ، لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله تعالى : « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر تشريف وتكريم .

ويرى ابن حزم [2] وهو من فقهاء الظاهر **إن الوفاة فى الآيات تعنى الموت الحقيقى ، وأن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى بناء على هذا قد مات .**

وقد تعرض الأستاذ الامام محمد عبده الى آيات الرفع وأحاديث **النزول ، فقرر الآية على ظاهرها ، وأن التوفى هو الإماتة العادية ، وأن الرفع يكون بعد ذلك وهو رفع الروح [3] .**

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت [4] ان كلمة « **توفى** » قد وردت فى القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى الا بجانبها ما يصرفها

---

(١) انظر روح المعانى للالوسى .
(٢) الفصل فى الاهواء والملل والنحل (عند الكلام عن المسيحية) .
(٣) اقرا تفسير المنار عند شرح الايات السابقة .
(٤) الفتاوى ص ٢ ، وما بعدها .

عن هذا المعنى المتبادر ، ثم يسوق عددا كبيرا من الآيات استعملت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقى ، ويرى أن المفسرين الذين يلجئون الى القول بأن الوفاة هى النوم أو أن فى قوله تعالى : « متوفيك ورافعك » تقديما وتأخيرا ، يرى أن هؤلاء المفسرين يحملون السياق مالا يحتمل ، تأثرا بالآية « بل رفعه الله اليه » وبالأحاديث التى تفيد نزول عيسى ، ويرد على ذلك بأنه لا داعى لهذا التفكير ، **فالرفع رفع مكانة ، والأحاديث لا تقرر الرفع على الإطلاق .**

ويقول فضيلته إنه إذا استدل البعض بقوله تعالى « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين [(١)] » على أن عيسى رفع إلى محل الملائكة المقربين، أجبناه بأن كلمة « المقربين » وردت فى غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم ، قال تعالى :

— والسابقون السابقون أولئك المقربون [(٢)] .

— فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم [(٣)] .

— عيناً يشرب بها المقربون [(٤)] .

أما السيد محمد رشيد رضا ، فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلى نص كلام هذا الباحث الكبير : **ليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ،**

---

(١) سورة آل عمران الاية ٤٥ .
(٢) سورة الواقعة الايتان ١٠ — ١١ .
(٣) سورة الواقعة الايتان ٨٨ — ٨٩ .
(٤) سورة المطففين الاية ٢٨ .

وإنما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين [١] .

ويضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء [٢] .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول : أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى [٣] .

ويثير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر **أنها — بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد وليست متواترة — لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى [٤] ، ويمكن ربط هذا بما ذكره** السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ، **فإنهم فى خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم فى الفكر الإسلامى بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر فى القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت له العقيدة الإسلامية من دقة وعمق فى هذه القرون** ، ويختم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد أحد أن النصوص تفيد هذا وترجحه فله أن يعتقد فى ذات نفسه ولكن له أن يلتزم ولا يُلزم [٥] .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : ليس فى القرآن نص قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حى الآن

---

(١) تفسير المنار جـ ١٠ من المجلد الثانى والعشرين .
(٢) تفسير المنار الجزء الثالث .
(٣) لواء الاسلام : العدد السابق ص ٢٧٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٦١ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى فى إدريس « ورفعناه مكاناً علياً » فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبيـــاء [١]

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار [٢] : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قـوله تعالى : « ورافعك إلىّ » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطنـا لله تعـالى ، فقوله تعالى « إلىّ » هو كقول الله عن لوط « إنى مهاجر إلى ربى » [٣]. فليس معناه أنى مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله .. » [٤] .

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [٥] عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السـابقة :

لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطـة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس .

ونجىء الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالى وله فى هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض فقرات بنصوصها :

ــ أميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ، وأن جسمه فى مصيره كأجساد الأنبياء كلها : وتنطبق عليـه الآية « إنك ميت وإنهم ميتون [٦] » والآية « وما محمد إلا رسول قد خلت

---

(١) نقلا عن كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت ص ٧٤ .
(٢) قصص الانبياء ص ٥١١ .
(٣) سورة العنكبوت الاية ٢٦ .
(٤) سورة النساء الاية ١٠٠ .
(٥) فى ظلال القرآن الجزء الثالث ص ٨٧ .
(٦) سورة الزمر الاية ٣٠ .

من قبله الرسل [١] » وبهذا يتحقق أن عيسى مات [٢] .

— ومن رأيي أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا (القرآن الكريم) لم يقل قولا حاسماً أبداً أن عيسى حي بجسده ، خير لنا منعاً للاشتباه من أنه وُلد من غير أب ، وأنه باق على الدوام مما يرَوّج لفكرة شائبة الألوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن عيسى مات ، وإنه انتهى ، وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلاّ بروحه فقط ، حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة .

— وأنتهى من هذا الكلام الى أنى أرى من الآيات التى أقرؤها فى الكتاب أن عيسى مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين [٣] .

ويثير الأستاذ صلاح أبو إسماعيل نقاطاً دقيقة تتصل بالرفع فيقول : إن الله ليس له مكان حسى محدود حتى يكون الرفع حسياً ، وعلى هذا ينبغى تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة ، ثم إن رفع الجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يُرَى الآن وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ومن خواص الأجسام على العموم ، وهو مالا يتناسب فى هذا المجال [٤] .

وأحب أن أجيب على من قال إن فى مقدور الله أن يوقف خواص الجسم فى عيسى ، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يُرَى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم . . . . معناه العودة إلى الروحانية أو شىء قريب منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأى الذى يعارض رفع عيسى بجسمه .

وبعض الناس يقولون إن عيسى رُفع بجسمه وروحه ، فإذا سئلوا :

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٤٤ .
(٢) لواء الاسلام : العدد السابق ص ٢٥٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٥٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٥٨ .

إلى أين ؟ وما العمل فى خواص الجسم ؟ قالوا لا نتعرض لهذا . وهو رد ليس ــ فيما نرى ــ شـــافياً .

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو إسماعيل الذى يتساءل قائلا : إذا كان رفع عيسى رفعاً حسيًّا معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا أعتقد « الأســتاذ صلاح أبو إسماعيل » أن كلمة « متوفيك » تعنى وعداً من الله بنجـاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمداً عليه الصلاة والســلام بأن يعصمه من الناس [1] .

* * *

وبعد .. لقد أثيرت هذه المسألة منذ سنين فى فتــوى أجاب عنهـا الأستاذ المراغى والأستاذ شلتوت كما رأينا ، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى ، شأن كل جديد يخرج للناس ، ومرّ الزمن ورجحت هذه الفكرة وأصبحت شيئا عاديا يدين بها الغالبية العظمى من المثقفين ، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفـع صـوته بها فى قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية فى العالم وهى جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات ، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبـولا حسـنا ، والذى أرجوه أن يرفق المعارضون فى تلقى الآراء الجديدة ، وأن يفحصوها بروح هادئة .

والله يهدينا ســواء الســبيل .

ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجســمه وروحه اعتقاد متأثر بالفكر المسيحى الذى يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجـوار أبيه الإله الأب . أمـا المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد ، وأنه فى كل مكان ، وليس جسما ،

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٩ .

فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى ليكون بجوار الله ، فالله — مرة أخرى — فى كل مكان ، ولو بقى عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً . وكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد (١) » .

* * *

وكانت دعوة عيسى — كما يقول الشهرستانى — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام (٢) .

المسيحية فى نظر المسلمين

ذلك هو إجمال القول فى المسيح عند المسلمين ، فما رأى المسلمين فى تعاليم المسيح ورسالته ؟

لقد اتضح مما سبق أن المسلمين يتصفون عيسى بن مريم وأن القرآن الكريم يجله ويجل أمه . ويحكى لنا التاريخ قصة تدل على هذا الإجلال واعتراف المسيحيين به ، ويقول ابن هشام : إن المسلمين الأول لما هاجروا إلى الحبشة بأمر الرسول صلوات الله عليه ، وأرادت قريش استرداد هؤلاء المسلمين أرسلت للداهية عمرو بن العاص ، وكان لم يدخل الإسلام بعد ، فحاول هذا الداهية أن يوقع بين المسلمين وبين النجاشى إمبراطور الحبشة المسيحى ، فقال له إن هؤلاء المسلمين يقولون فى مريم وعيسى قولا عظيما (مشينا) فاستدعاهم النجاشى وسألهم رأى الإسلام فى عيسى بن مريم وأمه ، فتلا عليه جعفر بن أبى طالب المتحدث باسم المهاجرين سورة مريم ، فلما سمعها النجاشى بكى حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته ، وقال قولته الشهيرة : **إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة** (٣) .

---

(١) سورة الانبياء الاية ٣٤ .
(٢) الملل والنحل جا ص ٢٠٩ وانظر « يسوع المسيح » للاب بولس الياس ص ٢٣ .
(٣) ابن هشام جـ ١ ص ٢١٣ .

ومما يدل على تكريم الاسلام للسيدة العذراء أن هناك سورة باسمها فى القرآن الكريم ، ولا توجد سورة باسم امرأة غير سورة مريم.

وكما ينصف المسلمون عيسى ينصفون تعاليمه ورسالته ، ويقولون فيها قولا لا يختلف تقريباً عما يقوله المنصفون من المسيحيين الذين لهم ثقافة وفكر ، وأهم معالم المسيحية فى نظر المسلمين هى :

١ — يعتقد المسلمون أن المسيحية الصحيحة دين توحيد مطلق ، وأنها تعترف أن الله وحده هو الإله الخالق المقتدر ، فالتوحيد المطلق الذى لا تشوبه شائبة هى السمة العامة للأديان السماوية جميعاً ، وعيسى هو رسول الله ليس غير ، واعتقاد المسلمين هذا جاءهم من الأدلة القرآنية الآتية :

— وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم [١] .

— لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد [٢] .

— ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام [٣] .

— ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم [٤] .

وعن هذا الاتجاه أيضا يروى مرقص أن أحد الكتبة سأل عيسى : أية وصية هى أول الكل ؟ فأجاب عيسى : إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ، وهذه هى الوصية

---

(١) سورة المائدة الاية ٧٢ .
(٢) سورة المائدة الاية ٧٣ :
(٣) سورة المائدة الاية ٧٥ .
(٤) سورة المائدة الاية ١١٧ .

الأولى . وثانية مثلها هى أن تحب قريبك كنفسك . فقال له الكاتب : جيداً يا معلم بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه [١] .

ويروى لوقا قول المسيح عندما حانت نهايته على الأرض : ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين [٢] .

وهنالك فقرات كثيرة فى الأناجيل تثبت كون عيسى نبياً وليس أكثر من نبى [٣] وسنعود إلى هذا الموضوع عند الكلام عن ألوهية المسيح .

٢ — يعتقد المسلمون أن عيسى بن مريم رسول إلى بنى إسرائيل خاصة قال تعالى : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل [٤] » وتؤيد الأناجيل هذا القول ، فقد جاء فى متى ما نصه : ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة : ارحمنى يا سيد يا ابن داوود ، ابنتى مجنونة جداً . فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة [٥] .

وفى متى كذلك أن عيسى عندما حدد الحواريين الاثنى عشر أوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة [٦] .

---

(١) مرقص ١٢ : ٢٨ — ٣٦ .
(٢) لوقا ١٣ : ٣٣ — ٣٤ .
(٣) اقرا لوقا ٧ : ١٦ ويوحنا ٦ : ١٤ وبرنابا الفصل الثالث والتسعين
(٤) سورة آل عمران الايتان ٤٨ — ٤٩ وانظر « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » للامام محمد عبده ص ٥٠ .
(٥) متى ١٥ : ٢١ — ٢٤ .
(٦) نفس المرجع ١٠ : ٥ — ٦ .

وذكر متى أيضاً أن بطرس أحد الحواريين قال لعيسى : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال يسوع : متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر [١] . وهذا واضح الدلالة على أن دنيا عيسى كانت بنى إسرائيل .

وفى « أعمال الرسل » فقرات كثيرة تدل على تمسك الحواريين بعد عيسى بأن المسيحية دين لبنى إسرائيل خاصة ، فقد خاصم اليهود بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم [٢] . وورد فى عبارات بطرس قوله لغير اليهود : أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه [٣] .

ويروى برنابا قول عيسى : وقد أقامنى الله نبيا على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء [٤] .

ويؤيد الكتاب المسيحيون هذا الاتجاه أيضا ، فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حواريى المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية دينا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل [٥] . وكذلك يرى Bury ان اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه ان الأباطرة لم يعرفوا عن دعوة عيسى إلا أنها امتداد لليهودية التى كانت شديدة التعصب ، عميقة الحقد والحسد ، فأثارت غضب الرومان مع ما عرف عنهم من التسامح الدينى مع أتباعهم [٦] .

ويقول Dean inge إن عيسى كان نبيا لمعاصريه من اليهود ، ولم

---

(١) المرجع السابق ١٩ : ٢٨ .
(٢) اعمال ١١ الفقرة الاولى .
(٣) اعمال ١٥ : ٢٨ .
(٤) انجيل برنابا ٥٢ : ١٣ .
(٥) Encyclopaedia Britannica vol. 5p. 632.
(٦) A History of Freedom of Thought فى أمكنة متعددة .

يحاول قط أن ينشىء فرعا خاصا من بين هؤلاء المعاصرين ، أو ينشىء له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم [(١)]

وسنرى عند الكلام عن بولس دوره فى نقل المسيحية من دين خاص باليهود إلى دين عـــالمى .

٣ — يعتقد المسلمون أن طابع المسيحية كان الزهد والرضا بالضيم. وعن الزهـــد نـــرى فى الأناجيل المعترف بها لدى المسيحيين مجموعـــة كبيرة من الفقرات توصى به وتحث عليه . ومن ذلك ما ورد فى متّى عند ذكر الشاب الغنى الذى نصحه عيسى بأن يبيـــع أملاكه ويعطى ثمنهـــا للفقراء ويتبع عيسى فتردد الشاب ، فقال عيسى : يعسر أن يدخل غنىٌ ملكوت السموات ، وأقول لكم إن مرور جمل فى ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنىٌ فى ملكوت الله [(٢)] .

وعن الرضا بالضيم وعدم محاولة الثأر يروى لوقا قول المسيح : من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك [(٣)] وسيأتى مزيد من الكلام عن هذا الموضوع عند الحـــديث عن رهبنة المســـيحية .

٤ — يعتقد المسلمون أن المسيح دعا للصلة المباشرة بين الله والناس، وتكلم عن ملكوت الله المفتوح لجميع الصالحين [(٤)] ويوضح Wells [(٥)] أن المقصود بملكوت الله كان ضربة للولاء العائلى عند بنى إسرائيل ، ذلك الولاء الذى يجعل منهم وحدة لا تتصل بســـواها من وحـــدات البشر (تجعل منهم شعباً مختاراً) فصاح عيسى بهذا الاتجاه يبتغى أن يكتسح

---

(١) The Sources of the Chistianity p 15

(٢) متى ١٩ : ٢٣ ولوقا ١٨ : ٢٠ .

(٣) لوقا ٦ : ٢٨ ومتى ٥ : ٣٨ — ٤١ .

(٤) انجيل متى ٥ : ٤٥ .

(٥) Outline of History vol. 3 p684

طونان" جارف من حب الله كل العواطف العائلية الضيقة المقيدة للحرية ويفتح السبيل للأخيار الصالحين أن ينتموا لملكوت الله .

فملكوت الله أو مملكة السماء بهذا المعنى هى معارضة واضحة لدعوى اليهود الاختيـــار والامتياز .

ويقول الأب بولس الياس [١] فى تفسيره « ملكوت الله » ما يلى :

ليس ملكوت الله حزبا سياسيا ، أو مؤسسة اجتماعية ، إنمـا هو حالة نفسية ، حالة بر تقوم على نبذ الأنانية وعلى الاعتصام بطاعة الله ونواميسه ، وعلى العودة الى البساطة أو الطفولة المسيحية وما فيها من صفاء نيات ونقاء سرائر ، وهذا ما ألمح إليه السيد المسيح بقوله «لا يقال إن ملكوت الله هنا أو هناك لأن ملكوت الله فى داخلكم [٢] » .

وقبل أن ندع الكلام عن ملكوت الله أو مملكة السماء بالمعنى الذى شرحناه وهو أدق معنى فى هذا الموضوع ، نقرر أن هذه المملكة وجـدت قبل المسيحية ، وكانت شعارا للكنفوشية فى القرن السادس ق م ، ثم كانت شعارا للمسيحية فالإسلام ، وكانت بذلك دعوة لإله واحد ووضع حـد لتعدد الآلهة . ولـكن الإخلاص العـام لإرادة واحـدة انحـرف فى الكنفوشية والمسيحية فاتجهتا لتأليه كونفوشيوس وعيسى باعتبار أنهمـا صاحبا هذه الإرادة التى تدعو للحب العام لأنها تسيطر على الجميـع ، بيد أن محمدا — وقد أدرك هذا ــ كرر القول بأنه بشر كغيره من الناس فنجا من أن يؤلهه الناس ، كما قرر القول بالمساواة بين بنى الإنسان .

وتعال بنا إلى Wells وإلى Hirth لنرى هذه الفكرة ونشاهد هذه المقارنة الدقيقة بين الأديان الثلاثة :

كان الكاهن الصينى « موتى » يعيش فى القرن الرابع ق م عندما

(١) يسوع المسيح ص ١٧١ و ١٧٢ .
(٢) انجيل لوقا ١٧ : ٣٠ .

كانت تعاليم كونفوشيوس ولاهوتى منتشرة فى الصين : وقد كتب — فيما كتب — دراسة عن هذا الموضوع ، هاك نصها ، وإذا تأملتها وجدتها — كما يقول Wells — نصرانية الروح :

إن الاعتداءات المتبادلة بين دولة ودولة ، والاغتصابات المتبادلة بين عائلة وأخرى ، والسرقات المتبادلة بين الرجل وأخيه ، وافتقار الملك الى الرفق ، والوزير الى الولاء ، والحاجة الى الحنان ، والواجب بين الوالد وولده — هذه وأمثال هذه أمور ضارة بالإمبراطورية وكل هذا راجع الى انتفاء الحب المتبادل ، فلو أمكن فقط أن نعمم بين الناس تلك الفضيلة الواحدة ، فلن يصبح للأمراء وقد أحب أحدهم الآخر أى ميادين للقتال ، ولن يحاول رؤساء العائلات أن يأخذوا أى شيء غصبا ، ولن يرتكب الرجال أية سرقة ، ولا تتصف الحكم والوزراء بالسماحة والولاء ، ولأصبح الآباء رحماء والأبناء بررة ، ولصار الإخوة منسجمين وأمسى التراضى بينهم هينا ، ولو أن الناس عامة أحب بعضهم بعضا ، لما انقض قويهم على ضعيفهم ، ولما نهبت قلتهم كثرتهم ، ولما أهان غنيهم فقيرهم ، ولما أظهر شريفهم قحة مع وضيعهم ، ولما غش خبهم ببسيطهم [1] » .

ويعلق Wells على هذه العبارة بقوله :

« لا شك أن فى هذا مشابهة عجيبة لتعاليم عيسى الناصرى ، وإن صبّ فى قالب سياسى ، وهكذا اقتربت أفكار « موتى » من مملكة السماء .

ويضيف Wells قوله : وهذا التطابق الجوهرى هو أهم سمة تاريخية تجمع بين هاتين الديانتين العالميتين ، فإن بدايتهما كانت مخالفة تمام المخالفة لنحل الكاهن والمعبد ، وهى تلك النحل المقامة لعبادة آلهة محدودة المعالم ، معروفة الحدود ، والتى عاشت مع عمر الإنسانية

---

(1) Hirth , The Ancient History of China

زمنا طويلا امتد بين ١٥٠٠٠ و ٦٠٠ ق٠م (يقصد بذلك أديان اليهود ومعاصريهم حتى عهد كونفوشيوس) ٠

« أما الديانات العالمية الجديدة ، من ٦٠٠ ق٠م فصاعدا ، فهى بالضرورة ديانات القلب والعالم العلوى الشامل ، وهى التى جرفت أمامها كل تلك الأرباب المتنوعة المحدودة ، وخدمت باتجاهها الجديد حاجة الإنسانية ، إذ أن المجتمعات الإنسانية قد اندمجت بعضها فى بعض بعاملى الخوف والرجاء وسنرى من فورنا عندما نصل إلى الإسلام انه حدث للمرة الثالثة بعد الكونفوشية والمسيحية أن ظهر ثانية نفس المبدأ الأساسى السابق ، مبدأ الحاجة الى إخلاص عام من جميع الناس لإرادة واحدة ، على أن محمداً اتّعظ بما مر بالمسيحية من تجارب ، فكان حاسما باتاً فى إصراره على انه هو نفسه ليس إلا بشرا كغيره من الناس ، وبذا وقى تعاليمه شر كثير من الفساد والتصحيف [1] ٠ »

٥ — يعتقد المسلمون ان اختفاء إنجيل عيسى كان عملا مقصودا لأن إنجيل عيسى قريب الصلة بالقرآن ، كما يعتقدون ان اختفاء هذا الإنجيل مهّد للتزيد والحذف والتحريف فى تعاليم الديانة المسيحية ، فانهارت أسسها وضاعت معالمها كديانة سماوية ٠

٦ — يعتقد المسلمون أن المسيحية بعد المسيح بعدت جداً ، أو قل اختلفت كل الاختلاف عن مسيحية المسيح ، وبخاصة عندما دخلها بولس أو ادّعى دخولها ، فحطم اتجاهاتها الصحيحة ، وقال فيها بالتثليث ٠ وقال بألوهية المسيح ، وبهذا بعدت الشقة بينها وبين الأديان السماوية ، حتى يمكن القول إن بولس هو واضع الديانة المسيحية المعروفة اليوم وان المسيح منها براء ، وسندرس هذا الموضوع دراسة مؤيدة بالأدلة العلمية عند الكلام عن بولس ٠

ومن الأشياء الغريبة أيضاً على الديانة المسيحية والتى دخلتها بعد

Ontline of History vol. 3 p. 690 (1)

المسيح حركة الاضطهادات والقتل والقسوة بين المسيحيين بعضهم والبعض الآخر ، وبين المسيحيين وسواهم ، فأين هذا مما عرف عن تعاليم المسيح من عدم مقابلة القوة بالقوة ، ومن التسامح الذى يصل إلى حد الرضا بالضيم كما تحدثنا من قبل ، وستخص حركة الاضطهادات فى المسيحية بحديث فيما بعد .

٧ — يعتقد المسلمون أن المسيح بشّر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى الذكر الحكيم « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد [1] » كما وردت هذه البشارة صريحة أيضاً فى إنجيل برنابا فى مواضع متعددة [2] .

وقد قدم المسيحى الذى أسلم ، السيد عبد الأحد داود ، بحثاً لغوياً طويلا استنبط منه أن ميلاد المسيح كان بشارة بميلاد محمد ، وأورد من إنجيل لوقا ما يدل على ذلك ، فقد جاء فى إنجيل لوقا أنه عند مولد المسيح ظهر جمهور من الجنود السماوية للرعاة السوريين وأخذ هؤلاء الأملاك يترنمون بالنشيد التـالى :

الحمد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة [3] .

وهذا هو النص الموجود فى الترجمة العربية كثيرة الانتشار ، أمـا النص فى الترجمة التى قامت بها Tho Bible Socsiety فهو :

الحمد لله فى الأعالى ، على الأرض سلامة ، فى الناس حسن الرضا .

ويقول السيد عبد الأحد إن هؤلاء الأملاك لم يتكلموا باللغة العربية ،

---

(١) سورة الصف الاية السادسة .
(٢) انظر الاصحاح ٣٩ : ١٤ والاصحاح ١١٢ : ١٧ .
(٣) لوقا ٢ : ١٤ .

ولو تكلموها ما فهمها منهم هؤلاء السوريون ، ولم يتكلموا كذلك بلغة غير لغة هؤلاء الرعاة ، لأن طبيعة الرعاة ألا يعرفوا لغات أجنبية لقلة ثقافتهم ، وإذا كانت الأنشودة باللغة السريانية ، لغة الرعاة فما كلمات الأنشودة بهذه اللغة وما ترجمتها الحقيقية ؟ وبخاصة الكلمتان « السلام أو سلامة ، والمسرة أو حسن الرضا » ؟

وقبل أن يجيب سيادته على هذا السؤال يؤكد تأكيداً قاطعاً أن ترجمة الكلمتين السريانيتين إلى « السلام أو سلامة » و « المسرة أو حسن الرضا » ترجمة خاطئة ، ويتساءل ما معنى : على الأرض السلام أو السلامة ؟ وأى سلام شهدته الأرض منذ خلقها الله ؟ وقد دنسها أحد ابنى آدم حين قتل أخاه فى مطلع البشرية ، واستمر بعض أولاد آدم يقتلون إخوتهم دون توقف حتى العهد الحاضر ، وأصبح طبيعيا للنوع البشرى أن يعيش عيشة تكاد تكون مستمرة بين الفجائع الوخيمة والاختلافات التى جبلت عليها الطبيعة البشرية ، وما يقال فى هذه الجملة يقال كذلك فى الجملة الأخرى « وبالناس المسرة أو فى الناس حسن رضا» فأين المسرة التى رآها الناس ؟ وما قيمتها إذا قيست بالدموع والعرق والكفاح والآلام التى يعانيها الجنس البشرى ؟ وأين حسن الرضا الذى أظهروه ؟ والأطماع لا تحد والكفاح لا ينى ؟

ومما يؤيد بطلان هذه الترجمة أن تولستوى المفكر الروسى الشهير كتب مؤلفا عن الأناجيل الأربعة • ورتب من الأناجيل الأربعة انجيلا واحداً • رابطا جمل الآيات المفيدة على زعمه بعضها ببعض ، ولم يثبت تولستوى هذه الآية فى انجيله الشامل ، زاعما أنها من الآيات المحرفة التافهة ، ومن لغو القول •

وبَعْدَ هذا يورد السيد عبد الأحد الكلمتين الأصليتين وهما « ايرينى ، وأيادوكيا » ويوضح ببحث لغوى طويل أن ايرينى معناها الإسلام وأيادكيا معناها أفعل تفضيل من الحمد أى أكثر الحمد أو أحمد ، والمعنى العام كما يراه هو :

الحمد لله فى الأعالى ، أوشك أن يجىء الإسلام للأرض ، يقدمه للناس أحمد . ويؤكد مرة أخرى أنه لو كان المقصود سلام بمعنى Peace (الأمن وعدم الحرب) لاستعملت كلمة « شلم » السريانية أو «شالوم» العبرانية[1] .

---

(١) انظر هذا البحث فى « الانجيل والصليب » ص ٣٣ — ٥٣ .

الاضطهـــادات والمســـيحية

يبدو أنه من اللازم أن نتحـدث هنا ــ ونحن على ذكر بحـركة الاضطهادات فى المسيحية ــ حديثاً فيـه شىء من التفصـيل عن هـذه الاضطهادات ، ذلك لأن هذه الاضطهادات كانت بعيـدة الأثر فى توجيـه المسيحية ، وكانت من أهم الأسباب التى دفعت المسيحية إلى ما هى عليه الآن من الميل للعنف ، وسنشير فى دراسـتنا القادمة عـدة مرات لهـذه الاضطهادات ، وسنصفها بالقسوة والوحشـية والبربرية ، ولذلك كـان من الأفضل أن نذكر عنها هنا شيئاً يساعد القارئ على فهـم جذورها ، وعلى فهم الأثر الذى خلفته ••

والاضطهادات ذات الصـلة بالمسـيحيين وذات الأهمية فى بحثنـا نوعـــان :

١ ــ ما نزل بالمسيحيين من أعدائهم فى عهود المسيحية الأولى •

٢ ــ ما أنزله المسـيحيون بعد قوتهـم بمخالفيهـم فى الرأى من المسيحيين وغيرهم ممن أطلق عليهم هراطقة •

وقد اشتط بالمسيحيين عندما كانوا ضـعافاً مغلوبين على أمرهم ، ونزلت بهم آنذاك ألوان من الضيم والخسف والوحشية ، فلما آل لهـم السلطان ، أنزلوا بمخالفيهم ألوان العذاب بنفس الوحشية التى عوملوا بها أو بأكثر منها ، أما تعاليم الرحمة والغفران ، أما هتاف المسـيح الذى يقول فيه « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (١) ، فقد بقيت كلمات مسطورة دون أن يكون لها أى أثر أو نتيجة •

---

(١) متى ٥ : ٤٤

وقد بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر ، وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد ، وقد نزل بأتباعه فى عهده وبعده مثل ما نزل به من العسف والظلم ، وكان اليهود مصدر هذه القسوة ، ولكن المسيحية بدأت تنتشر على الرغم من اليهود ، وغلبتهم على أمرهم ، وحينئذ تقدم أباطرة الرومان لاضطهاد المسيحيين وذلك لأن هؤلاء الأباطرة كانوا لا يعرفون من أمر الدين الجديد إلا أنه امتداد لليهودية ، وكانت هذه موضع كراهية من الوثنيين على غير ما جرى العرف عليه من إباحة الحرية الدينية لسكان الإمبراطورية ، ذلك لأن اليهودية أثارت بتعصبها الحقد فى القلوب ، وكان الأباطرة قبل المسيح يقومون بحماية السكان من ضراوة هذا الحقد ، حتى إذا أحسوا بأنها ستبدو فى ثوب جديد هو (المسيحية) ، وتجذب كثرة من الأنصار الجدد ، يشيعون تعصبها ، ويثيرون حقد الناس عليها ، أخذوا فى مقاومة تعاليمها واضطهاد أتباعها . ومما أثار حقد الرومان أيضاً على المسيحية أنها أخذت من اليهود تعصبها ، فأعلنت حتى فى عهود ضعفها أنها تناصب العقائد الأخرى العداء ، وأنها ستعمل على إبادة المذاهب الفكرية الأخرى ، وعلى تحطيم الحضارة الرومانية عندما تتهيأ لها الفرصة [1] .

وهذا التحول الذى أعلنته المسيحية ، من التسامح والرضا بالضيم ، إلى الحقد والثأر ، يمثل التحول من أفكار عيسى إلى أفكار بولس كما سيجىء فيما بعد .

وأبشع حركات الاضطهاد التى عاناها المسيحيون فى القرن الأول تلك التى أنزلها بهم نيرون الطاغية (٦٨ م) فقد ألقى بعضهم للوحوش الضارية تنهش أجسامهم ، وأمر فطليت أجسام بعضهم بالقار وأشعلت لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التى يقيمها نيرون فى حدائق قصره [2] .

---

(١) دكتور توفيق الطويل : الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ص ٣٣ و ٤٢ .

(٢) زكى شنوده : تاريخ الاقباط جـ ١ ص ١٠١ .

وفى القرن الثانى كان المسيحيون يُعتبرون أنجاساً لا يُسمح لهم بدخول الحمامات والمحل العامة وكانوا ـ كما حصل فى عهد نيرون ـ يُلْقَوْن للوحوش الضارية تفترسهم فى مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهّى بمشاهدة هذه المناظر (١) .

وسجل القرن الثالث صوراً أخرى من أبشع ألوان التعذيب والاضطهاد للمسيحيين ، وذلك فى عهد الإمبراطور دقلديانوس ، فقد أمر بهدم كنائس المسيحية واعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها . وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين سقطت حقوقهم المدنية ، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين ، وتجريعهم العذاب ألواناً ، ونفذت هذه التعليمات فى جميع المناطق ، فامتلأت السجون بالمسيحيين ، واستُشهد الكثيرون بعد أن مُزقت أجسامهم بالسياط والمخالب الحديدية ، أو أحرقت بالنار ، أو قطعت إربا ، أو طرحت للوحوش الضارية ، أو غير هذا من وجوه التعذيب ، وقد سمى عصره (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) عصر الشهداء (٢) .

وفى مطلع القرن الرابع تغيرت الأحوال ، فقد أصدر الإمبراطور قسطنطين مراسيم التسامح سنة ٣١١ و ٣١٣ ثم دخل المسيحية بعد ذلك بعشر سنوات ، وسرعان ما قويت المسيحية ورجحت كفتها وشالت كفة أعدائها ، فانقضت على أعدائها تفتك وتُفنى ، فتأسست الجمعيات الثورية باسم الدين ، وكان أشهرها جمعية « الصليب المقدس » فى « تورينو » التى أخذت على عاتقها استئصال شأفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنيين ، وحدّث بعد ذلك ولا حرج عن الدماء التى سُفِكت والأرواح التى أزهقت ، وقد وصف هارتمان هذه الحركة بأنها أفظع المجازر البشرية التى سجلها التاريخ (٣) .

على أن اضطهاد المسيحيين لم يكن موجهاً ضد الوثنيين فحسب ، بل

---

(١) الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ص ٣٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٠ وتاريخ الأقباط لزكى شنوده جـ ١ ص ١٠٨ ـ ١١٠ .
(٣) طه المدور : بين الديانات والحضارات ص ٣٤ .

اتجه كذلك ضد المسيحيين أيضاً ، فإن المسيحية التى ظهرت وأصبحت ذات سلطان لم تكن مسيحية عيسى ، بل مسيحية بولس ، ومسيحية الفلسفة الإغريقية ، ولكنها كانت ولا تزال تسمى المسيحية على كل حال ، ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية المسيح والتثليث وغيرهما ، فقد بدأ صراع جديد اعتُبِر فيه المسيحيون الأصليون متمردين ، وأوقعت بهم المسيحية الإغريقية أو مسيحية بولس ألواناً من العنت والاضطهاد ، واستمرت الكنيسة فى خلق البدع وفى ابتكار الخرافات كالعشاء الربانى وغفران الذنوب ، ووُجِدَ من المسيحيين من يعارض هذه الخرافات ، فكان نصيبه أن لاقى القسوة والوحشية ، وسنلم هنا بصور قليلة من هذا العنت الذى أنزله المسيحيون بالمسيحيين :

فى القرن الرابع عارض أريوس (٣٣٦ م) القول بألوهية المسيح كما سيأتى ، مما دعا إلى عقد مجمع نيقية ، وسيأتى الحديث عنه ، وقد قرر هذا المجمع إدانة أريوس ، وإحراق كتاباته ، وتحريم اقتنائها ، وخلع أنصاره من وظائفهم ، ونفيهم ، والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات أريوس وأتباعه [١] . وفى عهد تيودوسيوس (٣٩٥) ظهرت لأول مرة « محكمة التفتيش » وكانت مركزاً بَشِعاً للاضطهاد والتعذيب ، وكان أعضاؤها من الرهبان ، وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين فى العقيدة ، ولهم سلطان كبير ، ولا يُسألون عما يفعلون ، وتاريخ محكمة التفتيش هو تاريخ الاضطهاد الدينى فى أقسى صوره ، وقتل حرية الفكر بأبشع أداة ، ومن أقذر سبلها أنها حتمت أن يُنْهِى كلُّ إنسان فى غير تباطؤ ما يصل إلى سمعه بشأن الملحدين ، وهددت من يتوانى فى ذلك بعقوبات صارمة فى الدنيا والآخرة ، فانتشر بسببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة [٢] .

---

(١) زكى شنوده : تاريخ الأقباط ص ١٤٩ — ١٥٢ .

(٢) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، للامام محمد عبده ص ٤٠ .

وفى القرون التالية كثر صرعى هذا النظام ، وتعرض للشنق والحرق والإعدام جماعات كثيرة لأنهم فى نظر الكنيسة هراطقة ، وكثيراً ما كانت الكنيسة تلجأ للإعدام البطىء مبالغة فى التنكيل ، فتسلط الشموع على جسم الضحية ، وتخلع أسنانه كما فعل ببنيامين كبير أساقفة مصر ، لأنه رفض الخضوع لقرار مجمع خلقدونية الذى يرى أن للمسيح طبيعتين إلاهية وإنسانية .

وكان الإعدام يسبق بصور بشعة من التعذيب ، كالكى بالنار ، والضرب ، لعل المتهم يعترف بجرمه ، فإن لم يعترف قتل ، لأنه لم يكن يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته ، بل مجرما حتى تثبت براءته ، وهيهات أن تثبت ، وإذا اعترف المتهم بجريمته استمر تعذيبه قبل القضاء عليه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه .

وكانت القوانين تقضى أن يحمل الأبناء والأحفاد تبعة الجرم الذى يتهم به الآباء ، فيسلبون حقهم فى مباشرة الكثير من الوظائف ومزاولة الكثير من المهن [1] .

أما الجماعات التى أعدمت فأكثر من أن يحصيها عد ، ففى إسبانيا قدمت محكمة التفتيش للنار أكثر من واحد وثلاثين ألف نسمة ، وحكمت على أكثر من مائتين وتسعين ألفاً بعقوبات أخرى تلى الإعدام [2] .

وفى عام ١٥٦٨ أصدر الديوان حكمه بإدانة جميع سكان الأراضى الواطئة والحكم عليهم بالإعدام ، واستثنى من الحكم بضعة أفراد نص القرار على أسمائهم ، وبعد عشرة أيام من صدور الحكم دفع للمقصلة ملايين الرجال والنساء والأطفال [3] .

ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة لهم بالاضطهاد العنيف وكثرت

---

(١) الدكتور الطويل : الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ص ٧٦.
(٢) المرجع السابق ص ٧٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

المذابح ، ومن أهمها مذبحة باريس فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ التى سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت ، هؤلاء الذين دعوا لباريس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر ، ثم قتلوا خيانة وهم نيام ، فلما أصبحت باريس ، كانت شوارعها تجرى بدماء هؤلاء الضحايا، وانهالت التهانى على تشارلس التاسع من البابا ومن ملوك الكاثوليك وعظمائهم على هذا العمل الدنىء (١) .

والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك ولم يكونوا أقل وحشية فى معاملة خصومهم من أعدائهم السابقين ، ولولا أن عصر النور أطل لرأينا صوراً أكثر وأكثر ، من اضطهاد البروتستانت للكاثوليك .

وهكذا دوّن تاريخ المسيحية : بحار من الدماء ، وأكداس من رماد الذين أحرقوا ، ويتم ، ودموع ، وأنين ووحشية ، وبربرية طال عمرها وأتيح لها السلطان فكانت نقمة وشراً ، ولو ضممنا إلى هذا ما فعله المسيحيون بالمسلمين فى الحروب الصليبية ، وفى الأندلس بعد سقوط غرناطة (٢) ، وما فعله الاستعمار المسيحى بأقطار المسلمين ، لتبين لنا أن المسيحية التى هى دين الرحمة كانت تستغل باباً من العذاب ، وجحيما من التنكيل ، وحشداً من الغل والكراهية والحقد ، كانت جرحاً أليما أصاب الإنسانية ، وكان للبشرية مصدر قلق وآلام وشجون .

---

(١) الدكتور توفيق الطويل : الاضطهاد الدينى ص ٩٠ .
(٢) انظر :
أ — الجزء الرابع من موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف .
ب — الأسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٤٥ .

المسيح والمسيحية عند اليهود

انتهينا من الكلام عن المسيح والمسيحية عند المسلمين ، فلنتكلم الآن كلمة عن المسيح والمسيحية عند اليهود :

وينبغي أن يكون حديثنا هنا ، لا عن المسيح والمسيحية ، ولكن عن عيسى بن مريم وعن الدين الذى جاء به ، أما الكلام عن مسيح اليهود فسيأتى فيما بعد .

والحديث عن عيسى بن مريم عند اليهود موجز للغاية ، فإنه لا وجد فى تاريخ اليهود الدينى ولا فى كتبهم أى ذكر لعيسى بن مريم ، ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه ، فالذى يقرأ كتب اليهود لا يجد لعيسى ذكراً ، وهذا هو الذى حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرْضية ليست حقيقة واقعة .

وإذا تكلم اليهود عن عيسى وقتله ، فليس لأنه مثبت فى تواريخهم المأثورة عن آبائهم ومشايخهم ، ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون عن المسيح فيروون عنهم أحياناً ، وإلا فكتبهم خالية من ذلك .

لماذا أهمل اليهود شأن عيسى ولم يذكروه فى كتبهم ؟

الجواب هو أن عيسى عندهم — إن صح وجوده — رجل عادىّ كفر بدعوتهم فقتلوه ، وهم لا يَجْمَعون فى كتبهم أخبار كل فرد من الدولة ، فهذا رجل انشق فعاقبوه بالقتل ، ولا يستحق بعد ذلك أى ذكر .

ويقول الدكتور إسرائيل ولفنسون إن مسألة قتل المسيح كانت موجودة فى التلمود ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم المسيحية التى كان يقيم بها اليهود (١) .

---

(١) انظر قصص القرآن لعبد الوهاب النجار ص ٤٣٠ .

هذا عن عيسى بن مريم ، أما كلمة «المسيح» فقد وردت فى التوراة، ولا يزال اليهود ينتظرونه ، ويرونه ملكاً عظيما سيأتى ليجعل لهم السلطان على الأرض ويجعل كلمتهم هى العليا ، وجنسهم هو الجنس الأعظم بين أجناس البشر ، وقد جاءهم عيسى بن مريم ، ولكنه دعاهم إلى الأخلاق الفاضلة ، وأراد أن يوجههم وجهة روحية ، وأن يقلل تكالبهم على المال ، ومثل هذه الدعوة لا تجد قلباً سميعا ولا تلاقى تأييداً من اليهود ، فلم يعتبروه المسيح الموعود به ، وثاروا عليه وتآمروا على قتله ... كما ذكرنا، ولا يزالون إلى اليوم — كما قلنا — ينتظرون مسـيحهم الذى يملكهم الأرض ويجعلهم سـادة العالم .

وليس عيسى بن مريم عندهم إلا رجلا عاديا ثار فلقى جزاء ثورته، ولا يستحق رجل عادى كهذا أن يدخل التاريخ ، ولذلك أهملوه كما سبق القـــول .

المسيح والمسيحية فى نظر المفكرين الغربيين

يمكن القول دون تردد إن أغلب المفكرين الغربيين لا يدينون بالمسيحية كما يدين بها عامة المسيحيين ، وكما تعلّمها الكنيسة والقسس، ويمكن القول كذلك إن الثورات التى أشعلها المفكرون المسيحيون فى الماضى ضد المسيحية التى تعلّمها الكنيسة ، لا يزال المفكرون المحدثون يرفعون لواءها وكل ما هناك من فرق أن الكنيسة فى الماضى عدّت أولئك متمردين وحاربتهم حرباً قاسية سقط فيها آلاف الضحايا ، أما الكنيسة اليوم فلم يعد فى يدها سلطان ، فاكتفت بأن حرّمت على أتباعها المخلصين أن يقرءوا ما يكتبه هؤلاء المفكرون مما اعتبرته الكنيسة ضلالات وإلحاداً [1] ، وهذه الحقيقة يدركها كل الذين يقرءون عن المسيحية كتابات المفكرين الغربيين من غير رجال الكنيسة ، وسيرد فى هذا الكتاب اقتباسات تؤيد هذا مما كتبه عدد من هؤلاء المفكرين ، ولكنى آثرت أن أثبت هنا ترجمة كاملة لما كتبه واحد من هؤلاء وهو Gerald L. Berry فى كتابه Religions of the World [2] ولن أحذف من ترجمة ما كتبه Berry إلا تفاصيل قليلة لا تمس جوهر الموضوع .

وقبل أن أبدأ ذلك أسجل حقيقة هامة تختلف فيها المسيحية عن الإسلام اختلافا يكاد يكون تاماً . وتلك الحقيقة هى أن مبادىء الإسلام

---

(١) بناء على قرار الفاتيكان الصادر سنة ١٩٢٩ والذى لا يزال معمولا به حتى كتابة هذه السطور ، تصل الكتب المحظورة قراءتها على الكاثولك الى خمسة آلاف كتاب ، منها جميع مؤلفات ميترلنك ، واميل زولا ، ومنها اكثر مؤلفات رينان ، وجان جاك روسو وديماس الاب وديماس الابن وديكارت ولامينية وفيكتور هوجو ، ومنها انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لجيبون وتاريخ الأدب الانجليزى لتين وافكار ورسائل أقليمية لباسكال وغيرها .

(٢) من ص ٦٨ الى ص ٧٦ .

واحدة عند جميع المسلمين عامتهم ومفكريهم ، فوحدانية الله ، وكون محمد عبده ورسوله والقرآن الكريم ، ونظام المواريث والزواج والطلاق ا وغيرها من أمور الدين والدنيا لا تختلف عند المسلمين عالمهم وجاهلهم ، أما المسيحية فيمكن القول إن هناك نوعين منها ، يتبع المفكرون نوعاً ، وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعاً آخر بعيداً جداً عن النوع الأول .

وهناك حقيقة أخرى تترتب على تلك التى سبق إيرادها ، وهى أن المسلم يزيد حبه للإسلام وتقديره له كلما زاد تعمقاً فى دراسته وتفكيراً فى مبادئه وفلسفته وحضارته وآدابه ، أما المسيحى فعلى العكس من ذلك لأنه كلما زاد تعمقاً فى دراسته المسيحية ظهر له ما بالمسيحية من تعقيد واستحالة ، فيبعد عن مسيحية الكنيسة ويتخذ له مسيحية أخرى ، أو ربما بَعُدَ عن المسيحية كلها واعتنق ديناً آخر ، أو لجأ إلى اللادينية وان بقى اسمياً فى عداد المسيحيين ، ويذكر الأستاذ العقاد بعض هؤلاء المفكرين فى كتابه « عقائد المفكرين فى القرن العشرين[1] » فيقول :

إن الأوربيين الذين خرجوا على سلطان الكنيسة الرومانية ، ظهر منهم أناس يؤمنون بالله ، ولا يؤمنون بالكتب ، ولا بشعائر الكنيسة ، وتسمت منهم طائفة بالربانيين Diests - من كلمة ديوس بمعنى الرب أو الإله ، ومسموا دينهم دين الطبيعة تمييزاً له من دين الكنيسة ، واشتهر من هؤلاء فى البلاد الإنجليزية لورد هربرت شربرى Cherbury المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر ، فدعا إلى دين طبيعى يقوم على أركان خمسة : هى الإيمان بالله والعباد والفضيلة والتوبة واليوم الآخر ، ثم تلاه أنتونى كولنس Collins الذى يعتبره الكثيرون أستاذاً لفولتير وبنيامين فرنكلين فى حرية الفكر ، ويحسبون كتابه « محاضرة فى الحرية الفكرية » Discourse on Freethinking إنجيل هذه النحلة ، ثم تلاه تندال Tindal فألف كتابه الذى جعل عنوانه « المسيحية قديمة كقدم الخليقة » ليثبت به أن الإيمان سابق للكنائس والمذاهب .

---

(1) ص ٦٣ .

والآن هيا بنا إلى أحد المفكرين الغربيين الذى يبين لنا فى المسيحية اتجاهاً يكاد يكون عاماً لهؤلاء المفكرين :

يقـــول Berry :

فى رأى الكنيسة أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مـع الناس كواحد منهم ليعلمهم طـريقةً مُثْلى للعيش ، وقُتِل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه ، ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء ، وقـد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة ، **فالذى يدرس هـذه المسيحية يجدها اقتباسـات من الوثنيـة واليهودية والحيـاة الشرقيـة والرومانية ، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملـة أو محرفة •** فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية التى اقتبستها المسيحية « الكلمة » وهى ترادف « الإله » عند الإغريق لأن الـكلمات لا تفنى بالاسـتعمال كما لا يفنى الإله • • • ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أى فكرة أبوة الإله للخلق ، وفكرة الأخـوة بين النـاس ، كما اقتبست المثالية التى تكلمت عنها اليهودية ــ وإن لم يتبعها اليهود ــ وهى الحب والرحمة والعدالة ، ومن الحياة الشرقية اقتبست المسـيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الـكنائس ، كما اقتبست اسـتعمال الفسيفساء والصور والبخور والأنغام ، أما الحياة الرومانية فقد اقتبست الكنيسة منها النظم التى اتبعتها لتوزيع السـلطان (وسـيأتى مزيد من التفاصيل عن هـذه الاقتباسـات)

وليس من المقطوع به أن عيسى شخص تاريخى ، بل إن ذلك مجرد احتمال ، ولم يبدأ التاريخ الميلادى من ميلاد المسيح كما يُظن ، بل إنه ولد فى عهد أوغسطوس أى فى العام الرابع قبل التاريخ الميلادى فى بلدة الناصرة بفلسطين ، وأمضى الثلاثين سـنة الأولى من حيـاته فى حانوت النجارة الذى كان يملكه **أبوه يوسف النجار** ، ويؤيد علم الآثار القديمـة بعض التأييد الرأى القائل بأنه أمضى وقتـاً طويلا فى الطـواف بالشرق وبأوربا حتى وصل بريطانيا •

وفى سن الثلاثين كان تصور فكرة أبوّة الله وأخوّة الناس قد اكتمل فى نفسه . وصادف فى ذلك الوقت أن أُلْقِيَ القبضُ على « يوحنا المعمدان » (يحيى) ، فخلا له الجو ، فأعلن دعوته ، وكان ذلك فى عهد « تيربريوس » ، وكان لليهود طريقان يقابلون بهما عسف الدولة الرومانية الحاكمة ، وهذان الطريقان هما المقاومة ، وقوة العقيدة ، وقد اختار المسيح الطريق الثانى .

وقد بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة له ، والجديد الذى جاء به هو أنه كان يتكلم كإنسان فى يده نفوذ أكثر من أن يقنع بأن يكون مفسراً وشارحاً ، واستطاع بفصاحته أن يجذب له كثيراً من الأتباع ولم يدّع عيسى قط أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ، ولكن كثيرين من أتباعه (الذين هم فى الأصل يهود ينتظرون المسيح) منحوه هذا اللقب ، وقد نادى عيسى — كما ينادى المصلحون المحدثون — بعالم جديد خال من البؤس والحاجة والشقاء ، بل وخال من الموت ، ولم يخضع عيسى للعادات ولا للقانون ، فأثار غضب الطبقات العليا من اليهود ، وبهذا قدّم للمحاكمة بتهمة ملفقة عن خيانة سياسية ، وكانت المحاكمة أمام بونتيوس بيلاطس Pontius Pilates ولكن هذا لم يَجِدْ أدلة كافية ضد عيسى ، بَيْدَ أن الطبقات العليا من اليهود صاحت تريد قتله فأدين وصلب ، **وبعد صلبه ذاب أتباعه ، وفى خلال السنوات التالية لم يعد أحد يسمع بعيسى ولا بأتباعه** (١) .

وكان عيسى يدعو الناس ليتبعوا مشيئة الله وأن يحسنوا علاقاتهم بإخوانهم وأن يكونوا شفوقين رحماء ، ولأن عيسى اتبع طريقة العظة اليهودية القديمة واجهتْ دعوته فى حياته استجابة كبيرة لدى طبقات العامة ، لأنه جعل لهذه الطبقات مكانة وقيمة ، وتعرّض لمشكلات

---

(١) ومثل هذا ما يقوله Wells فى هذا الموضوع وعبارته : وبعد صلب عيسى انهارت دعوته انهيارا تاما وتخلى عن فكرته أتباعه عن بكرة أبيهم ، ولما اتهم بطرس بأنه واحد منهم قال « لا أعرف هذا الرجل » .
(Outline of History Vol 3 p. 698).

الناس اليومية بطريقة ودية سهلة ، وكان ذكياً جداً ، فيسرت له كل هذه الأمور أن يحصل على الأتباع والمريدين ، ومن مواعظه قوله :

— تعالوا أيها الضعفاء والمثقلون بالذنوب •

— أعطَ ما لقيصر لقيصر وما لله لله •

— ••• فليرجمها منكم من لم يرتكب خطيئة •

وهكذا كانت المسيحية تتجه لتربية روح الأخلاق ، ولم تعط عناية تذكر للجسم والمادة بل حقَّرت من شأنهما فى كثير من الأحيان •

هذا هو عيسى وتلك هى دعوته التى أوشكت أن تفنى بعد موته كما سبق القول ، ومر الزمن وجاء شاءول Saul وهو يهودى رومانى من الفريسيين أحد طبقات اليهود العليا ، لم ير عيسى ولا سمعه يبشر الناس ، وقد لعب شاءول هذا دوراً أنقذ به المسيحية بعد أن أوشكت أن تدخل عالم النسيان الذى ضم كثيراً من أمثال هذه الحركات ، وقد كان شاءول هذا فى أول عهده أكبر أعداء المسيحيين ، فانزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب ، لكنه فجاة تحوّل إلى المسيحية ، واستخدم تجاربه ومكانته ، لينقذ المسيحية ويوجِّهها على نحو ما أراد •

وكان عيسى يهوديا ، وقد ظل كذلك أبداً ، ولكن شاءول كوّن المسيحية عن حساب عيسى ، فشاءول — الذى سمى فيما بعد بولس — هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية (١) ، وكان شاءول يمتاز بأنه صاحب دراية فى السياسة والابتكار ، فى حين كان عيسى صاحب أوهام وأحلام ، وقد أدخل بولس **على ديانته** بعض تعاليم اليهود ليجذب له أتباعاً من اليهود فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلِّص وسيِّد Lord استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التى قال

---

(١) ويقرب من هذا ما يقوله Weils ونص عبارته : ان (يسوع الناصرى هو نواة المسيحية اكثر منه مؤسسا) Outline of History vol 3 p. 679.

بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة فى Mithras و Cybele فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة **بولس** ، **وعمد بولس** كذلك — ليرضى المثقفين — فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق « الكلمة » The Logos أو عن طريق ابن الإله The Sun of God أو عن طريق الروح القدس The Holy Ghost •

وبدأ بولس ديانته فى أنطاكية Antioch حيث نشأ لأول مرة التعبير الشهير Christian (١) أى الانتساب لدين المسيح ، وبدأت تنتشر هذه الديانة فى المدن حيث تكثر الحاجة والفقر ، ثم انتشرت فى بقاع أخرى بعد ذلك ، ورسائل بولس إلى هذه الجماعات التى استجابت لدعوته تمدّنا بالجزء الأعظم من المادة التى تكوّن منها العهد الجديد •

بالإضافة إلى رسائل بولس يتكون العهد الجديد من الأناجيل **الأربعة التى تنسب إلى أربعة من الحواريين (؟) وإن كانت هذه الأناجيل فى الحقيقة ليست من إنتاج هؤلاء الحواريين** ، ولا شك أن تاريخ حياة المسيح ودعوته كانت قد كتبت بلغته الأرامية ، ولكن هذا الأصل قد فقد ، ولعل هذه الأناجيل قد أخذت عنه • وقد كتبت هذه الأناجيل الأربعة باليونانية بعد وفاة عيسى بجيل أوجيلين ، وأقدمها عهداً هو إنجيل مرقص Mark (٦٥م) وآخرها إنجيل يوحنا (١٠٠م) •

وبولس هو المؤسس الحقيقى للديانة المسيحية ، وقد طور فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة ، فقدّم آداباً مستحدثة فى طابع قديم مألوف •

---

(١) لم يسمح عيسى خلال حياته لاتباعه ان ينسبوا انفسهم له ، فكلمة مسيحى أو نصرانى او ما شابه ذلك كانت ممنوعة لان عيسى كان يعد نفسه حلقة من حلقات انبياء بنى اسرائيل ، وكانت شريعة موسى هى شريعته ، ولم تظهر كلمة Christian (مسيحى) الا فى القرن الثالث فى المجلس الذى عقد بمدينة نيس •

انظر : The Sources of Christianity p. 15.

وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية ، **ولم ينفر بولس من الطقوس الوثنية ، بل على العكس اقتبس كثيراً من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها** ، وليبعد ديانته بذلك أيضاً عن أن تذوب فى اليهودية ، ومن الصور التى حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد متبعاً فى ذلك تقاليد Mithras وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود [1] ، واقتبس بولس من الوثنيات كذلك أعياد رأس السنة ، وعيد القيامة ، وعيد الغطاس ، وأطلق عليها مسميات جديدة ، فعيد الربيع عند Ostara أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر Easter ، وطقوس السر المقدس أخذت مكان معبد التضحية عند اليهود ، وعيسى أصبح « ابن الله » حملت به أمه العذراء حملا غير طبيعى ، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حوروس وأوزيريس Herus and Osiris ووضعتا فى كل الكنائس ، وأما المعابد ذات الأعمدة الكثيرة فكانت تذكار الأحراش والغابات ذوات الأشجار الكثيفة التى كانت مكاناً للعبادة لدى الأمم القديمة .

تلك أمثلة مما اقتبسته المسيحية من الوثنية ، ولكن يجب ألا ننسى أنه على الرغم من كثرة ما أخذت المسيحية من الوثنية لم تصر المسيحية وثنية فى روحها ، بل ظلت متمسكة بتحفظها الدينى الذى ورثته من اليهودية . كما حافظت على ابتعادها عن الناحية الجسمانية الشهوانية ، **وقد ظلت المسيحية كذلك طالما كانت مضطهدة ، تحارب لتعرش ، فلما** اصبحت أقوى من أعدائها تغيرت **الأحوال فقل صفاؤها وضعف** ، وظهرت بها الفرق والأحزاب التى استقلت كل منها بتنظيم نفسها ، وأصبح رؤساؤها رجال سياسة وقادة دينيين فى نفس الوقت .

وعند نهاية القرن الثانى كان أتباع المسيحية أكثر من أتباع أى دين

---

(١) خروج ٢٣ : ١٧ وتثنية ٥ : ٣ .

آخر ، وكان الرومان مع تسامحهم تجاه كل الأديان يضطهدون المسيحيين لأسباب ثلاثة :

١ — اعتبرهم الرومان غير مخلصين للوطن لتنبؤهم بسقوط الإمبراطورية ولأنهم امتنعوا عن الخدمة العسكرية وعن شغل الوظائف •

٢ — اعتبرهم الرومان غير متجاوبين مع الاتجاه الاجتماعي في الإمبراطورية لأنهم لم يشتركوا في الأعياد العامة •

٣ — اعتبرهم الرومان أميل للفجور وسوء الأدب لأن أغلب الأسر التي تنصّرت كان مصيرها الفرقة والانحلال •

اعتراف الامبراطورية بالمسيحية وأسبابه ومراحله :

وفي ابتداء القرن الرابع بدأ الأباطرة أمثال Galerius و Constantine **يقدّرون التأييد الضخم الذي يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحيين ليسندوا بذلك الجمهورية التي كانت تهتز وتتهاوى ، ففي سنة ٣١٣ صدر منشور (فرمان) يعترف بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى ، ثم جاء الإمبراطور** قسطنطين الذي بذل جهداً خاصاً ليكسب تأييد المسيحيين ، فأعفى القسس من الضرائب ، وبنى الكنائس على حساب الدولة ، وترك للكنيسة شئونها القضائية ، وجعل يوم الأحد إجازة رسمية ، واستمرت محاباة المسيحية بعد ذلك حتى أخمدت الوثنية نهائياً بقانون ثيودوس الذي صدر سنة ٤٣٨ م وبمقتضاه أصبح على جميع المواطنين أن يصيروا أعضاء بالكنيسة الأرثوذكسية ، وانتشرت الديانة الجديدة كذلك بسرعة بين برابرة الجرمان على حدود الإمبراطورية فعظمت بذلك الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن انتصار الكنيسة نشأ معه شيء حادث هو عقوبة المخالفين عقوبات قاسية تصل إلى الموت •

وازدانت الكنيسة بألوان الثقافات والفنون الإغريقية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى رجال مثل أوجستين وقسطنطين وجريجوري الأول (Augustine, Constantine and Gregory I) وقد أثر الفن المعماري

بالكنائس على الفن المعمارى بالقصــور الرومانيــة ، فظهــرت الأعمدة الكثيرة التى تحمل السقف (وهى فى الحقيقة منحــدرة من المعابد المصرية ومن ديانات الوثنيين كما سبق القول) وأصبحت الــكنيسة تزدان كذلك بالنقوش والفسيفساء والصــور والزجاج الملوّن ، وكثرت بها الآنيــة المرصعة بالأحجار الكريمة ، **وهذه المظاهر الخلابة جذبت للمسيحية أتباعا جدداً ، كما أن ادعاء الكنيسة أن النجاة تتوقف عليها جعــل كثيرين من الناس يتدفقون على دخول المسيحية ، وأعلنت الكنيسة أن التعميد يغسل الماضى ويزيل الذنوب الأساسية ، وأن مداومة الاتصال بالكنيسة تمحــو ما يجدّ من سيئات ، وأذاعت الكنيسة معجزات نسبتها إلى القديســين لتثبت بذلك حقها اللاهوتى وقوتها السامية الإلهية** ، واشتغل الرهبــان بجمع المخطوطات ونسخها وتقديم نسخ منها إلى المكتبات التى تطلبها ، وبذلك حفظت الكنيسة كثيرا من التراث العلمى اليونانى واللاتينى الذى كان على وشك أن يضيع فى ظلام العصور الوسطى •

وقد قلنا من قبل إن الكنيسة استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين وتوزيع السلطات (System of Organisation) ونعود إلى ذلك بشىء من الإيضاح فنقول إنه فى خلال القرون الأولى للمسيحية كــانت هناك تنظيمات قليلة فى الكنيسة لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ، ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت ، كان يلاحظ فيه كبر السن واسمه مستعار من الإغريقية وهــو (Presbys) أى الرجل الشيخ (The Old Man) فلما لم يعد عيسى وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ المسيحيون يعملون نظما أكثر دقة ودواما وهى كالآتى :

١ — أصبح للكنيسة رجال منتطعون لها ولا عمل لهم سواها ، وكل منهم يسمى Priest أى قسيس أو رجل دين •

٢ — أطلق على هؤلاء Clergy أى رجال الدين للتمييز بينهم وبين العلمانيين وهم غير المنقطعين لخدمة الدين •

٣ — كبير القسس فى كل مدينة أطلق عليه Bishop أى أسقف أو مطران •

٤ — الأساقفة فى المدن الرئيسية أطلق على كل منهم اسم Archbishop أى رئيس الأساقفة فى دائرته •

٥ — من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكانة أسمى وأصبح لهم نفوذ كبير ، وأخذ كل منهم لقب Patriarch أى بطريك أو بطريق وهؤلاء رؤساء الأساقفة فى المدن التالية : أنطاكية (Antioch) وبيت المقدس (Jerusalem) والإسكندرية (Elexandria) والقسطنطينية (Constantinople) وروما (Rome) ومن الملاحظ أن أربعة من هؤلاء فى الشرق وواحداً فقط فى الغرب • ويلاحظ كذلك أن أسقفا واحداً غربيا كان قويا وكان صاحب نفوذ وهو أسقف (Carthage) أما باقى الأساقفة الأقوياء فكانوا شرقيين •

٦ — قبل القرن الحادى عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب (Pope) ولكن فى القرن الحادى عشر فى عهد جريجورى السابع (Gregory VII) اختص بهذا اللقب رئيس أساقفة روما •

ذلك هو التنظيم الدينى للكنيسة ، ومن الملاحظ أنه يتبع مراحل التنظيم الإدارى للدولة الرومانية كما سبق القول •

سلطة رئيس أساقفة روما :

وقد استطاع رئيس الأساقفة فى روما أن ينال نفوذا أكبر لعدة عوامل • فروما كانت العاصمة وكان رئيس الأساقفة بها يطمع فى نفوذ يعادل مكانة البلدة التى يشغل منصبه بها ، كما كان هناك اعتقاد أن كنيسة روما قد أسسها St. Peter بتفويض من عيسى نفسه ، ثم إن الذين تولوا هذا المنصب فى العصور الأولى كانوا أقوياء ورجال سياسة مبرزين فوجهوا أنظار الناس لهم • وأخيرا كان لروما أثر واضح فى الدعوة

للمسيحية ، وفى سنة ٤٤٥ أصدر الإمبراطور قراراً يجعل رئيس أساقفة روما رئيساً عاماً للكنائس المسيحية ، (وبعد ذلك بعدة سنوات أخذ رئيس كنيسة القسطنطينية رياسة الكنائس الشرقيـــة) ، وكان ذلك فى عهـد جريجورى العظيم (Gregory the Great) رئيس أسـاقفة روما من سنة ٤٤٠ إلى سنة ٤٦١ فأصبح هذا بمقتضى القرار الســابق رئيســا للكنائس المسيحية كلها ، وفى عهد هذا الرجل حـــدث حادث عظيم هــو استيلاء هذا البابا على السلطة السياسية فى روما وظل السلطان السياسى فى أيدى البابوات اثنى عشر قرناً •

الكنيسة تضم السلطان السياسى للسلطان الدينى :

وقد تم استيلاء هذا البابا على السلطان الســياسى عنــدما بدأت الإمبراطورية الرومانية تنشطر ، فبادرت كنيسة روما فعزلت نفسها من السلطة السياسية للأمبراطورية ، ثم استولت على الأمــور الســياسية بالإضافة إلى الروحانية وكونت الكنيسة بذلك دولة ، وكانت الكنيسة غنية قوية ، فساعدها ذلك على ادعاء أن لها الحق فى أن يمتد حكمها فيشــمل جميع المسيحيين فى كل البقاع **وأذاعت أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة ، وأن البـــابا له الســيادة العليا فى القضـــاء والإدارة ، وأنه المشرّع ، والمفسر النهائى للكتاب المقدس ، وأنه مـــالك مفتاح الرحمـــة** وباب السماء ، وَجَبَتْ الكنيسة الضرائب ، وسيطرت على القضـــاء ، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلهـــا بمخالفيها ، واســـتصدرت قانونا جديدا عكف على إعداده عدد كبير من القسس ، وأصـــبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطئوا ، كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين فى حق الكنيسة كالمنشقين والمارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدســة بدنس •

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ، وكـــان غنـــاها من إيراد الممتلكات الواسعة التى كانت تمتلكها ، ومن جمع الزكـــاة ، ومن الهبات التى طالما كان يوصى بها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيمـــا فى الحياة الآخرة ، وبالتالى أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعى وثقافى•

فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت علـى الجامعات ودور النشر •

واجتمع فى يد الكنيسة جميع شئون الأسرة كالزواج والطلاق وتقييد المواليد والوراثة والوصايا ، وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات ، **وعَدَّ رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله ، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم ، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله ، وأنها منْفَذ الرحمة** ، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذى هو حاجز بين المحروم وباب السماء •

وجذبت هذه المكانة التى استمتع بها رجال الدين كثيرين من الناس ليدخلوا الكنائس ولينضموا إلى رجالها لينعمـوا بهـذا النفـوذ ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة ، وتسبب عن ذلك أن **أصبح هناك عـدد كبير من الجهـلة ورجال الأطماع وعبدة الدنيا محسوبين فى عداد رجال الدين** •

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها زادت طقوسها المقدسة عـدداً ، وتنوعت هذه الطقوس ، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ، وتدخلت هذه الطقوس وهذه الأسرار فى كل شيء ، فى حياة الإنسان وبعد موته ، ثم أَنْقَصَتْ الكنيسة الطقوس إلى سبعة أهمها:

١ ــ تعميد الأطفال عقب ولادتهـم لتُمحى عنهـم آثار الخطيئة الأصلية ، وليُعطى الطفل شيئًا من الحرية والمقدرة لعمل الخير •

٢ ــ العشاء الربانى ، وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف، وقد ارتبط هذا القداس بخبر إعجازى ، وهو تحوّل هذا الماء أو الخمر إلى دم عيسى وتحول الخبز إلى عظامه ، ويجرى هذا القـداس مرتبطاً بالأنوار والعطور والزهور •

٣ ــ الاعتراف ، ويتبع الاعترافَ الغفرانُ ، وكان الاعتراف يتكرر

عدة مرات مدى الحياة ، ولكن منذ سنة ١٢١٥ أصبح لازما مرة واحدة على الأقل ، وسنتحدث عن الاعتراف وما جرّه من فضائح عند الحديث عن حركة الإصلاح الدينى •

٤ — حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة •

٥ — حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام •

(انتهى ما كتبه Berry)

ولنا تعليق سريع على ما كتبه Berry ذلك هو أن رأى هذا العالم الأوربى الكبير لا يجعل أى ارتباط بين عيسى وبين المسيحية الحالية ، ويؤكد أن المسيحية الحالية من صنع بولس ، وسنزيد هذا الموضوع دراسة فيما بعد •

المسيح والمسيحية فى نظر المسيحيين

ليس من السهل فى الحقيقة أن نتحدث عن المسيح والمسيحية فى نظر المسيحيين كما تحدثنا عن المسيح والمسيحية فى نظر غيرهم ، وسبب ذلك أن فِرَقَ المسيحيين متعددة ، وأن عقائد المسيحية مختلفة باختلافهم . ثم إن المسيحيين كانوا يعتقدون اعتقاداً ثم مرّ الزمن فتغير ذلك الاعتقاد أو زِيد عليه ، ومعنى هذا أن الفكرة عن المسيح والمسيحية اختلفت باختلاف الجماعات واختلاف الأزمان ، ومع هذا فسنحاول أن نجعل هذه الدراسة شاملة لأبرز هذه التطورات والاختلافات ، بيد أنا هنا نبدأ فى بيان المعالم العامة الشهيرة للمسيح والمسيحية كما تعتقدها الكنائس اليوم وتعلّمها ، وكما يتبعها جماهير المسيحيين وعامتهم (١) ونسارع فنشير هنا إلى ما سيأتى تفصيله فيما بعد من أن الكنائس من كاثوليكية وأرثوذكية وبروتستانتينية وغيرها تختلف فى الفروع ، أما الأصول كألوهية المسيح والتثليث فليست موضع خلاف ، فإذا اعتمدنا فى بيان الأصول على مصدر كاثوليكى هام مثل Pengadjaran Geredja Katolic فإنه لا يعطينا فقط فكرة الكاثوليك فى هذه الأصول ، وإنما يعطينا فكرة الجميع ، وسنعتمد فى دراستنا هذه كذلك على الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين ، وعلى مصادر أخرى أكثرها أو كلها مسيحية كتبها مسيحيون شرقيون أو غربيون لنعرض أفكار المسيحيين كما يعتقدونها دون تحريف ، وليس لنا على ما سنورده من هذه المصادر المسيحية إلا التعليق الذى هو طبيعة الكاتب وروحه ، والذى لا غنى لمؤلف عنه .

المسيح فى نظر المسيحيين :

ليس المسيح فى نظر المسيحيين إنسانا ولد على الطريقة التى ذكرها

---

(١) واعتقاد الكنيسة وعامة المسيحيين يختلف عن اعتقاد المسيحيين المثقفين الذى ذكرناه فيما سبق ممثلا فى رأى Berry وغيره .

المسلمون ، بل هو تكوين آخر ، إنه ابن الله الأزلى ، وهو كالأب أزلى أيضاً، فليس بينه وبين الله فرق فى الزمن ، والله الأب غضب على الجنس البشرى بسبب خطاياهم وبخاصة خطيئة أبيهم آدم التى أخرجته من الجنة ، ولكن مع غضب الله على الجنس البشرى فهو رحيم ، يريد أن يمحو هذا الذنب ويعيد رضاه عن الناس ، **فأرسل ابنه ووحيده إلى الأرض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول ، وولد كما يولد الأطفال ، وتربى كالأطفال حتى بدا إنسانا كالبشر ، ثم صُلب ظلما على الصليب ، لا لأنه ارتكب خطأ فى حق الرومان أو اليهود ، بل ليكفّر عن إثم آدم الذى أصبح المسيح كأنه** أحد أبنائه ، فكأنه احتمل بعض مسئولية عصيان أبيه آدم [١] ، وسيجىء فيما بعد مزيد من التفصيل لهذا الموضوع .

ويرى المسيحيون أن وفود الملائكة بدأت تظهر فى الجو مسبّحة فى الحقول المجاورة لبيت لحم عقب مولد المسيح ، وأن نجما لاح فى السماء يشير بمولد المخلّص ، وأن جماعات المجوس تبعوا ذلك النجم الذى هداهم إلى مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له [٢] ، وأن هيرودوس ملك اليهود لما علم بذلك خاف على ملكه من المولود الجديد فقد كان يعرف أن ملكه يزول على يد مولود معاصر فى بيت لحم ، فأصدر أمره بقتل كل مواليد بيت لحم .

المسيح وأمه فى مصر :

ولكن الله أوحى إلى يوسف النجار أن يأخذ الطفل وأمه ويذهب إلى مصر [٣] فأخذهما وحلّ بهما فى دير المحرق بجبل قسقام بمحافظة أسيوط ، حيث أقاموا بضعة أشهر ، حتى جاء الوحى مرة أخرى ينبىء يوسف بأن ملك اليهود هذا قد هلك ، ويأمره بالعودة إلى فلسطين [٤] ، فقاموا ومرّوا فى طريقهم بالمطرية واستظلوا فترة بشجرة سميت منذ

(١) باختصار من Pangdjaran Geredja Katolik pp. 47;52 65;69.
(٢) متى ٢ : ١ — ٩ .
(٣) متى ٢ : ١٩ — ٢٢ .
(٤) متى ٢ : ١٣ — ١٤ .

ذلك الحين بشجرة العذراء • ولم يتفق المؤرخون على المدة التى استغرقتها هذه الرحلة وتتراوح أقوالهم بين سنة وأربع سنوات (١) •

ولما عاد المسيح إلى فلسطين أقام مع أمه بالناصرة ، وكانت مريم ويوسف وعيسى يذهبون كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ثم يعودون بعد أيام ، وحدث مرة أن الطفل اختفى منهم فى أورشليم ، فلما بحثوا عنه وجدوه جالسا فى الهيكل يناقش العلماء ، وكانت سنه آنذاك اثنتى عشرة سنة (٢)

بدء الدعوة :

ولما بلغ الثلاثين من عمره بدأ يبشر فى مدينة الجليل ، كما أنه أخذ يعظ الناس فى كثير من الأحوال بمدينة كفر ناحوم وما حولها • يعظهم هناك فى البيعة اليهودية ، ثم هبط إلى أورشليم •

وكان دخول أورشليم نصراً سلميا • إذ اجتمع حوله فى الجليل عدد عظيم من الأتباع ، حتى كان يضطر فى بعض الأحايين أن يعظ الناس من زورق فى بحيرة الجليل بسبب تراحم الجمهور على الشاطىء ، وتسامع الناس به وسبقته شهرته إلى العاصمة ، فخرجت جماهير غفيرة لتحيته عند قدومه إلى العاصمة ، وواضح أنهم لم يفهموا اتجاه تعاليمه ، وأنهم جميعا كانوا يشتركون فى اقتناعهم بأنه سيقلب النظام القائم بضربٍ من سحر البرِّ والصلاح ، وقد دخل المدينة راكباً جحشا استعاره من تلاميذه والجمهور يرافقه رافعاً صوته بالتهليل والتكبير هاتفاً بكلمة (أوصانا !! Hosanna)وهى لفظة تعبر عن الفرح •

صراع مع الشعوذة اليهودية :

وذهب توًا إلى الهيكل • وكانت أقنيته الخارجية غاصة بمناضد

---

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط ج ١ ص ٤٤ •
(٢) لوقا ٢ : ٤١ — ٤٧ •

الصيارف وبخوانات أولئك الذين يبيعون اليمام لكى يحرره زوار المعبد الأتقياء !! وانبْعثَ هو وأتباعه يطردون هؤلاء المتّجرين على حساب الدين وقلبوا لهم مناضدهم ، وتكاد هذه أن تكون فعلته الإيجابية الوحيدة [١] .

وقد حاول الشيطان أن يخدعه ولكن المسيح طرده ، واختار من أتباعه اثنى عشر مريداً لقبّوا بالحواريين ، وقد لازمه هؤلاء مدة دعوته. ثم اختار من أتباعه من أرسلهم إلى القرى للتبشير ، وأيده الله بالمعجزات العظيمة ، فكان يحيى الموتى ، ويشفى المرضى ، ويفتح أعين العمياء ، ويخرج الأرواح النجسة ، وينهر الرياح إذا ثارت فتهدْأ ، والبحر إذا أصخب فيخضع [٢] .

مؤامـــرة :

ولما رأى اليهود أن شأن المسيح سيرتفع جُنّ جنونهم ، فاجتمع رؤساء الكهنة والفرّيسيون ، بالحَبْر الأكبر كايافاس «Caiaphas» وراحوا يتآمرون ويتشاورون ، فقال رئيس الكهنة : « إنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك أمة كلها » وقرروا قتله ، وأخذوا يثيرون عليه بيلاطس حاكم فلسطين من قبِل الرومان ، ولما رأوا أن هذا لا يريد أن يتدخل فى الشئون الدينية لليهود ، تقدموا إليه مدّعين أن عيسى أخذ يفسد الأمة وأنه يمنع أن تعطى جزية لقيصر [٣] ، ويدعى أنه مسيح ملك [٤] ، بل توعدوا بيلاطس أن يرفعوا الأمر لقيصر إنه هو قصر فى إنزال العقوبة بعيسى ، ولما رأوا تردده وخوفه على نفسه من دم عيسى صاحوا به : دمه علينا وعلى أولادنا .

وهكذا أثّر اليهود على بيلاطس فأمر بالقبض على عيسى ، وأحس

---

(١) Wells ; Outlne of History vol 3 p. 692.

(٢) وردت هذه المعجزات فى عدة أمكنة من الاناجيل الاربعة .

(٣) كان القيصر آنذاك هو « طيبريوس » .

(٤) لوقا : الاصحاح ٢٣ الفقرة الاولى وما بعدها .

عيسى بذلك فاختفى مع حوارييه فى حديقة جثيمانى Gethemane ، ولكن يهوذا الأسخريوطى أحد الحواريين تقدم للكهنة وساومهم على تسليمه للرومان نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وقاد يهوذا جند الرومان حيث قبضوا على عيسى ، ودفع اليهود بيلاطس فحكم عليه بالموت صلبا (١) ، ونكل به الجنود الرومان ثم صلب حتى مات ودفن ، وبعد ثلاثة أيام أمضاها فى القبر قام فى الفصح ، ومكث أربعين يوماً مع تلاميذه خاصة ، ثم ارتفع إلى السماء أمامهم بعد أن أوصاهم بالجد فى نشر دعوته باسم الأب والابن والروح القدس (٢) .

وهذا الموضوع الأخير وهو ارتفاع عيسى إلى السماء وتلاميذه يرونه ، موضوع يدعو إلى التفكير ، فالآراء المسيحية مجمعة كما سيأتى على أن عيسى تجمع فيه اللاهوت والناسوت ، وأن الجانب الذى كان يرى ويأكل ويتكلم ويمشى ويتألم هو جانب الناسوت فى عيسى ، وإذا صح هذا الكلام فلماذا يصعد هذا الجانب أو هذا الجسم إلى الطبقات العليا كان من الطبيعى أن الناسوت انتهت مهمته فحق عليه الفناء بالصلب كما يفنى كل الناس . وأن الذى يعود إلى العليين هو جانب اللاهوت فى عيسى وهو جانب لا يرى وليست به صفات البشر .

صورة جديدة اقترحها بولس للمسيح :

والذى رسم للمسيح هذه الصورة هو بولس الذى سنتكلم عنه فيما بعد وهى صورة قلبت الفكر الذى ينسب للمسيح ، وبين أيدينا كتاب هام ألفه رائد مسيحى وقس متبحر ، ولكنه يصدق القول عندما يقول إن المسيح الذى نتكلم عنه الآن هو « مسيح بولس » وفيما يلى عبارة هذا المؤلف :

---

(١) الاناجيل الاربعة وتاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنوده ص ٥٦ والمشرع للقس بولس شباط ص ٩٤ — ٩٥ .

(٢) انظر قصة محاكمة المسيح وصلبه فى متى الاصحاح ٣٧ وانظر المشرع ص ١٠٥ وتاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنوده ص ٦٥ — ٦٧ .

لقد ترك لنا بولس الرسول عن المسيح رسما واضح القسمات وإن اختلف ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل ، فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ • ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتى لم ير المسيح فى الجسد ولا رافقه كباقى الرسل ، فمسيحه هو ابن الله (روما ٨ : ٣ و ٢٣ — غلاطية ٤ : ٤) له طبيعتان إلهية وإنسانية ، تجسَّد واتخذ صورة عبد (فيلبى ٢ : ٧) وتحدَّر من ذرية إبراهيم حسب الجسد (غلاطية ٣ : ١٥) ومات مصلوبا وقُبِر وقام من بين الأموات (كورنثوس الأولى ١ : ٢٤ و ٢٧ وفيلبى ١٥ [١]) •

نعم ذلك هو مسيح بولس وليس عيسى بن مريم عليه السلام •

وهناك وصف آخر دقيق لشخص عيسى فى وضْعَيْه الحقيقى والمزعوم وهذا الوصف يقدمه Wells ، ويجدر بنا أن نورده هنا ، يقول Wells :

كما أن شخصية جوتاما بوذا قد شُوِّهت وانطمست وراء تلك الصور الجامدة الوثنية المتربعة التى تمثّل شخصية بوذا فى البوذية المتأخرة ! ، فكذلك يشعر المرء أن شخص عيسى النحيل المكدود قد أضرّ به كثيراً ذلك الجو الوهمى وتلك الروح التقليدية اللذان فرضهما على صورته فى الفن المسيحى الحديث تبجيل" خاطىء أجوف ، لقد كان عيسى معلما ذا خصاصة ، يتجول فى « أرض يهودية » المُتْرَبَة اللافحة الشمس • ويعيش على هبات عرضية من الطعام • ومع ذلك فإنه يصوَّر على الدوام نظيفاً ممشَّط الشعر ، مرجَّلَه ، صقيل الإهاب ، نقى الثياب ، مستقيم العود • ومن حوله سكون لا يريم كأنما هو منزلق فى الهواء • وهذا وحده قد جعله وهماً لا يؤمن به الكثير من الناس الذين لا يستطيعون أن يميزوا بين لباب القصة وبين زخرف استطرادات التحسين والتحلية غير الموفقة التى يضفيها بعض المتبتلين الأغنياء [٢] •

---

(١) الاب بولس الياس . يسوع المسيح ص ١٧ — ١٨ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٧ .

خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون

وقبل أن نترك الحديث عن المسيح وأمه إلى الحديث عن المسيحية ، يجدر بنا أن نقف وقفة مع السيدة العذراء بمناسبة حادث خطير وقع بمصر سـنة ١٩٦٨ ٠

والذى يطالع الأناجيل الأربعة بعناية وعمق لا يجد بها لمريم البتول أكثر مما أوردته المصادر الإسلامية ، فليست لها قدسية خاصة ، وكل ما تناله من إجلال يرتبط بأنها أم عيسى ، وليس فى الأناجيل قط ما يثبت لها معجزات فى حياتها ، ولا أى دور من الدعوة ٠

بيد أن بعض المسيحيين فى مصر اتجهوا فى القـرن العشرين اتجاها عجيبا ليثبتوا أن السيدة العذراء تظهر للناس وتشفى الأمراض ، ومن الواضح أن هذا الاتجاه عودة للفكر المسيحى بالنسبة لفهم التاريخ ، ذلك الفكر الذى شرحناه فى الجزء الأول من موسوعة التاريخ الإسـلامى ، والذى يقضى بأن التاريخ البشرى ليس تاريخ أحداث وحضارات وإنمـا هو تاريخ خوارق ومعجزات يتحتم قبولها دون تفكير فيها ٠ ولكن هـذا الاتجاه نحو التاريخ مات منذ أمد بعيد فى العالم كله وسخر المفكرون منه٠ ثم جاء مسيحيو مصر فعادوا بعقارب السـاعة للوراء ورجعوا بالفـكر التاريخى إلى الخرافات والترهات ، وقد نفخوا فى هذه الخرافات بـكل قواهم فترة من الزمن ثم ماتت خرافاتهم فى مدى وجيز :

فقد انتهز بعض المسيحيين بمصر فرصة الهزيمة النكراء التى حلت بجيشنا فى يونيو سنة ١٩٦٧ بسبب اضطراب القيادة السياسية والعسكرية ولم يشاءوا أن يشاركوا الشعب آلامه ، ورأوا أن القيادة السياسية كانت تتلمس الطريق لإرضائهم ولو على حساب الحق والاسلام ، فلم يضيعوا هذه الفرصة ، وأرادوا أن يكسبوا جولة من النصر ، فادعوا أن العذراء ظهرت للناس وأعادت الإبصار للعميان والقوة للكسيح ٠

وخرجت صحيفة « وطنى » المسيحية تهلل وتذيع ، ولم يعد لها من عمل إلا تأييد هذه الفرية الهزيلة ، وقد حاولتُ آنذاك كما حاول غيرى أن نرد هذا الباطل ، ولكن أوامر القيادة السياسية منعت أى نقاش فى هذ، الموضوع ، فسكتنا حتى أذن الله للحق أن ينبلج ولصوت الباطل أن يخفت ، ولكن ذلك لم يتم إلا بعد ضحايا كثيرين سقطوا فى الزحام الذى جمعته الدعاية الظالمة ، وبدل أن تشفى العذراء المرضى تسببت هذه الفرية التى ارتبطت بالعذراء فى قتل الأبرياء ٠

ومعى الآن كتاب كتبه باحث مسيحى أوربى يعرض هذه المهزلة ومنه تقتبس كلماته ليكون صوتا مسيحيا يردُّ باطل أهل دينه ٠

باحث مسيحى يدحض هذه الفرية :

يقول Otte Meinardus فى كتابه :
Christian Egypt : Faith and Life

« فى شهر مارس سنة ١٩٦٨ صرخت كنيسة العذراء بالزيتون بشارع طومان باى صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها ، وأنها تشفى المرضى وتُعيد الإبصار للعميان ، وقد سمع بهذه الصرخة آلاف من المصريين فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل ، ولم تقتنع القيادة المسيحية بمصر بأن يُذاع مثل هذا الخبر دون توثيق فأرسل البطريرك كرولس السادس مطرانَ بنى سويف ليرى ذلك بنفسه وليعلنه بصفة رسمية ، وفى الثانى من أبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء فى هذه الكنيسة ، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها الطبيعى ، أو ظهر النصف الأعلى منها ، وقد أذاع المطران هذا الاعلان فى مؤتمر صحفى ذاكراً أنه رأى العذراء بنفسه ، وأن آلاف الناس رأوا ذلك معه [1] ٠٠ »

ويقرر المؤلف أن الذى ظهر ليس إلا انعكاسا ضوئيا ، وليس بحال من الأحوال ظهوراً للعذراء ، كما يقرر الحقيقة التى ذكرناها وهى أن العذراء لم تكن تشفى المرضى وهى حية منذ ألفى سنة ٠ ويذكر كذلك

---

(1) Christian Egypt p. 265

أن البطريرك لم يتجه بنفسه إلى كنيسة العذراء إلا بعد أربعة أشهر من هذا الإعلان ، مما يدل على تهاونه به ، ولو حدث ظهور" للعذراء فعــلا لأسرع لاستقبالها والسجود لها . ولكن سلوكه كان أقل حماسا وانفعالا من معظم الاقباط (١) .

ويستمر المؤلف فيقول إن الكنائس فى شــبرا وفى المعــادى أخذت تتنافس فى ادعاء هذا الأمر لتجذب لها جماهير المخــدوعين ، بل وصــل الأمر إلى كنائس شتى فى جميع بلاد الشرق الأوسط أخذت تدّعى هــذا الادعـــــاء (٢) .

ويختتم المؤلف وصفه لهــذه المســألة بحــديثه عن كارثة بشرية تسببت عنها ، فيذكر أنه فى ١٩ مايو سنة ١٩٦٨ قـُتـِل وطئاً تحت الأقدام حوالى خمسة عشر شخصاً فى زحام داخل كنيسة شبرا وبهــذا الحدث الجلل توقف هذا الباطل وقـُطـِعت ألسنة الكاذبين .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٩ .

المسيحية الحالية وواضعها

سيكون حديثنا هنا — كما قلنا آنفاً — عن مسيحية اليوم • مسيحية الكنائس • ولكن حديثا كهذا يستلزم أن نترجم لمنشىء هذه المسيحية وواضع أسسها ومدوّن قوانينها ، ذلك هو شاءول الذى سُمِّىَ فيما بعد بولس والذى يقول عنه Berry فيما أوردناه سابقاً « إنه هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية » ويقول عنه Wells : « إن كثيرا من الثقات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقى للمسيحية [1] » وستكون ترجمتنا لبولس ومبادئه مأخوذة من رسائله المعتمدة لدى الكنائس • وستضع هذه الترجمة فى أيدينا مفتاحاً نفهم به هذه الديانة فهماً أقرب إلى الصواب • فلنرجىء — إلى حين — حديثنا عن المسيحية فى نظر المسيحيين لنتكلم عن مؤسس هذه الديانة • عن « بولس الرسول » •

شاءول (بولس) :

أول ما نذكره عن شاءول هو مقتطفات مما كتبه هو عن نفسه أو كتبها عنه تلميذه لوقا ، ننسق بها تعريفا به ، قال بولس :

— أنا يهودى فريسّى بن فريسى على رجاء قيامة الأموات [2] •

— سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية ، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها • وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرةً فى تقليدات آبائى [3] •

ويقول لوقا عنه فى أعمال الرسل : وكان شاول راضياً بقتل **المسيحيين ، وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا**

---

(1) Outline of History vol. 3 p. 695.
(2) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ •
(3) غلاطية ١ : ١٣ — ١٤ •

ونساء ويسلمهم إلى السجن [١] ، ولـم يزل ينفث تهديداً وقتلا عـلى تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسـائل إلى دمشق ، حتى إذا وجد أناساً فى الطريق رجالا أو نسـاء يسـوقهم موثقين إلى أورشـليم [٢] .

وعجباً أن توجد هذه الصفات فى إنسان ثم يصبح رسولا ومؤسس ديانة .

وعن دخوله المسيحية يقول لوقا : « وعند ما كان بولس قريبـاً من دمشق ، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض ، وسـمع صوتاً قائلا له : شاءول شاءول لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى تضـطهده . فقال وهو مرتعـد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرِّز بالمسيحية . ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملةً ذات بال غيَّرت وجه التاريخ هى : « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله [٣] » ولم تـكن هذه الفكرة قد عُرِفت من قبل ، فأصـبحت نقطة التحـول فى الدراسـات المسيحية ، وقد حدث هذا التطور لشاءول أو حدث فى تفكير شاءول وهو فى الطريق من أورشليم إلى دمشق ، وكان ذلك حـوالى سـنة ٣٨ م ، وسنعود فيما بعد لحديث أوسع يتصل بالتعاليم التى نادى بها شـاءول وأسـسها .

وقد دخل بولس المسيحية وأصبح معلماً لها ، وتمّ ذلك بهذا النسق الذى يصدّقه قوم ويراه آخرون قصة مخترعة لم يُجِـدْ حَبْكَهَا ، ولكن هذا ينقلنا إلى سؤال آخر دقيق هو :

---

(١) أعمال ٧ : ٦٠ ، ٨ : ٣ .
(٢) أعمال ٩ : ١ — ٢ .
(٣) أعمال ٩ : ٣ — ٢٠ .

كيف تعلم شاول المسيحية ؟ أو مَنْ هم أساتذة شاول فى المسيحية؟

إن شاول قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية، فهى إما أن تقبل وإما أن ترفض ولكنها على كل حال لا تُنَاقش . قال : أعرفكم أيها الإخوة ، الإنجيل الذى بشَّرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علِّمته من إنسان ، بل بإعلان يسوع المسيح (١) .

وهكذا أخذ شاول — الذى أصبح يدعى بولس بعد دخوله المسيحية — الزمام فى يده ، فهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يتكلم ، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، صلة أدخلته المسيحية وسكبت فى نفسه تعاليم جديدة . وبهذه الدعوى لم يصر لأحد حق فى أن يناضله فيما ينشره من تعاليم . ما دام يقول إن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح.

وعلى هذا لم يكن لبولس أساتذة تلقى عنهم المسيحية ، فهل كان له زملاء ؟ وهل كان له تلاميذ ؟

نعم كان له زملاء وكان له تلاميذ ، ففى وسط المحنة التى كان يمر بها المسيحيون استخف الطربُ المسيحيين عندما رأوا بولس أكبر أعدائهم ينضم إليهم ، وقد تشكك بعضهم فى أمره ولكن برنابا دافع عنه وأحسن تقديمه إلى هؤلاء (٢) وبعد أن أعلن بولس فكره الذى يتنافى مع المسيحية الحقيقية ، نفر منه زملاؤه وتلاميذه كما سنرى فيما بعد ، ولم يبق معه إلا تلميذه لوقا . ويقول عنه بولس « إنه الطبيب الحبيب (٣) » وآمن لوقا برسالة بولس وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها . فخدم أستاذه وأحله محلا رفيعاً لا يقل عن مقام عيسى نفسه . وكتب لوقا رسالة أعمال الرسل . ولكنها فى الحقيقة قصة حياة بولس فهى لبولس كإنجيل متى ومرقص للمسيح . كلها وصف لأعماله وإشادة بمعجزاته . وكتب

---

(١) غلاطية ١ : ١١ — ١٢ .
(٢) أعمال ٩ : ٢٦ — ٢٧ .
(٣) كولوسى ٤ : ١٤ .

لوقا إنجيله فأفرغ فيه أفكار أستاذه ، وهكذا تبادل بولس ولوقا المدح والمنفعة فأصبح لوقا فى الصف الأول إذ أصبح من كتبة الأناجيل مع أنه هو وأستاذه لم يريا عيسى قط • وأصبح « الطبيب الحبيب » • وكافأ لوقا أستاذه على احتفائه به فأصبح خير داعية لأفكار بولس • واختلطت أفكار بولس ولوقا حتى قال القديس ترتليانوس أسقف قرطاجة : إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس [١] •

بولس يدعو لمذهبه ويهاجم سواه :

وقد سبق أن تكلمنا عن الاضطهادات التى واجهت المسيحية منذ عهدها الأول ، تلك الاضطهادات التى كان عيسى نفسه ضحيتها • وقد استمرت الاضطهادات بعد عيسى فأحاقت بحوارييه وأتباعه • وكان من أسباب ذلك أن فنيت المسيحية أو أوشكت • ويقول Perry : وبعد صلب المسيح ذاب أتباعه واختفت دعوته ولم يعد أحد يسمع شيئا عن هذه الدعوة [٢] •

وفى خلال هذا الظلام الحالك ظهر بولس ، وأحاط نفسه بالضمانات التى سبق أن أوردناها ، فلم يقيد نفسه بما تلقاه غيره عن عيسى **بل راح يقول فى صراحة إنه الوحيد الذى أؤتمن على المسيحية الصحيحة [٣] وعلى إنجيل مجد الله المبارك • [٤] • وأن كل ما يخالف ما يقول به من تعاليم ، كلام باطل دنس ، مخالف للعلم ، كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان ، ولهذا يجب الإعراض عن مثل هذا الكلام [٥] •**

يا لله !! كيف جاز لمعلم دينى أن يصف زملاءه بهذه الأوصاف ؟

وراح بولس يعلن ديانة استمد لها عناصر من الثقافات الأجنبية التى كان بولس على علم واسع بها • يقول Wells « وقد أوتى بولس قوة

---

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٢١ •
(٢) Religions of the World p. 89.
(٣) تيطس ١ : ٣ •
(٤) تيموثاوس الاولى ١ : ١١ •
(٥) تيموثاوس الاولى ٦ : ٢٠ — ٢١ •

عقلية عظيمة ،كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية : فتراه على علم عظيم باليهودية والميثرائية وديانة ذلك الزمان التى تعتنقها الإسكندرية • فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم • ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهى فكرة « ملكوت السموات » **ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية [١] »** •

الفرق بين المسيحيتين :

يقول Wells فى مكان آخر [٢] :

من الراجح جداً أن بولس تأثر بالمثرائية ، إذ هو يستعمل عبارات قريبة الشبه بالعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ « رسائله » المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل ، أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نُسِبَ لعيسى من أقوال وتعليم ، ألا وهى فكرة الشخص الضحية الذى يُقَدَّم قرباناً لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشّر به عيسى كان ميلاداً جديدا للروح الإنسانية ، أما ما بشّر به بولس فكان الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة ، كان عيسى فى نظره حمل عيد الفصح ، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس أو الخطيئة •

ولا زلنا على ذكر بما نقلناه من قبل عن Berry الذى يكرر عدة مرات أن المسيحية الحالية مسيحية بولس ، وأنها ديانته ، وهو مُنشئها ، ولعل من الخير أن نعيد هنا عدة سطور مما سبق أن أوردناه ، ليكون موضوعنا أكثر وضوحا ، يقول Berry « وكان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبداً ولكن شاءول كوّن المسيحية على حساب عيسى • فشاءول هو

(١) A Short History of the World pp. 178 - 179.

(٢) Outline of History Vol. 3. p. 696.

فى الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صورا من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعا له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد Lord استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التى قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة Cybele and Mithras فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس ، وعمد كذلك — ليرضى المثقفين اليونان — فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة The Loges أو ابن الإله The Son of God أو الروح القدس «The Holy Ghost» »[1]

ابتكارات بولس فى المسيحية :

ونبرز هنا بإيجاز نقاطا كبيرة الأهمية **كانت عماد ديانة بولس بسطنا** القول فى بعضها من قبل وسنعود إلى البعض الآخر بالشرح والتفصيل فيما بعد ، وهذه النقاط التى ابتدعها بولس هى :

١ — أن المسيحية ليست دينا لبنى إسرائيل فقط ، بل هى دين عالمى

٢ — التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

٣ — كوْن عيسى ابن الله ونزوله ليضحى بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر .

٤ — قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر .

ولعل الموضوع الأول وهو كون المسيحية دينا عالميا كان نقطة التحول فى تاريخ هذه الديانة ، ولاشك أن بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية ، وأفاض فى شرحها فى رسائله [1] **واعترف « أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعاً** ليبشر بها بين الأمم ولينير الجميع

---

(1) Religions of the World p. 70.

(٢) انظر رومية ١ : ٥ ، ١٤ — ١٦ و ٢ : ٢٥ — ٢٩ وكورنثوس الاولى ١٢ وغلاطية ٣ : ٢٦ — ٢٩ وافسس ٢ : ١٢ وما بعدها و ٣ : ٨ وكولوسى ٣ : ١١ .

فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور [١] » ويعترف الكتاب المسيحيون أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هذه الحقيقة حتى اكتشفتها عبقرية بولس يقول William Pataun ما نصه « ولم يفقه التلاميذ الأولون فى بادىء الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية وعرف أنها لليهودى والأممى والبربرى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز [٢] **« ومن الواضح للذى يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره ، شأنه فى ذلك شأن التدليل على عدم ضرورة الختان وعلى كثير من التعاليم [٣] .**

وقد قلنا آنفاً إن عالمية المسيحية كانت نقطة التحول فى تاريخ هذه الديانة ، وذلك لأن **فَتْحَ باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يُدْخِلَ على ديانته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذى فُتِحَ لهم باب المسيحية** ، وبخاصة الوثنيون الأوربيون واليونانيون ، وأتباع ديانة متراس وغيرهم ، ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ليُكَفِّر بنفسه عن خطيئة البشر ، وبعدم ضرورة الختان . وغير ذلك من العقائد والشعائر التى لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها ، فتدفق الغربيون لذلك على دين بولس بينما نفر منه الشرقيون ، وكان هذا سبباً فى نقل المسيحية من دين شرقى إلى دين غربى تقريباً .

بولس يسترضى السادة :

وعمدت مهارة بولس إلى إرضاء طبقة السادة والطبقة الحاكمة فجعل

---

(١) افسس ٣ : ٨ — ٩ .
(٢) Christianity ضمن كتاب « اديان العالم الكبرى » ترجمة حبيب سعيد ص ١١٧ .
(٣) انظر رسالة بولس الى اهل رومية ٥ : ١٢ وما بعدها و ٩ : ٧ وما بعدها .

طاعتهم دينا كإطاعة المسيح ، قال للعبيد « أيها العبيد أطيعوا سيادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدعة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس [١] » ويقول فى رسالة أخرى « جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه [١] » ويكتب إلى تلميذه تيطس « ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا [٣] » .

تحـــــــول :

وعلى هذا شهد العقد الرابع والخامس من الميلاد المسيحى دين عيسى وهو يذبل ، وتفنى بعض مراجعه ويختفى البعض الآخر ، وينتشت أتباعه ويخبو ريحه ، كما شهد هذان العقدان دينَ بولس وهو ينبثق باسم المسيحية ، وتوضع له المراجع فى صورة أناجيل ورسائل ، وتتحدد قواعده وأركانه وتنهال عليه الجماهير ، ويبدو أن أتباع بولس وجدوا أحياناً لونا من التسامح وبخاصة من الطبقة الحاكمة التى لم تجد فى اتجاه بولس ما وجدته فى اتجاه عيسى من عنصرية ، ومن حثٍّ على عدم شغل الوظائف ، وعدم الخدمة العسكرية وغيرها مما يثير الحكم ، فقلَّ اضطهاد الحكام لهم من أجل ذلك .

وهنا نعود إلى السؤال الذى سبق أن أوردناه ، وهو الحديث عن زملاء بولس وتلاميذه فنتساءل مرة أخرى :

ما موقف الحواريين وأتباع عيسى الحقيقيين من أفكار بولس ؟

الجواب على ذلك أن صراعاً ضخماً قام بين بولس وأنصاره من جانب وبين المسيحيين الحقيقيين من جانب آخر ، وقد طال مدى هذا الصراع ،

---

(١) افسس ٦ : ٥ — ٧ .
(٢) تيموثاوس الاول ٦ : ١ .
(٣) تيطس ٣ : ١ .

وامتد قروناً بعد وفاة بولس ، ونتائج هذا الصراع كانت مطابقــة *للمنطق والعقل ، ففى جانب بولس كانت قلة* محدودة جدا من *المثقفين المسيحيين* ، وكثرة ساحقة من الجماهير وكان جانب المسيحيين الحقيقيين بالعكس أى كان معهم جماهير المثقفين وقلة من العامة ، أما الطبقة الحاكمة فقد كانت ميولهــا (its Sympathy) فى جانب بولس وأتباعه ، وابتداء من مطلــع القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات بولس، وإلزاماً للناس باتباعها كما سيأتى إيضاحه فيما بعد •

ذلك موجز هذا الصراع ولكن لدينا إيضاحات ذات بال عن هــذا الصراع وعن دور بولس نفسه فيه ، وتلك الايضاحات مأخوذة من كلام بولس ، فالذى يطالع رسائل بولس إلى الفيلبيين والكولوسيين والغلاطيين ورسالته إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس يجد من ذلك الشىء الكثير ، ويجد شيئا آخر مهما هو سلوك بولس مع مخالفيه فى الرأى وتحقيره لهم وإغراؤه بهم ، ونحن هنا سننقل صورة سريعة لهذا الصراع من هــذه الأقـــــوال •

لقد أشرنا آنفاً إلى أن أفكار بولس انتشرت فى الغرب بين الوثنيين واليونان أكثر من انتشارها فى الشرق الذى هو مشرق النبوات السماوية التى كانت الوحدانية فى قمة تعاليمها ، وقد وضّح بولس نفور الشرق من تعاليمه بكلمات صريحة حيث قال فى رسالته إلى تلميذه تيموثاوس « أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى [1] » •

بولس يستغيث بعد أن انفض أغلب المسيحيين عنه :

وانفضّ أكثر أنصار بولس عنــه ، وهو يكتب بهــذا إلى تلميذه تيموثاوس فى نفس الرسالة السابقة فيقول : « بادر أن تجىء إلىّ سريعا لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تســالونيكى ،

---

(١) تيموثاوس الثانية ١ : ١٥ .

وكريسكيس ذهب إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معى. اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً . فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى [1] » .

وقد ذكرنا من قبل أن برنابا هو الذى أيَّد بولس وقدمه للمسيحيين حينما نفر هؤلاء منه فى أول عهده بادعاء المسيحية ، ولكن برنابا عاد فتخلى عن بولس بعد أن ظهرت اتجاهاته ، وفى ذلك يقول بولس : « حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رياء الآخرين » [2] :

وهكذا انفضَّت آسيا وانفض الحواريون والمثقفون المسيحيون من حول بولس وتركوه وحده أو مع قلة قليلة ممن لم يعرفوا من المسيحية إلا آراءه مثل مريده لوقا وقليلين من أمثاله ، فماذا كان موقف بولس من هؤلاء الذين ارتدوا عنه ؟

هجوم بولس على معارضيه :

والجواب على ذلك عجيب للغاية ، فقد كان بولس قاسياً عليهم ، حقوداً ، محقِّراً شأنهم مُغْرِياً بهم ، وهاك رسالتيه إلى تيموثاوس ، كلتاهما هجوم وحقد وإغراء وتحقير ، ونحن نقتبس منهما ومن غيرهما من الرسائل نماذج تصور لنا موقف بولس من المسيحيين الآخرين :

كتب إلى مريده تيموثاوس يقول :

طلبت إليك أن تمكث فى إفسس إذ كنتُ أنا ذاهباً إلى مكدونية لكى توصى قوماً ألا يعلِّموا تعليما آخر ، ولا يصيخوا إلى خرافات وأنساب لا حدَّ لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى فى الإيمان ، وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء ، الأمور

---

(١) تيموثاوس الثانية ٤ : ٩ — ١٦ .
(٢) غلاطية ٢ : ١٣ .

التى إذ زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمى الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه [١] .

ويقـــول له فى موضع آخـــر :

إن كان أحد يعلم تعليما آخر فقد تصلف وهو لا يفهم شـــيئاً . بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التى منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية ، ومنـــازعات أناس فاســـدى الذهن وعادمى الحق يظنون أن التقوى تجارة . تجنب مثل هؤلاء [٢] .

ويختم بولس هذه الرسالة بقـــوله :

ياتيموثاوس ، احفظ ، الوديعة ، معرضا عن الكلام الباطل الدنس ، ومخالفات العلم الكاذب الاسم الذى إذْ تظاهر به قوم زاغوا من جهـــة الإيمـــــان [٣] .

وفى رسالته الثانية لتيموثاوس يقول له :

والمباحثات الغبية والسخيفة اجْتنبْها عالما أنها تولد خصومات[٤].

وفى رسالته إلى الفلبيين يقول :

أرجو فى الرب يسوع أن أرسل لكم سريعا تيموثاوس لـــكى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم ، لأن ليس لى أحد" آخر نظـــير نفسى يهتـــم بأحوالكم بإخلاص ، إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المســـيح [٥] .

---

(١) تيموثاوس الاولى ١ : ٣ — ٧ .
(٢) تيموثاوس الاولى ٦ : ٣ — ٥ .
(٣) المرجع السابق ٦ : ٢٠ — ٢٤ .
(٤) ٢ : ٢٣ .
(٥) رسالة الى فيلبى ٢ : ١٩ — ٣١ .

وفى رسالته إلى تيطس يقول :

يجب أن يكون الأسقف ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المناقضين ، فإنه يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويدعون العقول ولا سيما الذين يقولون بالختان الذين يجب سدّ أفواههم ، فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها ، معلّمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح (١) .

وفى رسالته الى الكولوسيين يقول :

يسلّم عليكم أرسترخس ومرقس ويسوع المدعُو يُسطُس . هؤلاء هم وحدهم العاملون معى لملكوت الله (٢) .

وتعليقنا على هذه الألفاظ التى ذكرها بولس فى رسائله ضد الحواريين ، هو الدهشة أن تصدر مثل هذه الألفاظ من داعية دينى .

وهجوم يوحنا أيضا على المسيحيين الحقيقيين :

وقد انضم إلى بولس فى هذا الهجوم تلميذه الحبيب لوقا ، وقد سبق الحديث عنه ، وهناك رسائل ثلاثة تنسب إلى يوحنا وفيها هجوم مماثل على مخالفى بولس والذين قاوموا أفكاره ، وأغلب الظن أن هذه الرسائل وضعت باسم يوحنا ولم يكتب يوحنا منها حرفاً واحدا ، وربما ارتفع هذا الظن إلى اليقين لو تعمقنا فى دراسة أسلوب هذه الرسائل وأفكارها وقارناها بأسلوب بولس وأفكاره ، وهذه الدراسة تقودنى للقول بأن رسائل بولس والرسائل المنسوبة إلى يوحنا صدرت من معين واحد ، وأنا أدعو القارىء لمطالعة هذه الرسائل بأناة ، وأغلب الظن أنه سيصل إلى نفس النتيجة .

وعلى كل حال فإن صح هذا التقدير أمكن ضم هذه الرسائل إلى بولس ، وإن لم يصح فيوحنا كان مثل لوقا سار على نهج بولس وتفكيره ، تعال بنا نقتبس من هذه الرسائل نماذج من هجومها على مخالفى بولس .

---

(١) رسالة الى تيطس ١ : ٩ — ١١ .
(٢) رسالة الى الكولوسيين ٤ : ١٠ — ١١ .

فمن رسالته الأولى :

سمعتهم أن ضد المسيح يأتى ، قد صار الآن أضداد للمسيح ، منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا ••• من هو الكذاب إلا الذى ينكر أنّ يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الأب والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً ، احذروا الذين يضلونكم (١) •

ومن رسالته الثانيـــــة :

قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيســوع المســيح آتياً فى الجسد ، هذا هو المضل والضد للمسيح ، انظروا إلى أنفســكم لئلا نضيِّع ما عملناه ، كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله ، ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الأب والابن جميعــاً ، إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام ، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة (٢) •

ومن رسالته الثالثـــــة :

كتبتُ إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس لا يقبْلنا ، ومن أجل ذلك إذا جئتُ فسأذكِّره بأعماله التى يعملها هاذرا علينا بأقوال خبيثة ، وإذ هو غير مكتف بهذه الأقوال لا يقبل أتباعنا ويمنعهم ويطردهم من الكنيسة(٣)

وبعد ، نريد أن ننتقل إلى موضوع هام جداً ، هو :

---

(١) يوحنا الاولى ٦ : ١٨ وما بعدها .
(٢) يوحنا الثانية ٧ — ١١ .
(٣) يوحنا الثالثة ٩ — ١٠ .

ماذا عمل الحواريون ؟

ما هو موقف المسيحيين الحقيقيين ؟

ما هو هذا التعليم الذى حذر منه بولس ويوحنا ؟

ماذا كتب هؤلاء الذين قال عنهم يوحنا إنهم ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته ؟

هل يمكن أن هؤلاء جميعاً لم يكتبوا شيئاً ؟ ولم يشرحوا آراءهم ولم يدافعوا عن اعتقاداتهم ؟

الإجابة التى هى يقين لا يحتمل شكاً ، وعلم لا يحتمل ظناً ، أن هؤلاء كتبوا وتكلموا وناضلوا ، وهذا واضح تمام الوضوح من كلام بولس ويوحنا . لكن أين ما كتبوه وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم ؟

الجواب أنه ليس فى أيدينا شىء ، فلا بد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان والغوغاء فى العصور المظلمة كما دمرت إنجيل عيسى ، أو قل إن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير ، وأخفاه ذووه وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث تقرر أن يختار الكتاب المقدس للمسيحيين فقدمه أصحابه للمجتمعين ، ولكن القائلين بالتوحيد وهم الأغلبية الساحقة بهذا المجمع غلبوا على أمرهم ، وانعقد المجمع بدونهم فى أقلية تقول بألوهية المسيح واتخذت قراراً بذلك كما سنرى فيما بعد وهؤلاء الذين قالوا بألوهية المسيح هم الذين اختاروا من بين الأناجيل والرسائل الموجودة مالا يعارض هذا القرار ، وقضوا على سواها بالفناء كما سنرى عند الكلام عن الكتاب المقدس ، ولم يظهر لنا من الثروة التى قضى عليها بالدمار إلا إنجيل برنابا ، وقد كشف فى القرن الثامن عشر ، وذكر برنابا أنه ألف إنجيله ليرد على الضلالات التى يذيعها بعض الناس ومنهم بولس ، وسيأتى حديث خاص عن برنابا وإنجيله فيما بعد .

ومرت حقبة من الزمن انهزمت فيها مبادىء عيسى وفنى حواريوه . وضاع التراث الفكرى الذى خلفوه أو اختفى ، وتمّ النصر لأفكار بولس أو رجح النصر ، وبخاصة عندما أيدت القوة الرومانية فى مطلع القرن الرابع هذا الاتجاه وحاربت ما سواه كما سيأتى شرحه ، ولكن الحق كله لم يختف ، بل ظل من حين إلى آخر يَبرقُ فَتَتَغْشَى العيون التى تكره النور ، وأغلب الظن أن الحق سيكون له النصر فى النهاية ، وسيكون له الفوز فى آخر المطاف . .

بولس ومصادر المسيحية :

سيأتى الحديث فيما بعد عن مصادر المسيحية ، ولكنا هنا نتحدث عن علاقتها ببولس ، وهذه المصادر قسمان قسم يُعْرَفُ بالأسفار التاريخية وذلك يشمل الأناجيل التى وصفت حياة عيسى وتحدثت عن معجزاته وعظاته كما يشمل كذلك رسالة أعمال الرسل التى وصفت حياة الرسل بوجه عام وجهود بولس بوجه خاص ؛ وقسم يعرف بالأسفار التعليمية وهو يشمل الرسائل الأخرى التى توضح تعاليم المسيحية ومبادئها وشعائرها وقوانينها .

وهناك رأى هام سنوضحه عند الحديث عن هذه المصادر ، وإجماله هنا أن هذه المصادر بقسميها من عمل بولس أو من عمل أتباعه وليست الأسماء الموضوعة عليها إلا أسماء مستعارة غير حقيقية [1] .

وأحب هنا أن أتجه بدراستى اتجاهاً هو إلى العلم أقرب منه إلى الظن وعناصر هذا الاتجاه هى :

١ — الأناجيل والأبحاث التى تعارض اتجاه بولس فنيت إلى الأبد، وفى قمتها إنجيل المسيح ثم ما كتبه الحواريون كما أشرنا سابقاً .

---

(١) دائرة المعارف الفرنسية جـ ٥ ص ١١٧ .

٢ — ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيل متى وإنجيل مرقص حُفِظَ من أن يسلم إلى الفناء وليس مُسْتَبْعَداً أنه دخله بعض التغيير من أنصار بولس بالحذف أو الزيادة وبخاصة عند ترجمته من الآرامية إلى لغات الأمم التى دعاها بولس للمسيحية •

٣ — أما إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا والرسائل فهى بولسية كلها أى منسوبة الى بولس وأتباعه بلا شك ، وإذا تذكرنا ما أوردناه آنفاً من التعاون الكامل بين بولس ولوقا ويوحنا أدركنا أن الجمهرة الساحقة من هذه المصادر من عمل بولس وتلاميذه ، فهناك إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا وهناك أربع عشرة رسالة من عمل بولس وثلاث من عمل يوحنا وهناك رؤيا يوحنا ورسالة أعمال الرسل وهى من وضع لوقا ونتيجة ذلك أن الجزء الأكبر — إن لم يكن الكل — من مصادر المسيحية ذو صلة كبيرة بقلم بولس وجنانه ، ومن وضعه أو من وضع مريديه •

بقى من المصادر رسالة هامة كتبها يعقوب ، وهى طراز وحدها ، وعجيب أن أفلتت من التدمير واستطاعت أن تأخذ مكانها فى العهد الجديد ، والذى يقرأ هذه الرسالة يدرك أنه أمام أسلوب جديد وأفكار جديدة ، ليس بها حديث عن ألوهية المسيح ولا عن أنه نزل ليقدم نفسه فداء لخطيئة البشر ، ولا أنه قام من الأموات وجلس على يمين أبيه ، ولا طَعْن" فى غيره من المسيحيين وإيعاز" بهم ، بل عظة هادئة ، وأمثال سهلة التناول دون صناعة أو زخرفة أو ثورة • ومن قول يعقوب نقتبس السطور التالية :

— لايذم بعضكم بعضاً أيها الإخوة • الذى يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس ، واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلّص ويُهلك ، فمن أنت يا من تدين غيرك ؟

— هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غدا إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح ، أنتم الذين لا تعرفون أمر

الغد ، لأنه ما هى حياتكم ؟ بخار يظهر قليلا ثم يضمحل ، عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك ، وأما الآن فإنكم تفتخرون فى تعظمكم ، كل افتخار مثل هذا ردىء ، فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له [١] » .

تلك رسالة فريدة بين رسائل وأناجيل العهد الجديد ، وربما كان فى أصولها الأولى معارضة واضحة لآراء بولس ، ولكن ذلك الشىء اختفى وبقى قائماً جانبُ الوعظ السلبى الهادىء .

والخلاصة الواضحة أن مصادر المسيحية الموجودة الآن هى أو أكثريتها الساحقة من عمل بولس أو من عمل مريديه ، وما سوى ذلك فقليل ، ويبدو أن يداً لعبت بذلك القليل فتركته لا يؤيد ولا يعارض كما رأينا فى رسالة يعقوب وفى إنجيل متى .

بولس والتشريع فى المسيحية :

قلنا آنفاً إن الرسائل تسمى « الأسفار التعليمية » وقد كتب بولس وحدَه أربع عشرة رسالة وهى وحدَها تمثل فى حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعاً ، ويمكن القول دون تردد إن رسائل بولس هى وحدها مصدر التشريع فى المسيحية ، وإن التشريعات التى وردت فى الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته .

وعلى هذا لم يكتف بولس بأن يضع مبادىء المسيحية وشعائرها بل شرّع قوانين للمسيحيين يتبعونها فى حياتهم العامة ، فهو الذى أوصى بما نراه اليوم فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل [٢] وهو الذى يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقوله

---

(١) رسالة يعقوب ٤ : ١١ — ١٧ .
(٢) افسس ٥ : ١٩ .

« دُعِيَ أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ، ودعى أحد فى الغرلة فلا يختتن ، ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الرب [١] »
ويجيز بولس الزواج للأساقفة بقوله : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعلَ امرأةٍ واحدة ، وليكن الشمامسة كلٌ بعلَ امرأةٍ واحدة [٢] ويتكلم بولس عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة ، ويقرر بوضوح أن الرجل أفضل من المرأة وأنها خلقت من أجله وفيما يلى بعض فقرات من رسائله عن هذا الموضوع :

— أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو رجل ، ورأس المسيح هو الله ... الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فتتغطى رأسها لأنها مجد الرجل ، والرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ، لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل [٣] .

— أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة ، أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها [٤] » .

— لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ، ولكن إن كنّ يُردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالمرأة أن تتكلم فى الكنيسة [٥] » .

وينهى بولس عن السرقة والزنا والكذب والسب والسفاهة والطمع والهزل وعبادة الأوثان [٦] .

---

(١) كورنثوس الاولى ٧ : ١٢ — ١٩ .
(٢) تيموثاوس الاولى : الاصحاح الثالث .
(٣) كورنثوس الاولى ١١ : ٣ — ١٠ .
(٤) افسس ٥ : ٢٢ — ٢٤ .
(٥) كورنثوس الاولى ١٤ : ٣٤ — ٣٥ .
(٦) اقرأ رسالته الى الافسيين ٤ : ٢٥ — ٢٩ و ٥ : ٣ — ٥ .

وقبل أن نترك موقف بولس من التشريع نوضح أنه أحيانا كان ينسب آراءه إلى عيسى ، وكان أحيانا يعترف بأنه يشرع من عنده هو وبرأيه هو ، وفى ذلك يقول : « أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة زوجها ••• وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب •••• : وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأياً ••• » (١) •

بولس والمسيحية :

وبعد هذه الدراسة الموجزة الشاملة نسأل أنفسنا سؤالا مهما هو : ماذا أراد بولس بالمسيحية ؟ لقد أحدث بولس فى المسيحية أحداثاً خطيرة ؛ نقلها من ديانة إلى بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، ونقلها من التوحيد إلى التثليث ، وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر ، وألغى المعالم التى نادى بها عيسى نفسه كالختان وعدم أكل لحم الخنزير ، وفى كلمة واحدة خلق ديناً جديداً كما سبق القول وسلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه ، وطمس بذلك الديانة المسيحية الحقيقية • لماذا كل هذا ؟ وماذا أراد بولس بالمسيحية ؟

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هى التى دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر فى حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها ، فهو قد دخلها فى الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهرى لها سلاحاً يطعنها به ، ومثل هذا كثير فى تاريخ الأديان ، وفى الإسلام كثيرون من هذا النوع من أشهرهم عبد الله بن سبأ اليهودى الذى تظاهر بالإسلام وأشعل فيه من الثورات ونشر من المبادىء الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل يعلن يهوديته ، ولكن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما عاشت ونمت أفكار بولس ، ذلك لأن القرآن كان محفوظاً ومكتوباً وهو خير حارس للإسلام ، أما إنجيل عيسى فضاع بين طيات الأحداث ،

---

(١) كورنثوس الاولى الاصحاح السابع الفقرات ١٠ ، ١٢ ، ٢٥ .

فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التى أنزلها بها أعداء من الداخل وأعداء من الخارج ، فخرّت مسـيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس .

الفاتيكان يعترف :

والعجيب أن الفاتيكان يعترف إلى حـد كبير بمـوقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها ، فقد جاء فى كتاب نشره الفاتيكان سـنة **١٩٦٨ بعنوان « المسيحية عقيدة وعمل » ما يلى :**

كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصـح لحديثى الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع [١] .

وذلك أمر يستدعى الدهشة فليس لإنسان أن يسـمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيمان ، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية ، وكان تشويهها وتدميرها هدفا من أهدافه .

---

(١) المسيحية عقيدة وعمل نسخة الفاتيكان ص ٥٠ .

المسيحية فى نظر المســـيحيين

بعد هذا البيان الشامل الذى أوردناه عن بولس نستطيع أن نعود إلى أسس العقيدة المسيحية اليوم وهى :

١ — التثليث •

٢ — تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئـه التى ارتكبها أبو البشر •

٣ — أن الإله الأب [١] ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم، فالإله الابن — لأنه حيناً ظهر بمظهر الإنسان — أقرب لفهم بنى الإنسان

وهناك عبارة دقيقة للمؤرخ الشهير Wells تستنكر كل هذه المبادىء وما سيأتى ذكره من شعائر ، وترى أنها جميعاً موضوعة ولا سند لها من الأناجيل ، ويجدر بنـا أن نورد عبـارة Wells هنا لأنها مرتبطة بـكل المبادىء والشعائر ، ولنذكرها إجمالا قبل أن نتحدث عن كل من هذه المبادىء على حدة ، يقول Wells **من العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلا إلى عيسى ذكر فيها مبادىء الكفّارة ، أو الفداء ، أو حضّ فيهـا أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء ربانى** (٢) •

---

(١) الآب بمد الهمزة فى اللغة السريانية معنـاه الله ولكن النصـارى عندما ترجموا العهد الجديد للغة العربية ابقوا المدة مع ان مقصودهم ما يقابل الابن ، ولتصحيحها ينبغى ان تكتب من غير مد (اقرأ الانجيل والصليب لعبد الاحد داود ص ٨ بالهامش) •

(٢) Outline of History Vol. I. p. 982.

وسنعطى بعض التفاصيل عن أسس هذه العقيدة :

١ — التثليث فى المسيحية :

نستميح القارىء العفو إذا صدرنا حديثنا عن التثليث بخرافة ننقلها من مسيحى واسع الاطلاع ، مفروض فيه عمق الفكر ودقة التعبير ولكنها موضوعات المسيحية يزل فيها كل مسيحى يريد أن يتمسك بها ويعلل لها ، والاقتباس الذى ننقله فيما يلى هو حديث عن « سر الثالوث » وهاك نصه :

« من الناس مَنْ يقولون : لم يا ترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم ؟ أليس فى تعدد الأقانيم انتقاص لِقَدْر الله ؟ وأليس من الأفضل أن يقال : الله أحد وحسب ؟

« لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة (يوحنا الأولى ٤ : ١٦) ولا يمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون الله سعيداً ، فالمحبة هى مصدر سعادة الله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهى إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان ، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما . وليكون الله سعيداً — ولا معنى لإله غير سعيد وإلا انتفت عنه الألوهية — كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ويكون بالتالى صورة ناطقة له ، ولهذا وَلَدَ اللهُ الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابنُ الأبَ هذه المحبة وَوجد فيه هو أيضاً سعادته ومنتهى رغباته . وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس . هو الحب إذاً يجعل الله ثالوثاً وواحداً معاً .

« ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذى حبس اللهُ الأبُ محبته عليه إلا الابن ، ولو كان غير الابن ، ولو كان خليقة محدودة ، بشراً أو ملاكاً

واحدة ، قد يكون ذلك هو الطبيعى ، ولكن الواقع غير ذلك ، الواقع أن التثليث كجملة ظهر أولا عند المسيحيين ، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم ، تلك الثقافات التى أثَّرت على مسيحية بولس ونقلتها — كما سيأتى — إلى عبادة ثالوث مقدس ، فأصبحت هذه الحقيقة مسلما بها ، وأصبح الاتجاه العام وبخاصة بين الجماهير هو الإيمان بثالوث مقدس قريب الشبه بالثالوث الذى كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية •

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة ، تلك هى محاولة التوفيق بين الوحدانية التى هى سمة الأديان السماوية ، والتى قالت بها التوراة بصراحة وبين القول بعبادة الثالوث ، وحينئذ جدّ جدّهم ، وجندوا جنودهم ، وأعملوا عقولهم وقالوا كلاماً يوفّقون به بين الوحدانية والتثليث ، لكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به ، وصرحوا بعدم اقتناعهم أحياناً كما سيأتى • ولكن على كل حال لم يكن بد من الاستمرار فى القول بالتثليث وافق العقل أو لم يوافقه • وعندما ثبت القول بالتثليث بدأت المرحلة الثانية ، مرحلة البحث عن أفراد هذا الثالوث •

وكان من اللازم — فى البحث عن هذا الثالوث — أن يكون الله جل جلاله الإله الأول فى هذا الثالوث ، ذلك لأن المسيحية ديانة سماوية الأصل وهى وليدة اليهودية ، والتوراة كتاب مقدس عند المسيحيين وهى تقول بالوحدانية وقد أشاد عيسى بالله وأفاض فى الثناء عليه وكل هذا جعل من اللازم الاعتراف بالله ، وبدأ المسيحيون بعد هذا يبحثون عن الإلهين الآخرين ، فقالوا بألوهية المسيح فأصبح ثانى الآلهة ، ثم قالوا بألوهية الروح القدس لأنهم كانوا يريدون أن يدّعوا الصلة بالله وتلقّى العلم منه ، فقالوا بألوهية الروح القدس ، وأنه ينزل عليهم ويمتلئون به ، ويعرفون بواسطته مالا يعرف البشر ، فأصبح الروح القدس بذلك ثالث الآلهة ، وتمّ بذلك الثالوث الذى يريدون •

وسنتبع فى دراستنا نفس الخطوات التاريخية التى مرَّ بها المسيحيون للأخذ بهذه العقيدة فنتكلم أولا عن عقيدة التثليث ومحاولتهم إثباتها ، ثم نتتبَّعهم وهم يبحثون عن أفراد هذا الثالوث،فيحاولون إثبات ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس •

تعدد الالهة وعقيدة التثليث :

أما موضوع تعدد الآلهة فموضوع يكاد يكون عاماً فى جميع الثقافات القديمة ، قال به المصريون القدماء ، وقال به الأشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان على اختلاف فى عدد الآلهه ومكانتهم واختلافٍ فى تصور صلة الآلهةِ بعضهم ببعض ، أو صلتهم بالبشر [١] •

أما التثليث فلعله كان تحديداً لهذا التعدد الذى يُولغ فيه أحياناً ، ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال ، تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ والتى لا يزال لها بقايا فى عالمنا الحاضر [٢] وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ، ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية ، وتسجد لهما الجماهير ، وينجب الزوجان ، ثم يعيِّن البطلُ أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد • فتسجد له الجماهير أيضا ، ويتمُّ بذلك الثالوث •

تلك هى الفكرة الأولى للتثليث ، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة ، وأصبح الثالوث معبوداً معروفا لكثير من الأمم •

ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك فى الألف الرابع قبل

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم مدكور ص ٦ — ١٩ •
(٢) انظر الابطال وعبادة البطولة لكارليل فى امكنة متعددة •

الميلاد ، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة ، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً أى جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر ، كل مجموعة ثلاثة ، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون هذه المجموعة من إله السماء ، فإله الأرض ، فإله البحر ، أما المجموعة الثانية فإله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع ... (١)

وبينما كان البابليون يقولون بالتثليث كان المصريون والإسرائيليون — والطائفتان أعرق فى الحضارة الدينية من البابليين — يقولون بالتوحيد (٢) ومن نشيد آمون : « الإله الجليل سيد الآلهة أجمعين ، الإله الأكبر الذى يحيا بالحق ، الواحد الفرد الذى صنع كل ما هو موجود » .

ووقفت حضارات أخرى أقدم جداً من المسيحية بين بين ، بين التعدد الذى قال به البابليون وبين التوحيد الذى قال به المصريون والإسرائيليون فظهرت بدعة التعدد فى وحدة والوحدة فى تعدد ، وقد قال بها الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام ، فقد كان عندهم « براهما » و « فشنو » و « سيفا » وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد أو كانوا يعدون « براهما » إلها واحدا له ثلاثة أقانيم ، فهو « براهما » من حيث هو موجود ، وهو « فشنو » من حيث هو حافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك (٣) .

واتجهت مدرسة الإسكندرية نفس الاتجاه ، يقول Wells : وبعد الفتح الإغريقى أصبحت مدينة الإسكندرية الجديدة مركزاً لحياة مصر الدينية ، بل أصبحت فى الحق مركز الحياة الدينية للعالم الهللينى كافة ،

---

(١) الدكتور ابراهيم مدكور : تاريخ الفلسفة ص ٦ .
(٢) القول بالتوحيد هنا لا يتناقض مع ما ذكرناه عن المصريين من قبل من القول بتعدد الالهة ، اذ ان هناك تعددا ولكن هناك كبير الالهة .
(٣) اديان الهند الكبرى للمؤلف ص ٤٨ .

فأقام بطليموس الأول معبداً عظيما هو معبد السرابيوم كان يعْبد فيه نوع ما من ثالوث الأرباب مكوّن من أوزيريس وإيزيس وحورس ، ولم يكن الناس يعدّونها أربابا منفصلة بل هيئات ثلاثا لإله واحد (١) •

عـــودة الى التثليث فى المسيحية :

لقد سِرْنا مع عقيدة التثليث منذ العهد البدائى ، منذ عبادة الأبطال حتى مدرسة الإسكندرية التى قامت عقب إنشاء مدينة الإسكندرية سنة ٣٣١ ق م وورثت حضارات مختلفة وقام بها علماء مصريون وساميون ويونان ورومان ، وعرفت اليهودية طريقها إليها ، كما انسابت إليها أفكار وثنية كثيرة ، وقد استمرت المدرسة تباشر مكانتها الثقافية حتى ميلاد المسيح وبعد ميلاد المسيح ، ومن أشهر علمائها « أفلوطين ٢٠٥ — ٢٧٠ م » وعلى يده كان تجديد مذهب أفلاطون حتى عُرف مذهب أفلاطون بالأفلاطونية الحديثة ، وخلاصة مذهب أفلوطين أن فى قمة الوجود ، يوجد « **الواحد** » أو « **الأول** » وهو جوهر كامل فياض ، وفيضه يُحدث شيئا غيره هو « **العقل** » وهو شبيه به وهو كذلك مبدأ الوجود ، وهو يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى « **النفس** » وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر (١) • أو بعبارة سهلة موجزة ثلاثة فى واحد وواحد فى ثلاثة : (الواحد — العقل — النفس) •

كيف انتقلت هذه الأفكار إلى المسيحية ؟ •

الجواب على ذلك سهل يسير ، فقد مرت بالمسيحية عهود ضعف واضطهاد تحدثنا عنها فيما سبق ، وطبيعة هذه الهزائم أضعفت المقاومة ، وقضت أن يستتر المسيحيون ، أو على الأقل يكتموا تدينهم بين اضلاعهم فلا يعرفه أحد ، وامتد الاضطهاد إلى إنجيل عيسى فالتهمة وقضى عليه ،

---

(١) الدكتور ابراهيم مدكور : تاريخ الفلسفة ص ٦٥ .

وهكذا فقدت المسيحية كثيراً من رجالها فى قمتهم المسيح نفسه ، وفقدت أكثر مراجعها الأصلية ، فأصبح مصدر المسيحية واهناً أو معدوما •

ودخل بولس المسيحية كما سبق وكان عارفا بالفلسفة الإغريقيـة التى تمثلها مدرسة الإسكندرية ووجد بولس الميدان خاليا ، واستخف الطرب بعض المسيحيين لأن بولس عدو المسيحية اللدود قد انتسب إليها، وبدأ بولس يضع البذور التى نقل بهـا المسيحية من الوحدانيـة إلى التثليث (١) ووافقت فكرة التثليث الجماهير ، وكانت الجماهير قـد نفرت من اليهودية لتعصبها ، ومن الوثنية لبدائيتها ، فوجدت فى الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التى ألفوهـا وورثوها عن آبائهم وأجدادهم •

ولم يُقفل هذا الباب بعد بولس بل ظل مفتوحا ، واستطاع بعض أتباع بولس أن يصيروا من آباء الكنيسـة وذوى الرأى فيهـا • وتمّ امتزاج تقريبا بين آراء مدرسة الإسكندرية وبين المسيحية الجـديدة ، ويقول ليون جوتيه Gauthier : « إن المسـيحية تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية ، فاللاهوت المسيحى مقتبس من المعين الذى صبّت فيه الأفلاطونية الحديثة ، ولذا نجـد بينهما مشـابهات كثيرة (٢) •

والآن بعد القول بالثالوث بقى على المسـيحيين أن يجـدوا حـلا للأمـور الآتيـة :

١ ــ ما الطريق للتوفيق بين التوراة التى تقول بالوحدانيـة والتى يقدسها المسيحيون ، وبين التثليث الذى اعتنقه المسيحيون ؟

٢ــ ما وظيفة كل من أفراد هذا الثالوث ؟

---

(١) انظر اعمال الرسل الاصحاح التاسع •
(٢) المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ص ٩٣ •

٣ — كيف يتم فهم « وحدة فى تثليث ، وتثليث فى وحدة ؟ »

٤ — يقولون الابن مولود غير مخلوق ، والابن ليس أحدث من الأب • فما معنى هذا ؟

لقد حاولت جهدى أن أصل إلى جواب لهذه الأسئلة عن طريق القراءة أو المحادثة مع المسيحيين ، ولكنى أقرر أننى لم أستطع فهم إجاباتهم ، بل صرح كثير منهم — كما سيرد فى كتاباتهم — أن هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم • فاعترضت بأنها مسائل أساسية ، وهى المدخل للدين فكيف لا تُفهم ؟ ولكنى لم أتلق جواباً على اعتراضى ، واتّبع بعضهم التعبيرات الإنشائية التى لا توضّح مقصوداً • كقول بعضهم « المحبة السرية التى بين المسيح والله » وقول الآخر « كل ثروات الولاء والتعبد اختزنت فى فكر يسوع المسيح عوناً على فهم حقيقة الله ••• » وغير ذلك مما سيرد فيما بعد ، ولذلك فمن الخير أن أنقل للقارىء هذه الأقوال كاملة ليرى فيها رأيه :

١ — يقول الدكتور يوسف بوست فى قاموس الكتاب المقدس (١) : طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء وإلى الروح القدس التطهير ، غير أن الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الالهية على السواء •

٢ — ويقول William Patoun ، إذا أردنا أن نفهم طبيعة الله فى المسيحية ، فهناك نراه : الله الذى عاش معه يسوع فى صلة وثيقة لا تنفصم عراها ، صلة الابن بالأب ، وكل ثروات الولاء والتعبد التى خلّفها كتّاب العهد القديم ، كلها اختزنت فى فكر يسوع المسيح عوناً لنا على فهم حقيقة الله ، فهو الإله الذى تفوق قداسته كل تصورات الإنسان

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٦ •

عيناه أطهرا من أن تريا الشر ، هو خالق البشر والمسيطر على العالم ، هو الأب ، ويحمل هذا اللقبُ كلَّ معانى العطف والمودة والحنان .

. . . .

ويسوع يعلن الأب لا فى كلمات ينطق بها فقط ، بل فى حياته وشخصه وبينه وبين الأب علاقة سرية متينة الأواصر لم يستطع تلاميذه أن ينتقصوا إلى مكنوناتها « أنا فى الاب والأب فىَّ ، ومن رآنى فقد رأى الأب » فإن رمنا أن نعرف طبيعة الله ، على قدر ما يستطيع الإنسان أن يعرف ، فلا مندُوحَة عن الرجوع إلى شخص يسوع [١] .

٣ — ويقول القس بولس سباط فى ذلك ما يلى : يرى النصارى أن البارى تعالى جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع وهى الأب والابن وروح القدس ، ويشيرون بالجوهر الذى يسمونه البارى ذا العقل المجرد إلى الأب ، وبالجوهر نفسه الذى يسمونه ذا العقلِ العاقل ذاته (أى الذى يعقل ذاته) إلى الابن ، وبالجوهر عينهُ الذى يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى روح القدس ، ويريدون بالجوهر ما قام بنفسه مستغنياً عن الظرف (٢) .

٤ — ويقول القس ابراهيم سعيد فى تفسير بشارة لوقا (٣) : يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد « بابن العلىّ أو ابن الله » فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، وإلا لقيل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هى غير نسبة المؤمنين عامة لله ، ولم يقصد بها تفرقة فى المقام من حيث

---

(١) اديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعيد ص ١٠٤ و ١٠٨ .
(٢) المشرع ص ١٣ — ١٤ .
(٣) تفسير بشارة لوقا ص ٦٩ — ٧٠ .

الكبر والصغر ولا الزمنية ولا الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله ، وهى محبة متبادلة ، وما المحبة التى بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، ويراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذى حاز رضا الله وأطاع وصاياه ، فقبل الموت ، موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : هذا ابنى الحبيب الذى به سررت ، له اسمعوا • وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تمم إرادة الله فى الفداء• ويراد بها إظهار التشابه والتماثل فى الذات وفى الصفات وفى الجوهر ، كما يكون بين الأب والابن الطبيعيين ، فقيل عن المسيح إنه بهاء الله ورسم جوهره ، وقال هو عن نفسه من رآنى فقد رأى الآب ، أنا والآب واحد ، ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شىء الذى منه وبه وله كل الأشياء ، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل •

ـ ويقول القس بوطر [1] موضحا الثالوث ومبيناً لماذا لم يظهر بوضوح الابن وروح القدس فى التوراة ولا قال بهما اليهود : بعد ما خلق الله العالم ، وتوج خليقته بالانسان لبث حينا من الدهر لا يعلن سوى ما يختص بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة ، على أن المدقق لا يزال يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية ، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات : « كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس » ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنه هذه الكلمات من المعانى لأنه لم يكن قد آن الوقت المعين الذى قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة فى ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم فى اللاهوت • • • ثم لما جاء المسيح إلى العالم أرانا بتعاليمه وأعماله المدونة فى الإنجيل

---

(١) رسالة الاصول والفروع ص ٤٣ ـ ٤٥ •

أن له نسبة أزلية سرية الى الله تفوق الإدراك ، فهو مسمىً فى أسفار اليهود « كلمة الله » وهى ذات العبارة المعلنة فى التوراة ، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا ، ليسكن بين المؤمنين وقد تبين أن بهذا الروح أيضاً نسبة أزلية إلى الله فائقة كما للابن ويسمى الروح القدس ، وهى ذات العبارة المعلنة فى التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء أن المسمَّى بكلمة الله والمسمى بروح الله فى نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران فى الإنجيل ، فما لمّحت به التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح ، وإن وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم (١) ، وكل من أنار الله ذهنه وفتح قلبه فى فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر « الكلمة » بمجرد أمر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر « الروح » بالقوى التأثيرية ، بل لابد له أن يعلم أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية فى الكمالات الإلهية ، ومتميزة فى الاسم والعمل ، والكلمة والروح القدس اثنان منها ، ويُدعى الأقنوم الأول الأب ، ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية ، بل شخصية حقيقية ، ويمثل للأفهام محبته القائمة وحكمته الرائعة ، ويُدعى الأقنوم الثانى الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ويُدعى أيضاً الابن ، لأنه يمثل للعقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه وطاعته الكاملة لمشورته ، وللتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأشياء إليه ، ويُدعى الأقنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه وبين الأب والابن ، وعلى عمله فى

(١) يرد السيد عبد الاحد داود على دعوى ان الوحدة لاتنافى التثليث بقوله : تدعى الكنيسة أن الثالوث لم يتشكل من ثلاثة آلهة ، ولكنها ما دامت تعترف بوجود نسبة بين الاقانيم ، وأن لكل منها صفات وواجبات ليست للاخرين فمعنى هذا هو التغاير وعدم الكمال لكل منها وحده ، وصفة النقص هذه تنافى الالوهية (انظر الانجيل والصليب ص ٩) .

ـ أرواح البشر ، وحثهم على طاعته ، وبناء على ما تقدم يظهر جليا
عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية ، ولكنها
ـ سرّية فائقة بين أقنوم وآخر فى اللاهوت الواحد ، وإذا أراد أن
همنا تلك النسبة لم تكن هناك عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة
ـحدة فى الذات ، والإبانة للمشورة الإلهية ، وأما مِنْ حيث الولادة
ـرية فالله منزه عنها ، ولأجل هذه الإيضـاحات الجليلة علم خـدام
ـن المسيحى واللاهـوتيون حسب ما قـررته الكلمة الإلهيـة أن فى
ـوت ثلاثة أقانيم حسب نص الكلمة الأزلية ، ولكل منها عمل خاص
ـبشـــر .

ويختم هذا المؤلف شرحه لعقيدة التثليث بقوله : قد فهمنا ذلك على طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهمـا أكثر جلاء فى المسـتقبل حين ـف لنا الحجاب عن كل ما فى السـموات وما فى الأرض ، وأمـا فى ـت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية .

وذلك اعتراف هام من المؤلف بأن العقيدة لا يمكن فهمها على نطاق
ـ من هذا ، وهو ينتظر يوم الكشف عن البصائر ليمكن للبصيرة التى
ـفَ عنها أن تدرك هذا الاعتقاد وتستسيغه ، ونحن ننتظر معـه ،
ـ كنا نعتقد أن هذا اليـوم لن يجىء ، وأنى يجىء يوم تلتقى فيـه
ـحدانية بالتثليث وتصبح فلسـفة الإغريق دينـا يُدّعى أنه نزل من
ـــد الله ؟

والذى قال به القس بوطر قال به أيضا الدكتور الخـورى جرجس
ـرج ، وألفـــاظه هى :

لا تقل فى قلبك كيف يمكن أن يتجسد الله ويصير إنسانا ، فدع ذلك
من شـــأنه الخـــاص [١] .

---

(١) شرح رسالة القديس بولس الى اهل رومية ض ١٣٩ .

ويقول القس وهيب عطا الله : إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا (١) •

* * *

وبعد ، لقد رأى القارىء الصعوبات الجمة التى نجمت عن القول بالتثليث ، وقد حاول المسيحيون — دون نتيجة — أن يجدوا لها حلا ، وقد طرقوا حلولا كثيرة نعود إلى إيجازها فيما يلى :

١ — التوفيق بين التوحيد فى التوراة والتثليث عندهم ، فقالوا إن التثليث موجود فى التوراة ولكنه غير واضح فوضحه العهد الجديد • وحاولوا أن يدللوا على ذلك كما رأيت آنفا فى كلام القس بوطر • وأحيانا كانوا يدركون أن ما فى التوراة لا يساعدهم على القول بالتثليث وأن مثل ما قال به القس بوطر ظاهر الصنعة ، فكانوا يلجئون الى طريق آخر يوضحه لنا حبيب سعيد بقوله : قد يقال : هل فى نظر المسيحية شىء ما يعدو حدود العهد القديم ، أى دين اليهودية ؟ وليس لهذا السؤال إلا جواب واحد وجواب جد خطير ألا وهو أننا فى الواقع نشرح العهد القديم فى ضوء العهد الجديد (٢) • وهو بهذا كما ترى يحتّم أن يوجّه العهد القديم وجهة العهد الجديد ، أو قل يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلا •

٢ — عكس الحل السابق بأن حاولوا التوفيق بين التثليث عندهم والتوحيد فى التوراة ، فكأنهم سلموا بالتوحيد وراحوا يخضعون اعتقادهم له ، ومن أجل هذا ابتدعوا قولهم « تثليث فى وحدة » وفى ذلك يقول

---

(١) طبيعة السيد المسيح ص ١٨ •
(٢) أديان العالم الكبرى ص ١٠٧ •

يوحنا فى رسالته الأولى : « إن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد [١] .

٣ — *الطريق الثالث* الذى لجئوا إليه هو إعلان عدم خضوع مثل هذا الاعتقاد إلى العقل ، فقالوا إن هذا شىء يجب الإيمان به واعتقاده أولا ، وبعد ذلك يجتهد المسيحى فى فهم ما اعتقد ، كما قال بذلك القديس انسليم • ويقول حبيب سعيد • إن الإنسان لن يبلغ هـذا الإيمان عن طريق المطارحات النظرية ، بل بإلهام من الله وإعلان منه [٢] .

٤ — وقد اهتدى قليل منهم إلى الحل الصحيح وهو القول بالتوحيد الخالص وترك القول بالتثليث • وقد كان لهذا الرأى أتباع من المسيحيين على مدى العصور وفى مختلف البلاد • ومن هـؤلاء برنابا وهـو من الحواريين وأريوس المصرى (٣٣٦) وسرفيتوس الأسبانى (١٥٥٣) ومن مشاهير الإنجليز نذكر تشبرى (Cherbury) المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر وغير هؤلاء مئات أو آلاف من المفكرين المسيحيين ظهروا فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، ولكن صيحة هؤلاء لم تتغلب على ضجيج الكنيسة وقدسيتها ، ولم تصل إلى قلوب العامة والجماهير •

على أن القول بتثليث فى وحدة أى بإله واحد له أقانيم ثلاثة يقود إلى مشكلة أخرى ، هى : كيف خرج أحد هذه الأقانيم الثلاثة ودخل رحم مريم ثم امتزج بالناسوت وأصبح إنساناً فى مظهره ؟ ألا يدل ذلك على تعدد ظاهر ؟ لأن معبود النصارى لو كان واحداً له أقانيم ثلاثة لما أمكن خروج أحد هذه الأقانيم وحده ونزوله إلى الأرض • • • ولقد أدرك القس بولس سباط هذا الاعتراض فراح يقرر أن هذا الأقنوم مع نزوله

---

(١) رسالة يوحنا الاولى : ٥ ، ٧ .
(٢) اديان العالم الكبرى ص ١٠٦ .

إلى الأرض ظل أقنوماً يمثل جانباً فى الإله الواحد ولم ينفصل عنه حتى بعد اتحاده بالناسوت (١) • وعندى أنه كلام يصعب الاقتناع به •

ألوهية المسـيح ومؤتمر نيقيـة :

بقى أن نسأل : متى بدأ اعتبار عيسى إلهاً ؟ ومتى بدأ اعتبار روح القـدس إلهـاً ؟

وقد سبق أن أوردنا إجابة عن السؤال الأول فيما اقتبسناه من كلام Wells & Berry وغيرهما ، ولكنا ونحن بصدد إيضاح شـامل لهذه المسألة نعود إلى Wells مرة أخرى فنورد عبارته كاملـة عن هـذا الموضـوع • يقول H. G. Wells « **كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس ،** وكان اسم بولس فى الأصل شاول ، وكان فى بادىء الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ، ثم اعتنق المسـيحية فجأة ، وغير اسمه فجعله بولس ، وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه عـلى علم عظـيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمـان التى تعتنقها الإسـكندرية ، فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهـم ، ولم يهتـم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهى فكرة « ملكوت السموات » **ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط ، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر •**

فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمـة من الآلهة فى أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية •

• • • • • • • •

---

(١) اقرأ المشرع ص ٤٠ — ٤١ •

« وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالقسيس الحليق ، وتقديم النذور ، والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل التى كانت لعقائد متراس والإسكندرية ، بل تبنت أيضاً حتى عباراتها فى عباداتها وأفكارها اللاهوتية .

« وراح القديس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس : كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود (١) » .

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضا خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة التى سبق أن تحدثنا عنها ، تلك الاضطهادات التى التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون (حتى سنة ٣١٣) وفى خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت الى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر فى كل تعاليمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه ، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل ، ورآه آخرون إلها ، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية .

تدخل قسطنطين وصيحة أريوس :

وهنا جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطاركة والاساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية Nicea سنة ٣٢٥ ليضع حداً لهذه الاختلافات ، وليقرر حقيقة المسيح ، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ وفى هذا الاجتماع صاح عالم مصرى اسمه أريوس صيحته التى كان يرددها دائما : « إن

(١) A. Short History of the world pp. 178;180.

الأب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن»

أما كنيسة الإسكندرية — والإسكندرية عريقة التأثر بالتفكير المصرى القديم وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث — فقد قاومت أريوس ، وانضم الى كنيسة الإسكندرية كنيسة روما ، واختلف المجتمعون وتضاربوا ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار [١] ، « فقرر الإمبراطور أن يفصل فى الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبنى **رأى صديقه الممثل الدينى للغرب « كاهن روما » فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ، ونفى الكثيرين منهم ، وقتل أريوس مع بعض من أيدوا رأيه ، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ ، فاتخذوا قرارا بذلك ، وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارات المساواة بين الآب والابن ولكنهم خافوا أن ينزل بهم ما نزل بمعارضى التثليث ، فوضعوا إمضاءاتهم على هذه الوثيقة (٢) »** .

وفيما يلى نص هذا القرار :

نؤمن بالله الواحد ، الآب ، مالك كل شىء ، وصانع ما يُرى وما لا يُرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى وُلد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شىء . من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحُبِل به وولد من مريم البتول ... وصُلب أيام بيلاطوس ، ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى

---

(١) يتساءل السيد عبد الاحد داود : لماذا لم ينزل الروح القدس على المجتمعين فيهديهم سواء السبيل ؟ فقد ادعى كاتب رسالة اعمال الرسل ان روح القدس نزل وينزل على الاباء الروحيين كلما حزب أمر (الانجيل والصليب ص ٢٠) .

(٢) الانجيل والصليب ص ٢٠ — ٢١ .

السماء ، وجلس عن يمين أبيه (١) ، ويُضيف القرار ما يلي للتخـويف والتحـــذير :

★ والجامعة المقدسة الكنسية الرسولية تَحْرِم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجـد من لا شيء • أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن أنه خَلقَ ، أو من يقول إنه قابل للتغيير (٢) •

وهكذا تدخلت القوة فخلقت هذا القرار الذى اتخذته أقلية المجتمعين ولم تكتف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس وحرّمت كل ما سواه ، وحرّمت على الناس الحديث بما يخالفه ، وصادرت وأفنت كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه ، وتعدّت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزْلهم عن مكان الرياسة ، ومعاقبتهم بالنفى والتشريد عنـد اللـــزوم •

وكان هذا العام (٣٢٥) أول تاريخ يُتّخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح ، ولكن القائلين بالتوحيد لم يهدءوا على الرغـم مما لاقوا من عنف ، فنجدهم كما يروى ذلك ابن البطريق يعقدون مجمعا إقليميا فى صور وقد حضره بطريرك الإسكندرية ، ووجد نفسه الوحيـد بين المجتمعين الذى يعتقد بألوهية المسـيح ويدافع عنها ، وقد اشـتد الخلاف بينه وبين الحاضرين ، وانتقل الخـلاف من القـول إلى الفعـل فاعتدوا عليه بالضرب الشديد وكادوا يقتلونه •

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة بحق : إن بطارقة الإسكندرية كانوا يمثلون فلسفة الإسكندرية أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح وهذا هـو

---

(١) الشهرستانى . الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠٤ .
(٢) Pengapjaran Geredja Kathotlk p. 92. وتاريخ الاقبـــاط ص ٢٢٦ — ٢٣٨ .

مفتاح التاريخ الصحيح (١) ونضيف أن القوة أيدت كنيسة الإسكندرية وعسفت بأعدائها ، فضعفوا بمرور الزمن وكثرة التضحيات •

أسس تأليه المسيح :

وقبل أن نترك ألوهية المسيح يجب أن نعرف الأسس التى جعلتهم يتخذون هذا القرار الخطير •

وقد سبق أن أجبنا عن هذا السؤال وبيّنّا أن الفلسفة الإغريقية وجدت طريقها إلى المسيحية وبخاصة فى عهود ضعفها ، وكانت هذه الفلسفة من أهم العوامل التى أدت إلى رسم هذه الصورة للمسيح ، ولكن القسس المسيحيين لا يعترفون بذلك بطبيعة الحال ، وربما لا يعتقدونه ، ويرون أن الأسس التى أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير الذى قضى بألوهية المسيح هى ما ورد فى كتبهم المقدسة ، وتبيانا لذلك نسوق بعض آيات من الأناجيل المعتبرة عندهم والتى اعتبروها مرجعا للقول بألوهية المسيح ، فمن ذلك :

ما رواه متى عن الله : هذا هو ابنى الحبيب به سررت (٢) •

وقول يوحنا فى وصف المسيح : فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ••• وكان الكلمة الله كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان • والكلمة صار جسدا ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا (٣) •

ويروى متى : أن رئيس الكهنة سأل المسيح مرة وقال له : استحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ فأجابه المسيح أنا هو (٤) •

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢١ •
(٢) متى ٣ : ١٧ •
(٣) يوحنا ١ : ١ ، ٣ ، ١٤ •
(٤) متى ٢٦ : ٦٢ •

وفى أعمال الرسل أن فيلبيس أحد الحواريين كان يسير مع خصى فمرّا بماء فطلب الخصى من فيلبيس أن يعمّده فقال فيلبيس إن كنت تؤمن من كل قلبك عمدتك • فقال الخصى : أنا أومن من أنّ يسوع هو ابن الله ، فعمده فيلبيس (١) •

مناقشة هذه الأسس وردّها :

تلك هى أدلة القوم لهذا الموضوع الخطير ، وهى أدلة كما ترى متداعية ومناقشتها لا تحتاج الى جهد ، فلنمض فى مناقشتها على النسق الآتى :

أولا — أبان الكاتب الكبير Kalthoff أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل ، فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب ، يقول Kalthoff :

إن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أُعدّت قبل أن يُكتب سطر واحد من الأناجيل ، وإن هذه الصورة هى من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التى كانت ذات سيطرة ، وكانت آراؤها شائعة ، وتكاد تكون عامة أو عالمية (٢) •

ثانيا — يثبت Plliecderer المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول : إن معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقى ، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التى ظهرت فى العهد الجديد ، وكل ما يمكن تقريره دون تردد هو أن تصور المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية فى عهدها الأول كما كان هدف دعاتها (٣) •

---

(١) أعمال ٨ : ٢٦ — ٢٧ •
(٢) Der Brewer Radikaliamus p. 101.
(٣) The Early Christian Conception of Christ p. 6.

ثالثا — إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلا على مثل هذا الأمر الخطير ، وخاصة اذا اتضح لنا أن هذه الأناجيل من صنع هؤلاء أو قل إنها على الأقل من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت لهم ، لأن الصلة بين إنجيل عيسى وهذه الأناجيل مقطوعة ، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً ، وسيأتى مزيد من الإيضاح لذلك عند الكلام على الأناجيل •

رابعا — إن كلمة ابن الله ، أو قول الله تعالى : هذا ابنى الحبيب ، لو صح هذا أو ذاك لما كان دليلا على ألوهية المسيح فإنه استعمال مجازى معناه التكريم • وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى : الفقراء عيالى •

ويقول H. D. A. Maior **مدير** Ripon Hall. Oxford **ينبغى أن يلاحظ أن عيسى لم يدّع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ، ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وإنما من الناحية العامة التى تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب فى التعلق به ، والاعتماد عليه ، والحاجة إليه (١) •**

خامسا — ورد فى الأناجيل عدة مرات على لسان عيسى عليه السلام قوله عن نفسه : « ابن الانسان » فكيف يعد إلها مع هذا التعبير الثابت عن بشريته ونسبه •

سادسا — وردت فى هذه الأناجيل عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول ، وإليك بعض هذه العبارات •

يروى متى عن عيسى قوله : إن اباكم واحد الذى فى السموات (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨) •

---

(١) Islamic Review. Vol. Ix. No. 2. pp. 276 - 7.

ويروى مرقص قـول عيسى : الرب إلهنا إلـه واحد ٠ وليس آخر سواه (١٢ : ٣٠ ــ ٣١) ٠

وجاء فى إنجيل متى : هـذا يسـوع النبى الذى من ناصرة الجليل (إصحاح ٢١ الفقرة ١١) ٠

وجاء فى انجيل لوقا : قد خرج فينا نبى عظيم (٧ : ١٦) ٠

ويروى لوقا عن عيسى قوله : لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم ٠ يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين (١٣ : ٢٣) ٠

ويروى يوحنا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم (٦ : ١٤ و ٧ : ٤٠) ٠

ويروى يوحنا عن عيسى : وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله (٨ : ٤٠) ٠

ويروى يوحنا كذلك عن عيسى : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهـكم ٠ (٢٠ : ١٨) ٠

وفى رسالة أعمال الرسل : أن موسى قال للآباء : إن نبيـاً مثـلى سيقيمه لكم الرب إلهكم من إخوتكم ، له تسمعون فى كل ما يكلمكم ، وكل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب وجميع الأنبيـاء أيضـاً من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا ، سـبقوا وأنبئوا بهـذه الأيام (٣ : ٢٢ ــ ٢٣) ٠

سـابعا ــ إن بولس اسـتعمل هـذا التركيب « ابنى الحبيب » استعمالا مجازيا كذلك ٠ فقد ورد فى رسالة كورنثوس الأولى قول بولس عن تيموثاوس : أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب (١) ٠

---

(١) كورنثوس الاولى ٤ : ١٦ ٠

ثامنا — يقول Harnack **ما يلى عن شخصية المسيح (١) : ووصف المسيح إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد، وأن المسيح يعتمد عليـه فى كل شىء ، وأن خضـوعه له تام ، ويدْخِل عيسى نفسَه ضمن الناس معلنـا أنه من طبيعـة البشر التى تختلف عن طبيعة الله** وفيما يلى كلمات Harnack نفسها :

Christ Described the Lord of Heaven and Earth as His God and Father, as the Greater, as the only God. In all things he is Dependent on and Submissive to God; and over against His God even includes himself among other men (2).

تاسعا — ورد فى دائرة المعارف البريطانية ما نصه : ولم يدّع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، وكان قانعا بنسبه العادى ابنا لمريم منسوبا من جهـة الأب إلى يوسف النجـار (٣) .

عاشرا — نشرت جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ وثيقة دينية اكتشفت حديثا ، وقد جاء فيها ما ترجمته : تعتقد المسـيحية أن عيسى ابن الله المقدس ، ولكن مؤرخى الكنيسة يسـلمون بأن أكثر أتباع المسيح فى السنوات التالية لوفاته اعتبروه **مجرد نبى آخر لبنى إسرائيل .**

مرة أخرى نعود إلى ما سبق أن أجبنا به من أن فلسـفة مدرسـة الإسكندرية وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعتا المسـيحيين إلى القـول بألوهية المسيح أو القول بتعدد الآلهة ، ويؤكد Harnack أن تعدد الآلهة هو « من عمل أتباع المسيح وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله (٤) ويقول السيد محمود أبو الفضل : إن الاضطهاد الذى لاقاه المسيحيون

---

(١) What is Christianity p. 126.
(٢) What is Christianity p. 126.
(٣) Encyclopaedie Brttannica Vol. 5. p. 636.
(٤) What is Christianity p. 160.

فى عهدهم الأول دفعهم إلى الهجـرة ، فرحل بعضـــهم إلى الإسكندرية فأخـــذوا عن مدرســـتها ورحل البعض إلى رومـــا فأخـــذوا عن الوثنية الرومانية : ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة (١) •

وهناك دليل عجيب على ألوهية المسيح يقدمه الأب بولس إليـــاس الخورى ، وهذا الدليل أقرب إلى الخرافة فى رأى أى عاقل ، يقول الأب بولس : استباح السيد المسيح حق تعديل الشريعة وتكميلها فصـــارح سامعيه بقوله « قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل فإن من قتل يستوجب الدينونة أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة» والله هو الذى قال ذلك للأولين وقد وضع عيسى نفسه بذلك موضـــع الله الذى شرع ، فلابدّ أن يكون هو الله (٢) •

ومعنى هذه الخرافة أن كثيرين منا آلهة فطالما شرحنا للناس ما فرضه الله عليهم وطلبنا منهم مزيداً من العمل الصالح ، نعوذ بالله من الخطل •

وسنورد فى نهاية هذا الكتاب خلاصة هذه الأبحاث فى الملحق الخاص عن « قضية الالوهية » •

أما الروح القدس فلم يُتخذ بشأنه قرار فى اجتماع نيقية بل نُصّ فى ذلك الاجتماع على « ترك الحرية للناس فى الاختلاف عـــلى الروح القـــــدس » •

وهكذا كان متخذو هذا القرار يتمتعـــون بشىء من الحصـــافة فلم يشاءوا أن يقولوا بالثالوث مرة واحدة ، بل اكتفوا بإعلان ألوهية المسيح وتركوا إعلان ألوهية روح القدس موضـــع اختـــلاف بين الناس فـــلم يثبتوها ولم ينفوها بل أجلوها لفرصة أخرى حتى يستقر المبدأ الجديد

---

(١) وحدة الدين والفلسفة والعلم ص ١٣١ .
(٢) يسوع المسيح ٦٩ .

وهو ألوهية المسيح ، ثم بعد ذلك يكملوا إعلان ألوهيـة روح القدس حتى يكمل الثالوث الإغريقى . وسنتكلم فيما يلى عن وقت إعلان ألوهية روح القدس وظروف ذلك .

ألوهيـة الروح القـدس :

الروح القدس هو الذى حل على العـذراء لدى البشـارة ، وعلى المسيح فى العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السـماء (١) . والذى حل على العذراء بالبشـارة هو فى نظر المسـلمين جـبريل عليه السـلام .

وقد سبق أن قلنا إن مجمع نيقية بعد أن قرر ألوهية المسيح ترك الحرية للناس فى الاختلاف على الروح القدس ، وفى ضوء هـذه الحرية وُجِدَ اتجاهان يتصارعان تتزعم كنيسة الإسكندرية أحدهما الذى يقول بالتثليث وأن المسيطر على العالم قُوَى ثلاث : المكون الأول ، والعقل (الابن) ، والنفس العامة (الروح القدس) ويتزعم الاتجاه الآخر بعض القسس فى مقدمتهم مقدونيوس أسقف القسطنطينية ، وقد أعلن هـذا أن الروح القدس ليس بإله ولـكنه مخلوق مصـنوع كما أعلن الأسقف أوسابيوس إنكار وجود الأقانيم الثلاثة ، وقال إن الثالوث ذات واحـدة بأقنوم واحد وكان ذلك الخلاف داعيا لعقد مجمع جديد يبت فى الأمر أو قُلْ كان الأوان قد آن ليـكمل إعـلان الثالوث فعقـد الإمبراطور تاءوديوس الكبير مجمع القسطنطينية سـنة ٣٨١ ولـم يحضره إلا مائة وخمسون أسقفا ، وفى هذا المجمع أعلن حرمان الأسقفين السابقين ، وأسقط كل منهما من رتبته ، ثم قدم بطريرك الإسكندرية قياسا على هيئة الأقيسة المنطقية ، ولكنه فى الحقيقة بعيد عنها ، فمقدماته غير مسلم بها ، ونتائجه غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات ، وهاك نصه :

---

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٧٣ .

« ليس روح القدس عندنا بمعنى غـير روح الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته ، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ،وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة ، قلنا إن حياته مخلوقة ، واذا قلنا إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حى ، واذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن (١) »

ومن النظر فى هذهالسلسـلة التى تأخذ الشـكل المنطقى بمقدماتها ونتائجها يظهر أن أساسها ومقدماتها الضرورية وهى أن روح القدس هى روح الله مقدمة ساقطة ، لا يوافقه عليها أغلب الناس ولا يستطيع أن يقيم الدليل عليها ، فالعقيدة السائدة الصحيحة هى أن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليـه وحيا من خلقـه أو أمراً كونياً (٢) .

ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ، ولم يجتمع ليناقش بل ليتخـذوا قراراً معدّاً قبل الاجتماع ، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس وبلعن من يقول بغير ذلك ، ويقـول ابن البطريق أحـد المؤرخين المسيحيين فى إثبات القرار وشرحه ما يلى : « زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشرة أسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية ، الإيمان بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والابن مسجود له ، وممجّد ، وثبّتوا أن الأب والابن وروح القـدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، ثلاث خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد ، فى ثلاثة أقانيم ، إله واحـد ، جوهر واحـد ، طبيعة واحـدة » .

ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضـاً على المسـيحيين ، وعُذّب ولعن من خالفه ، وحرم من الوظائف وصودرت آراؤه وقتلت .

---

(١) Pengadjaran Geredja Katolik p. 93.

(٢) أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٣٤ .

ولم يكتف بعض رجال الكنيسة بهذا الثالوث على هذا الوضع ، بل نراهم كأنهم تصوروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح ، فلم يقنعوا بأن يكون الروح القدس منبثقاً من الأب ، بل عقدوا مجمعاً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ م وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً ، ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة ، ولا تزال عبارة « ومن الابن أيضاً » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والكنيسة الكاثوليكية ، وسبباً فى عدم الالتقاء بين الكنيستين ، وتؤمن الكنيسة القبطية بمصر بأن روح القدس منبثق من الأب فقط (١) .

وهكذا اتخذت هذه المجامع سلطة صُنْع الآلهة !!! يا لله من ظلم الإنسان وجهله ! .

وقبل أن نترك الكلام عن روح القدس يجدر بنا أن ننقل عن لوقا تصويره العجيب لروح القدس ذاك ، يقول لوقا فى وصفه لاجتماع بطرس بالتلاميذ المائة والعشرين الذين اختارهم ليعلموا المسيحية :

ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معا بنفس واحدة ، وصار بغتة من السماء صوت" كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كلّ البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت له ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا (٢) .

ويقول المسيحيون إن روح القدس لا يزال موجوداً ، وهو ينزل على الآباء والقديسين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم ، وقد نقلت الأخبار نبأ اجتماع الرئيس أيزنهاور بالبابا فى الفاتيكان (نهاية سنة ١٩٥٩) حيث قرأ البابا تحية مكتوبة بالإنجليزية أمام الرئيس أيزنهاور ، وعلقت

---

(١) تاريخ الاقباط للاستاذ زكى شنودة ص ٣٤١ .
(٢) اعمال الرسل ٢ : ١ — ٤ .

الأخبار أن البابا بدأ يتعلم الانجليزية حديثاً ولذلك كانت تحيته قصيرة ومكتوبة • ليت شعرى لماذا لم يعلمه الروح القدس اللغة الإنجليزية كما يقول لوقا بأن الروح القدس علم فى لحظات هؤلاء الرسل لغات لم يكونوا يعرفونها •

٢ ــ صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر :

هذا هو الأساس الثانى من أسس العقيدة المسيحية ، وقد سبق أن تحدثنا عنه ونزيد هنا الموضوع وضوحاً ، وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطُرِد بها من الجَنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها ، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل الرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر (١) ، وقد ورد فى العهد الجديد ما نصه : وإن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ماقد هلك ، فبمحبته ورحمته قد صَنَعَ طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى يكفِّر عن خطايا العالم • وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد ، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق ، قرب الناس من الرب بعد الابتعاد (٢) •

---

(١) الانجيل والصليب للاستاذ عبد الاحد داود ص ٦ ــ ٧ وتاريخ الاقباط ص ٢٣٨ •

(٢) اقرأ انجيل مرقص الاصحاح العاشر الفقرة ٤٤ وما بعدها وانجيل يوحنا ٣ : ١٦ ورسالة رومية ٢٣:٣ وما بعدها و ١٠:٥ وما بعدها والاصحاح السادس •

ويقول القس ابراهيم لوقا (١) إن المسيحية تعلّم أن الله — لكى يجمع بين عدله ورحمته فى تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه — دبَّر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا ، وبهذا أخذ العدل حقه ، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هى نظرية الفداء .

ويصور كاتب مسيحى هو : Alfred E. Garvie هذا الموضوع فى مقاله الطويل الذى كتبه عن المسيحية فى :

«The Encyclopaedia of Religions and Ethics» فيقول (٢) :

« فى المسيحية ينسب الكمال كله لله ، أما الإنسان فهو غير كامل ، وهو مستحق للوم على ما يرتكبه مما يبعده عن الكمال ، والصلة بين الله والناس تتعرض للوهن أو الانفصام بسبب سيئات الإنسان ، ولابد للإنسان — لكى يعيد رفقته لله — أن يفتدى نفسه ، ولا يملك الإنسان ما يفتدى به نفسه ، وليس إلا عيسى ابن الله ليتقدم شفيعا بين الله والإنسان ، فهو الابن الذى يعرف الله كأب ، ويعلن عنه لهم أنه أب محب للرحمة يعفو عن سيئاتهم ويرحب بهم داعيا لهم أن يعودوا إليه وإن كانوا قد أذنبوا .

« وعيسى بصدق تعاليمه وسماحتها وبحياته التى هى مثال راق ، تجذب الناس إليه ، ويوقظ ثقتهم بأنفسهم ، ويكرر لهم التوبة فيضمن لهم عفو الله ، وهذا يبدأ بقبول عيسى النزول إلى الأرض والحياة بين البشر ، ولكنه يصل القمة بأن يقدم نفسه فدية لذنوب الناس ، وتقديم عيسى نفسه فدية هكذا درجة عليا فى الوساطة بين الله والناس » .

ويقول كاتب مسيحى آخر : إن خطيئة آدم عصيان ضد الله وشرود عن الصلة به ، ومعصية ضد قداسته تعالى ، وأعلن لنا يسوع وهو على

---

(١) المسيحية فى الاسلام ص ١٧١ .
(٢) Vol. 3 p. 581.

الصليب أن الله قد تنازل ليجدد الصلة التى قطعت خطيئتنا أواصرها ويتخطى الشقة التى أحدثها بيننا وبينه اعوجاجنا وزيغنا (١) .

ويعيد الأب بولس إلياس الخورى الحق إلى نصابه حينما يعلن فى جراءة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها ، وفيما يلى كلمات هذا الباحث المسيحى :

ومما لا ريب فيه أن **الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره** فعبر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى الى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا (٢) .

وتصور بعض الأناجيل عملية التعذيب التى مر بها عيسى قبل صلبه تصويراً لاذعاً مثيراً ، فقد جاء فى إنجيل متى بعد أن وصف القبض على عيسى وتسليمه إلى الوالى بيلاطس ما يلى :

فقال الوالى للشعب : ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أن كلامه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغبا أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ جلد الوالى يسوع وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه ووضعوا قصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك

(١) اديان العالم الكبرى ص ١١١ .
(٢) يسوع المسيح ص ٢٨ و ٩٢ و ٩٣ .

اليهود ، وبصقوا فى وجهه ، وأخذوا القصبة وضربوه بها على رأسه ، وبعد أن استهزئوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضـوا به للصلب ، وأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب [1] ٠

أيها المسيحيون ، تعالوا نفـكر :

ولست أدرى ما الذى حدا بالمسيحيين أن يصوروا نبيهم أو إلههم هذا التصوير البشع ، وإنّ أىّ مفكر لتخطر بنفسه الأسئلة الآتية :

١ ــ ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأىّ عدل وأىّ رحمة فى تعذيب غير مذنب وصلبه ؟ قد يقولون إنه هو الذى قبل ذلك ، ونقول لهم إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر ، مذنبٌ ولو كان يريد ذلك ٠

٢ ــ إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمـة حينمـا كان الابن الوحيـد يلاقى دون ذنب ألوان التعـذيب والسخرية ثم الصلب مـع دق المسامير فى يديه ؟ ٠

٣ ــ ما هى صورة المسيحيين عن الله (جلّ فى سماه) الذى لايرضى إلا بان يُنزِل العذاب المهين بالناس ، والعهد فى الله الذى يسمونه الأب ويطلقون عليه « الله رحمة » أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات ؟

٤ ــ من هذا الذى قيد الله (جلا جلاله) وجعل عليـه أن يلْزَم العدل وأن يلزم الرحمة وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما ؟

٥ ــ ويدعى المسيحيون أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم ، وفى أى شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد ، وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن

---

(١) اقرا الاصحاح ٢٧ فقرة ٢٣ وما بعدها وانجيل مرقص الاصحاح ١٤.

الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل (١) ؟

٦ — وإذا كان صلب المسيح عملا تمثيلياً على هذا الوضع فلماذا يكره المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح ؟

٧ — وهل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضروريا أو كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر ؟ .

الجواب عن ذلك يقدمه كاتب مسيحى هو القس بولس سباط بقوله: لم يكن تجسد الكلمة ضرورياً لإنقاذ البشر ، ولا يُتَصَوَّر ذلك مع القدرة الالهية الفائقة الطبيعية (٢) .

ثم يسترسل هذا الكاتب فيذكر السبب فى اختيار الكلمة ليكون فداء لخطيئة البشر فيقول : إن الله على **وفرة ماله من الذرائع إلى فداء النوع البشرى** ، وإنقاذه من الهلاك الذى نتج من الخطيئة ومعصية أمره الإلهى، قد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعز ما لديه ، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً (٣) .

ونصرخ فى وجه هذا الكاتب أنه ليس من الحكمة فى أى شىء أن نفتدى بدينار ما نستطيع أن نفتديه بفلس ، تعالى الله عن ذلك .

كلام فارغ وهراء :

وإجابة أخرى عن هذا السؤال نقتبسها من كاتب مسيحى آخر هو الأب بولس إلياس الذى يقول (٤) :

---

(١) تثنية ٢٤ : ١٦ .
(٢) المشرع ص ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢ — ٤٣ .
(٤) يسوع المسيح ص ٩٧ — ٩٨ .

مما لا ريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدى البشر ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة ، أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية جمعاء لأبيه السماوى ، لكنه أبى إلا أن يتألم ، ليس لأنه مريض بتعشق الألم ، ولا لأن أباه ظالم يَطْرَب لمرأى الدماء ، وأية دماء ؟ ابنه الوحيد ، وما كان الله بسفاح ظلوم ، لكن الله الابن شاء مع الله الأب أن يعطى الناس أمثولة خالدة من المحبة ، تبقى على الدهر ، وتحركهم على الندامة على ما اقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة .

ومرة أخرى نصرخ فى وجه هذا المؤلف مؤكدين أنه صور الداء أدق تصوير عندما تكلم عن الدماء والقسوة ، ولكنه عندما بدأ يجيب ويصف الدواء تعثر وكبا ، ولم يقل إلا عبارات جوفاء لا تحمل أى معنى .

ما العمل فى خطايا المستقبل ؟

٨ — ونعود إلى القس بولس سباط لنسأل كما سأل : إذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل فى الخطايا التى تحدث بعد ذلك ؟ ويجيب هذا الكاتب بما يلى بالحرف الواحد : إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم ، لأنهم آنسوا النور وعشوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادتهم (١) .

ومعنى ذلك أن خطيئة واحدة محيت وأن ملايين الخطايا سواها بقيت وجدّت بعد ذلك وسيحاسَبُ الناسُ على ما اقترفوه ، وبعض ما اقترفوه أقسى من عصيان آدم ، لقد أنكر بعض الناس وجود الله ، وهاجمه آخرون وسخروا بجنته وناره ، فلماذا كانت مظاهرة التجسد لخطيئة واحدة وتُركتْ خطايا لا تُعَدّ ؟

---

(١) المشرع ص ٤٤ .

أين قرار الله من عهد آدم الى عهد عيسى ؟

٩ — وأين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله ظل (تعالى عن ذلك) حائرا بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قَبِلَ المسيح منذ حوالى ألفى عام أن يُصلب للتكفير عن خطيئة آدم •

١٠ — ويلزم فى جميع الشرائع أن تناسب العقوبة الذنب ، فهل يتم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو ، وبين الخطيئة التى ارتكبها آدم ؟ •

١١ — هذا إلى أن خطيئة آدم التى لم تزد عن أن تكون أكلا من شجرة نُهِى عنها ، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة ، ولا شك أنه عقاب كاف ، فالحرمان من الجنة الفينانة • والخروج الى الكدح والنصَب عقاب ليس بالهيِّن ، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك ، ولكنه اكتفى بذلك ، فكيف يستساغ أن يظل مضمراً السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب عيسى •

الطوفان ابتلع العصاة ألا يكفى ذلك ؟

١٢ — وقد مرت بالبشر من عهد آدم الى عهد عيسى أحداث وأحداث وهلك كثيرون من الطغاة وبخاصة فى عهد نوح ، حيث لم ينج إلا من آمن بنوح واتّبعه وركب معه السفينة ، فهؤلاء هم الذين رضى الله عنهم فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة وكراهية تحتاجان لأن يضحى عيسى بنفسه فداء للبشرية ؟

١٣ — والكاتب المسيحى الذى أسلم « عبد الأحد داود » ينتقد قصة التكفير هذه انتقاداً عقلياً سليما فيقول إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى وهو خطيئة آدم وغضب الله على

الجنس البشرى بسببها ، ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب (١) .

١٤ — ويقول هذا الكاتب إن مما حمله على ترك المسيحية ، هو هذه المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهى :

(أ) نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدى .

(ب) الله لا يخلّص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم ، بدون شفيع .

(جـ) والشفيع لابد أن يكون إلها تاماً وبشراً تاماً .

ويدخل هذا الكاتب فى نقاش طويل مع المسيحيين بسبب هذه الأوامر ، فهم يرون أن الشفيع لابدّ أن يكون مطهراً من خطيئة آدم ، ويرون أنه لذلك وُلد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه ، وسألهم الكاتب : ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه مريم ؟ .

ويجيب هؤلاء بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الابنُ رحمها . ويعود الكاتب فيسأل : اذا كان الله يستطيع هكذا فى سهولة ويسر أن يطهّر بعض خلقه ، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر ؟ بدون انزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب (٢) ؟

ونضيف الى نقاش عبد الأحد داود أن قولهم بضرورة أن يكون الشفيع مطهراً من خطيئة آدم (مما استلزم أن يولد عيسى من غير أب ، وأن يطهر الله مريم قبل دخول عيسى رحمها) يحتاج الى طريق طويل

---

(١) الانجيل والصليب ص ٧ .
(٢) الانجيل والصليب ص ١٢٤ ، ١٢٧ .

معقد • وكان أيسر منه أن ينزل ابن الله مباشرة فى مظهر الانسان دون أن يمر بدخول الرحم والولادة ، ونضيف كذلك أن قول المسيحيين بالتطهير يتعارض مع اتجاه مسيحى آخر سبق أن أشرنا اليه ، وهو أن ابن الله دخل رحم مريم ليأخذ مظهر الانسان وليتحمل فى الظاهر بعض خطيئة آدم الذى يبدو ابنُ الله كأنه ولد" من أولاده ، ثم يصلب ابن الله تكفيراً عن خطيئة البشر الذى أصبح كواحد منهم • ويبقى فى هذا الموضوع أن نسأل أسئلة أخيرة هى :

هل كان الأنبياء جميعاً قبل عيسى مدنسين خطاة بسبب خطيئة أبيهم آدم ؟

وهل كان الله غاضباً عليهم أيضاً ؟

وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر ؟

حقيقة قصة الصلب للتكفير :

قلنا إن مبدأ التثليث ورد للمسيحية من الفلسفة الاغريقية ، ونقول هنا كذلك إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية فى شىء ، ويبدو أنها وردت الى المسيحية من عقائد أخرى وبخاصة عقيدة الهنود ، إذ أننا نجدها **معتقدة سائدة عند الهنود** قبل المسيح بمئات السنين ، فهم يعتقدون أن « كرشنا » المولود البكر الذى هو نفس الإله « فشنو » الذى لا ابتداء له ولا انتهاء ، تحرك حنواً كى يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الانسان ، ويصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر •

وفى بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم « أندرا » سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكى يخلص البشرية من ذنوبهم ، وأن صور

الصلب موجودة فى كتبهم (١) • »

وقبل أن نترك هذا الموضوع نحب أن نقرر أن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى اختلفت اختلافاً كبيراً فى إيراد قصة الصلب ، ويعجب الانسان كيف تختلف هذه الأناجيل فى أساس هام من أسس ديانتهم ، ولو صح أن هذا أساس ، وأن المسيح أنبأ به ، لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً ، أما التفاوت بين الأناجيل فى ذلك الموضوع فيصوره الأستاذ عبد الوهاب النجار بإيراد نصوص هذه الأناجيل كاملة حول هذه المسألة ، ثم يناقشها فيعدد أربعة وثلاثين وجهاً من أوجه التضاد بين هذه النصوص ، ولا شك أن هذا التضاد يُسقط قيمة الاستدلال بهذه النصوص • وبالتالى يسقط قيمة الفكرة (٢) •

٣ — المسيح يحاسب النـــاس :

هذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية ، ويرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن ، وذلك لأن الابن — بالاضافة الى ألوهيته وأبديته — ابن الانسان أيضاً ، فهو أولى بمحاسبة الانسان (٣) •

ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع الى السماء جلس بجوار الأب على كرسى استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا • وقد جاء فى رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس « لابد أننا جميعاً نظهر أمام

---

(١) أ — العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية للاستاذ محمد طاهر التنير فى عدة صفحات .

ب — تفسير المنار للسيد رشيد رضا ج ٦ ص ٣٢ •

جـ — شبهات النصارى وحجج المسلمين للسيد رشيد رضا ص ١٥

د — قصص الأنبياء للاستاذ عبد الوهاب النجار ص ٤٣٢ — ٤٣٣ •

(٢) اقرأ عن الاناجيل وصلب المسيح « قصص الانبياء » للاستاذ النجار ص ٤٣٢ — ٤٤٨ •

(٣) Encyclopaedia Britannica Vol. 5 632.

كرسى المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيراً كان أو شراً » (١) •

وهناك نصوص أخرى فى العهد الجديد تقرر هذا المبدأ ، نورد بعضها فيما يلى :

١ — جاء فى رسالة بولس الى أهل إفسس قوله : أقام الله المسيح من الأموات ، وأجلسه عن يمينه فى السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة ، وأخضع كل شىء تحت قدميه (٢) •

٢ — وفى رسالته لأهل رومية : إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسى المسيح (٣) •

٣ — وفى إنجيل يوحنا : الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن (٤) •

٤ — ويروى يوحنا عن عيسى قوله : أنا أسمع وأدين ودينونتى عادلة (٥) •

وليس لنا أن نناقش هذه العقيدة بعد أن ناقشنا أسسها وأثبتنا بطلانها ، وأنها مبنية على ألوهية المسيح وهو أساس باطل ، واذا ثبت أنه بشر نبى لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين ، وقد جاء فى الوثيقة التى أشرنا لها من قبل والتى نشرتها جريدة التايمز بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٦٦ النص الآتى منسوباً الى عيسى : لن أحاسب الناس على أعمالهم ، أو أحكم عليهم ، الذى أرسلنى هو الذى يصنع ذلك •

---

(١) راجع الاصحاح الخامس •
(٢) الاصحاح الأول • الفقرة ٢٢ •
(٣) اصحاح ١٤ الفقرة ١٠ •
(٤) اصحاح ٥ الفقرة ٢٢ •
(٥) اصحاح ٥ الفقرة ٢٠ •

والتفكير الاسلامى فى هذا الموضوع يجعل الرسل شهوداً أمام الله على أنهم بلّغوا الرسالة ، كما تشهد أعضاء الانسان عليه بما فعل ، أما الحكم النهائى فهو لله الذى يحكم لا معقب لحكمه ، فإذا قارنا هذا التفكير الأسلامى بالتفكير المسيحى نجده متقارب الأصول من حيث أن كل نبى يحضر محاسبة قومه ويعلن أمام الله العلى العظيم أنه بلّغهم ما أُمِرَ به ولكن الحكم النهائى فى اعتقاد المسلمين لله العلى العظيم ، والحكم عند المسيحيين للمسيح ، وسبب ذلك الانحراف فى التفكير المسيحى ، هو ما يتخيله المسيحيون دائماً من منافسة بين الله العلى العظيم ، وبين عيسى ، وهذا الخيال المريض لم يجعل المسيحيين يقنعون بالتفكير العام الذى يقضى بأن الحكم لله وأن الرسل شهداء على أقوامهم كما سبق ، لم يقنع المسيحيون بذلك فوضعوا عيسى على كرسى بجوار الله وحكموا له أنه هو الذى سيحاسب ويدين وأن الله تنازل له عن هذا السلطان ، إن المسيحيين فى كثير من الأحيان لا يريدون أن يقنعوا بمساواة المسيح لله ، بل يحاولون أن يرتفعوا به إلى غاية أعلى وهى سبق الابن للأب (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) •

وربما جاز لنا أحياناً أن نفهم أن تفكير المسيحيين قريب الصلة بعبادة الأبطال وربما كانوا الى عبادة الأبطال أميل •

الاسلام والمسيحية الحالية :

لقد رأينا المسيحية الحالية ، مسيحية بولس ، ورأينا انحرافها الذى أبعدها عن المسيحية الحقيقية ، ومن أجل هذا الانحراف واجه المجتمع الاسلامى من أول ظهوره وثنية رومانية تسمّى نفسها بالمسيحية والحق أنها لا صلة لها بمسيحية عيسى ، فقد اتضح للمسلمين دون عناء أن المسيحية الحالية ، خليط من وثنيات العالم القديم ، ولا يوجد بها طقس من الطقوس ، أو عقيدة من العقائد الا كان من الممكن إعادته لما قال به أفلوطين بالأسكندرية ، أو ما انحدر عن تقاليد اليونان والرومان ،

والمجتمعات البربرية فى أوربا ، وقد أوضحنا ذلك فيما ذكـره Berry ، من قبـــل .

ومن الواضح أن الإسلام كان يتعارض تعارضاً جذرياً مع وثنيــة الروم وقد وقف الاسلام منادياً بالمسيحية الحقة التى تقود للاســلام ، مصححاً أفكار المنحرفين ، فاستجاب له الـكثيرون ، وآثر آخـرون أن يغمضوا عيونهم عن النور ، فظلوا فى طيات الظلام ، ومجاهل الانحراف .

شعـــائر المسيحية

الشعائر المسيحية لا تسمو الى مكانة العقائد التى سبق الـكلام عنها ، فالعقائد أساس لدخول المسيحية ، وبدون الايمـان بها لا يكون الانسان مسيحياً ، أما الشعائر فإنها لازمة ، وعلى المسيحى أن يقوم بها ، ولكن الشخص على كل حال يُعتبر مسيحياً قبل أن يقوم بها ما دام قـد اعتنق العقائد السابقة . وكانت هذه الشعائر سبعة ، ويقول الأسـتاذ عمر عنايت (١) : إن هذه الشعائر نشأت من القَسَم الذى كان يحلفـه الجندى الرومانى قبل انخراطه فى سلك الجيش ، وأهم هذه الشـعائر : التعميد ، والعشاء الربانى ، وتقديس الصليب وحمله ، وقد تأثرت طريقة أداء بعض هذه الشعائر بطريقة أداء القسم سالف الذكر ، فكما لزم أن يؤدَّى القسم فى حضرة ممثل للجيش فإن التعميد يلزم أن يؤدى بواسطة ممثل للكنيسة ويلزم كذلك أن يُقدم الخبز والخمر فى العشـاء الربانى بواسطة آباء الكنيسة (٢) ، وسنتكلم فيما يلى كلمة عن كل من الشعائر السـالفة :

التعميـــد :

تكاد تتفق كل الفرق المسيحية على ضرورة التعميد ، وكان التعميد موجوداً قبل المسيحية عند اليهود كان يحيى يُعَمِّد الناس فى نهر الأردن

---

(١) العقائد ص ١٠٤ .

(٢) Pengadjsran Geredjs Katolik Hal. 300.

ولذلك سُمّى (يوحنا المعّمدان) وقد قام يوحنا بتعميد المسيح كما سبق القول .

ولم يتفق المسيحيون على وقت التعميد ، فبعضهم يعمّد الشخص فى طفولته ، وبعضهم يعمّده فى أى وقت من حياته ، وبعضهم يُجْرى التعميد والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة السيئات وتطهير من الذنوب فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده ، وقد عُمّد قسطنطين حامى المسيحية وهو على فراش الموت ، والغالب أن يتم التعميد فى الطفولة حتى ينشأ الانسان — كما يقولون — طاهراً مُبَرَّأً من الذنوب .

وطريقة التعميد هى رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم فى الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله فى الماء ، ولابد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعمّد الانسان باسم الأب والابن وروح القدس. ولا يقوم غير الكهنة بالتعميد إلا للضرورة ، وحينئذ يسمى التعميد « تعميد الضرورة » (٢) . ولا تجيز الكنيسة القبطية التعميد بالرش إلا للضرورة كذلك ، وتلزم أن يكون بالتغطيس ، وأن يكون ثلاث مرات، الأولى باسم الأب ، والثانية باسم الابن ، والثالثة باسم روح القدس(٣).

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع عن التعميد : « فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح ، وهى ختم عهد النعمة كما كان الختان فى الشريعة الموسوية ، والعمودية تدل على اعترافهم العلنى بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس

---

(١) Pengadjsran Geredjs Katolik pp. 147-154.
وانظر كتاب « وحدة الدين والفلسفة والعلم » للسيد محمود ابو الفيض ص ١٢٢ .

(٢) زكى شنودة : تاريخ الاقباط ص ٨ .

كإلههم ومعبودهم الوحيد • ولا يجوز أن يعمّدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله (١) » •

ويذكر الأب بولس إلياس عن سر المعمودية أنها تمحو الخطيئة الأصلية فى النفس وتلدها ثانية (٢) •

العشاء الربانى Saciament

يطلق عليه أيضاً « التناول » وهو أيضا عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية (٣) ، ويرْمز بالعشاء الربانى الى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه اذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ ، والخبز يرمز الى جسد المسيح الذى كُسِرَ لنجاة البشرية ، أما الخمر فيرمز الى دمه الذى سفك لهذا الغرض ، ويُستعمل فى العشاء الربانى قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما فُعِلَ بالمسيح ليلة موته وكذلك ليكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين فمن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز الى لحم المسيح والخمر الى دمه فيحصل امتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه (٤) وسيأتى مزيد من الايضاح لهذا الموضوع عند الكلام عن الاستحالة •

وقد جاء فى رسالة بولس لأهل كورنثوس عن العشاء الربانى ما يلى: « إن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلم فيها أخذ خبزاً ، وشكر ، فكسر ، وقال : خذوا وكلوا • هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ، اصنعوا هذا لذكرى ، وكذلك أعطاهم قليلا من الخمر وقال : خذوا واشربوا هذا هو دمى المسفوك لأجلكم ، وإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا

---

(١) انظر كذلك Pengadiaran Geredja Katolik H. 147-154.
(٢) يسوع المسيح ص ٢١٠ .
(٣) عمر عنايت : العقائد ص ١٠٥ .
(٤) انظر كتاب « وحدة الدين والفلسفة والعلم » للسيد محمود ابو الفيض ١٣٢ .

الكأس تخبرون بموت الرب حتى يعود (١) » ، ومن أجل هذا يعتقد المسيحيون أن الخبز يرمز الى جسم المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، وأن الخمر يرمز الى دمه الذى سفك لهذا الغرض أيضاً (٢) .

وجاء فى انجيل يوحنا قول عيسى : والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم ، ومن يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية يثبت فىّ وأنا فيه ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى (٣) .

تقديس الصليب وحمله :

إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه ، فقد ورد عن المسيح قوله « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى (٤) » ومعنى حمل الصليب عندهم هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت فى أبشع صوره ، أى صلبا على خشبة كما يفعل بالمجرمين والآثمين ، وقويت فكرة تقديس الصليب بعد صلب عيسى ، فأصبح أداة تذكر المسيحيين بالتضحية الضخمة التى قام بها المسيح من أجل البشر . ومن العجيب أن الكنيسة التى تعلن الحرب على الأصنام هى بذاتها تقدس صليبا مصنوعا من معدن أو خشب وتوصى بتقديسه(٥) . قد يقول المسيحيون إن الصليب ليس إلا رمزا ، ونجيبهم أن العرب فى جاهليتهم الأولى قالوا عن عبادتهم للأصنام « ما نعبدهم إلا ليقربونا

---

(١) كورنثوس الاول ١١ : ٢٣ — ٢٦ .
(٢) Pengadjaran Geredja Katolik Hal. 197.
(٣) الاصحاح السادس ، اقرا الفقرات ٥١ — ٥٨ .
(٤) لوقا ٩ : ٢٣ .
(٥) عبد الأحد داود : الانجيل والصليب ص ٨ .

الى الله زلفى (١) » ومع هـذا فقد عيبت عليهم عبادتهم للأصنام مع أنهم كانوا فى عهد جاهلية •

من الواضح أن هناك علاقة بين تقديس الصليب عند المسيحيين وبين النظم الرومانية التى كانت تجعل حمل الصليب دليلا على صدور الحكم بالإعدام صلباً ، فحمل المسيحيون الصليب استعداداً لهـذه الحالة ، فالتعبير بحمل الصليب مستعار من العـادة التى قضت بهـا الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمله كل يوم •

---

(١) سورة الزمر الآية الثالثة .

المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية

تحدثنا عن العقائد المسيحية ، وعن شعائر المسيحيين ، ووقفنا وقفة بعد كل من هذه العقائد وتلك الشعائر نذكر مصدرها ، ونبيِّن أنها جميعا ليست من المسيحية الحقيقية فى شىء ، وأنها تعاليم دخيلة على الدين المسيحى كما علمه عيسى بن مريم عليه السلام .

وكان من بين المراجع الكثيرة التى انتفعتُ بها وأنا أُعِدُّ الطبعات المتعددة لهذا الكتاب ، مجموعة مراجع بالغة الأهمية . كانت كبيرة النفع فى تبيان المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية التى تعلّمها الكنيسة ، وهذه المراجع هى :

أولا — كتب كتبها مسيحيون مصريون لهم صلة بالدراسات المصرية القديمة ، وسنتحدث عنها بعد قليل .

ثانياً — The Life of Buddha by Edward Thomas

ثالثا — The Sources of Christianity by Khwaja Kamal ud-din

رابعاً — Pagan Christs by L. Ropertson

وسنتكلم عن هذه المجموعة من المراجع موضحين اتجاهاتها فى الحديث عن المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية .

ومجموعة المراجع العربية التى أشرنا لها فى « أولا » تشمل الكتب الآتية :

١ — مجد الكتاب المقدس للاستاذ صابر جبره .

٢ — كنائس القاهرة القبطية للاستاذ رءوف حبيب .

٣ — فى رحاب المعبود توت للدكتور سامى جبره .

الفكر المصرى فى المسيحية :

يقول الدكتور صابر جبره إن كلمة الحيـاة عنـد قـدماء المصريين ترسَم يما يُرسم الصليب ، وليس بعيداً إذاً أن يكون رسـم الصليب مقتبساً من الفكر المصرى ، بمعنى نهاية الحيـاة ، أو الحيـاة التى تلى الصلب ، ويقول كذلك • إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث فى المسيحية (١) •

ويقول الأستاذ رءوف حبيب فى حديثه عن نشأة المسيحية بمصر : المصريون من أسبق الشعوب التى اعتنقت المسيحية ، إذ وَجد المصريون فى حياة المسيح صدى لقصة أوزوريس الإله الذى ذهب ضحية روح الشر، وكذلك اتفقت قصة المسيح من ناحية نظام الثالوث الأقدس مع قصـة التثليث فى الفكر المصرى (٢) • (أوزوريس وإيزيس وحورس) ويتضح من كلام الأستاذ رءوف حبيب عن تطابق العقائد بين الفـكر الفرعونى والفكر المسيحى أن تفكيراً مصرياً عميقاً ظهر فى المسيحية •

ويقول الدكتور سامى جبره (٣) إن كثيراً من المفكرين يتجهون الى أن الثالوث يرجع الى خمسة عشر قرناً على الأقل قبل مولد المسيح ، فقد وُجدَ فى مصر فى ذلك التاريخ ، وتأثر الفكر المسيحى بالفـكر المصرى وبخاصة بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعونى والفكر المسيحى•

ونختتم حديثنا عن التشابه بين العقائد المصرية وبين الفكر المسيحى باقتباس من الدكتور محمد حماد (٤) يقول : المسيحية كدين ليست بعيدة فى أسسها عن العقائد المصرية القديمة ، وهناك تشابه كبير بين الاثنين فى كثير من الوجـــوه •

الفكر البوذى فى المسيحية :

أما المرجع الثانى فقد عقد فصلا خاصاً لمناقشة المقارنة بين البوذية

(١) مجد الكتاب المقدس : ص ١٠٣ •
(٢) كنائس القاهرة القبطية : ص ١
(٣) فى رحاب المعبود توت : ص ٢٤ •
(٤) الفنون والطرز القبطية : ص ٦ •

والمسيحية (١) • ويتضح من هذا الفصل أن المسيحية استعارت كثيراً من معتقداتها وشعائرها من البوذية ، فالتثليث ، والأقانيم ، وقصة الصلب للتكفير عن خطيئة البشر ، والزهد ، والتخلص من المال للدخول فى ملكوت السموات ، والرهبانية ••• كلها مستعارة من البوذية التى سبقت المسيحية بعدة قرون •

المسيحية اقتباس من مصادر متعددة :

وأما المرجع الثالث فدراسة واسعة مستفيضة حول الأصول التى انحدرت منها عقائد المسيحية الحالية وشعائرها ، وهذا المرجع يصوّر المسيحية ثوباً مهلهلا تكوّن من مجموعة كبيرة من الرقاع ، جاءت كل رقعة منها من وادٍ ، فبعض المعتقدات انحدر من الأديان الوثنية ، وبعضها من ديانة متراس ، وبعضها من البوذية ، وبعضها من الفلسفة الإغريقية ، وبعضها من الخرافات التى يدين بها البدائيون وهكذا •

الوثنية فى المسيحية :

وأما المرجع الرابع فإن عنوانه : « المسيحية الوثنية » وهذا العنوان خير دليل على اتجاه مباحثه •

وإذا اكتفينا بما أوردناه عما اقتبسته المسيحية من الفكر المصرى فإننا ينبغى أن نطيل وقفتنا لنوضّح ما اقتبسته المسيحية من البوذية والوثنية •

وقد ظهرت البوذية قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ، ويلاحظ غوستاف لوبون تشابها واضحاً بين الديانتين من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع ، ونقتبس منه قوله : إنك تلاحظ تماثلا عجيباً من كل وجه بين صيام عيسى فى البرّية حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا فى الآجام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسى مع المرأة التى طلب منها أن تسقيه وهى من الطبقة الدنيا ، بما حدث لعيسى من السامرية وما قاله

---

(1) Chap, xvII pp. 237-248.

لها ، وكلتا الديانتين أمرتا بالاحسان والزهد ، وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كما تُناط بالأعمال ، وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد فى تاريخ العالم • ويختم غوستاف لوبون هذه المقارنة بقوله : وليس مما نبالى به كثيراً أن تكون إحداهما مدينة للأخرى فلا ندرس هذا الأمر فى هذا الكتاب (١) •

أما نحن فإننا ندرس هذا الأمر فى هذا الكتاب ، ولذلك نقـــرر أن مسيحية بولس استعارت هذا وسواه من البوذية ، فطبيعـــة اللاحق أن يستعير من السابق ، ولا يمــكن للعكس أن يكون ، وبخاصـــة أن هـــذه الاتجاهات دُوِّنت قبل ظهور عيسى ، وهى وليدة الحياة الهندية وسائرة فى أفقهـــــــا (٢) •

وبمناسبة الاشارة الى بولس هنا نقتبس من Khwaia Kamalud - din اقتباساً يقرر انقطاع العلاقة بين الأناجيل والكنائس ، على الرغـــم من تأثر الأناجيل برسائل بولس تأثراً جعلها لا تعارض هذه الرسائل وتكتفى بالاتجاه التاريخى عن المسيح ، يقول Khwaia Kamalud - din :

إذا درسنا الأناجيل دون نظر لما كتبه القديس بولس ، فإننا نجـــد تعاليم عيسى وكلماته لا تنسَّق مع اتجاه الكنائس فى عهدنا الحاضر (٣) •

فمن أين اتخذت الكنائس قدوتها ؟ وما المصدر الذى استقت منـــه الـــكنائس اتجـــاهاتها ؟ •

فى الاجابة عن هذا السؤال يقول هذا المؤلف فى طبعته الأخـــيرة بحـــــــروفه :

Iam glad to say that none of my Church Critics have questioned the correctness of the facts that lead me to conclude that most of the Furnitnue of current Christianity has been borrowed from Paganism.

---

(١) حضارة الهند ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .
(٢) انظر أديان الهند الكبرى للمؤلف .
(٣) The Sources of Christianity p. 15.

يسرنى أن أسجل أنه ، من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابى هذا بالنقد والمناقشة ، لا يوجد واحد عارض الحقائق التى ذكرتها بها والتى قادتنى الى أن أقرر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية (٢) » .

وهذا المؤلف هو و Ropertson يذكران تفاصيل الديانات الوثنية التى استعارت المسيحية شعائرها وعقائدها ، كما يذكران هذه الشعائر وتلك العقائد المستعارة ، وفيما يلى بعض التفاصيل لهذه المسائل:

مقارنة العقائد الوثنية بعقائد المسيحية الحالية :

قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدس عدداً كبيراً من الآلهة فهناك مثلا آبلّو الذى كان يقدسه الإغريق ، وهيركوليس معبود الرومان ، ومثرا معبود الفرس ، وأدونيس معبود السوريين ، وأوزوريس وإيزيس وحورس معبودات المصريين ، وبعل معبود البابليين ، وسواهم كثيرون وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس ، وفى هذه الأديان أو أكثرها كانت توجد المعتقدات الآتية :

— كل هذه الآلهة ينسب لها أنها وُلِدَتْ فى نفس الفترة [الشهر أو الموسم] التى ينسب لعيسى أنه ولد فيها .

— كل هؤلاء وُلدوا فى كهف أو حجرة أو بعيدا عن الناس .

— كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى .

— كلهم كانوا يُنْعَتُون ، المخلّص — المنقذ — الوسيط .

— كلهم قُهروا بقوى الشر والظلام .

— أُلقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى .

— هبّوا جميعاً من مدافنهم بعد الموت وصعدوا الى عالم السماء .

— أسسوا جميعاً خلفاء لهم ورسلا ومعابد .

---

(١) Ibid. p. XI.

ويتضح من هذا أن المسيحية اقتبست كل هــذه المعتقــدات (١) ، ويمكن أن نعطى تفاصيل أوسع عن أحد المعتقدات السابقة لنرى مدى صلة المســـيحية بهـــا :

متراس : هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد ازدهرت فى بلاد فارس قبل الميلاد بحوالى ستة قرون ، ثم نزحت الى روما حوالى سنة ٧٠ ق٠م، وانتشرت فى بلاد الرومان ، وصعدت الى الشمال حتى وصلت بريطانيا ، وقد اكتشفت بعض آثارها فى مدينة يورك ومدينة شســـتر وغيرهما من مدن انجلترا وتذكر هذه الديانة أن :

— مترا كان وسيطاً بين الله والبشر ٠

— وأن مولده كان فى كهف أو زاوية من الأرض ٠

— وأنه ولد فى الخامس والعشرين من ديسمبر ٠

— كان له اثنا عشر حواريا ٠

— مات ليخلص البشر من خطاياهم ٠

— دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره ٠

— صعد الى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون ٠

— كان يُدْعَى مُخلصاً ومنقذاً ٠

— ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع ٠

— كان أتباعه يعمّدون باسمه ٠

— وفى ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس (١) ٠

---

(١) The Sources of Christianity pp. 29 - 30.

(٢) Ropertson : pagan christs p. 338.

ويقول Ropertson إن ديانة متراس لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية الى المسيحية (١) •

مقارنة بين محاكمة بعل ومحاكمة عيسى :

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدّت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معيناً للمسيحية فى موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل فى تمثيلية مؤثرة كانت تُمَثّل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة ، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن ، وقد اكتُشِف فى مطلع هذا القرن **بأرض بابل لوحتان** يرجع تاريخهما الى القرن التاسع قبل الميلاد ، وسُجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته• وقد أُخذ اليهود الى سجن بابل منذ عهد بختنصر وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع ، وعندما عاد اليهود الى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة فى حياتهم ، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة ، **وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح** ، حتى ليمكن القول إن قصة صلب المسيح كما تورد الأناجيل هى قصة منتحلة تماماً وفيما يلى بعض عناصرِ التشابه بين القصتين :

محاكمة بعل	محاكمة عيسى
١ ـ أُخذ بعل أسيراً	أُخذ عيسى أسيراً
٢ ـ حوكم بعل علناً	وكذلك حوكم عيسى
٣ ـ جرح بعل بعد المحاكمة	اعتُدِى على عيسى بعد المحاكمة
٤ ـ اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل

(1) Ibid. : 350.

محاكمة بعل	محاكمة عيسى
٥ — كان مع بعل مذنب حكم عليه بالاعدام ، وجرت العادة أن يُعفَى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت : وقد طَلَبَ الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر .	وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ، ورشح بيلاطس عيسى ليُعْفَى عنه كالعادة كل عام ، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى
٦ — بعد تنفيذ الحكم على بعل عمَّ الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس	عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء
٧ — حرس بعل فى قبره حتى لا يَسرِق أتباعُه جثمانه	وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حوازيوه جثمانه .
٨ — إلاهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه	مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه
٩ — قام بعل من الموت وعاد الى الحياة مع مطلع الربيع وصعد الى السماء	قام عيسى من مقبرته فى يوم أحد وفى مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء (١) .

مقارنة بين حياة بوذا وحياة عيسى :

وهناك مقارنة أخرى ، هذه المرة بين بوذا وبين عيسى ، وقد أورد هذه المقارنة كل من T. W. Doane (٢) و Edward Thomas (٣) و Khwaja

---

(١) Khwaja Kamal - ud - din : The Seurces of Christianity pp. 44 - 49.

(٢) Bible Mythology pp. 287-297.

(٣) The Life of Boddha pp. 237 - 248.

Kamal - ud - din (١) ومنهم من أفاض فيها ومنهم من أوجز ، وفيما يلى خلاصة ما ذكره هؤلاء المؤلفون .

بوذا	عيسى
١ ــ عند مولد بوذا ظهر نجم فى السماء يبشر به ، وقد رئى هذا النجم يسير نحو مكان مولده ، وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد	وعند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضاً يبشر بمولد المخلّص، وقاد جماعات المجوس نحو مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له
٢ ــ ولد بوذا فى اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية .	ولد عيسى فى الخامس والعشرين من ديسمبر أيضاً .
٣ ــ عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته وسبّحت بحمده قائلة إن المبارك قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض .	وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة فى الجو مسبحة فى الحقول بالقرب من بيت لحم ، وكانت تسبح بحمد (المبارك) وتقول : للناس المسرة وعلى الأرض السلام .
٤ ــ كان مولد بوذاخطراً على الملك والسلطان فهدده ملك بنباسارا وأراد قتله ، حتى لا يكون سببا فى القضاء على سلطانه .	وكان عيسى خطراً كذلك على ملك هيرودوس ولذلك أراد هيرودوس قتله لولا أنه فرّ إلى مصر مع أمه .
٥ ــ وعندما كان بوذا على وشك	وعند بدء دعوة عيسى ظهر له

(١) The Sources of Christianity pp. 62 - 70.

بوذا	عيسى
أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان (Mara) ليحاول تضليله •	الشيطان (The Devil) محاولا تضليله •
٦ ـ قال مارا لبوذا ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح إمبراطور العالم •	وقال الشيطان لعيسى : إذا عبدتنى سأجعلك ملكا على العالم كله
٧ ـ ولم يهتم بوذا بمارا وصاح به : ابتعد عنى •	ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به : أخسأ أيها الشيطان •
٨ ـ وبعد أن انتصر بوذا على مارا أمطرت السماء زهورا وعبِقَ الهواء بعبير طيب •	وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرّمته •
٩ ـ وصام بوذا فترة طويلة •	وصام عيسى أربعين يوما بلياليها
١٠ ـ وتعمد بوذا بالماء المقدس ، وفى أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس	وعَمّد يحيى عيسى فى نهر الأردن وكان ذلك أيضا فى حضرة روح الله وروح القدس •
١١ ـ وتَقْبَل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا •	وتقبل صلاة المسيحيين مادامت باسم عيسى وينالون بسببها الفردوس •
١٢ ـ وعندما مات بوذا ودُفن	وعندما مات عيسى ودفن أزاحت

عيسى	بوذا
قوة من قوى ما فوق الطبيعة الحجارة عن قبره وعاد عيسى إلى الحياة •	شُقّ قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة وعاد للحياة•
وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض •	١٣– وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض •
وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد وينشر دعوته ويملأ الأرض بالخير والسلام •	١٤– وسيعود بوذا إلى الأرض فى آخر الزمان ليواصل دعوته ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة ونعيما •
وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب الناس فى الدار الآخرة •	١٥– وسيوكل كل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث •
وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد كالأب •	١٦– وبوذا لا أول له ولا نهاية وهو خالد •
وعيسى مخلص البشر الذى قدم نفسه فداء ليكفر عنخطيئة أبيهم آدم •	١٧– ويروى عن بوذا أنه قال : إننى أحمل سيئات البشرعنهم ليصلوا إلى السلامة •
ومما علمه عيسى لأصحابه أن يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم •	١٨– ويروى عن بوذا قوله : أَخْفِ أعمالك الطيبة وأعلن على الناس سيئاتك التى ترتكبها •

بوذا	عيسى
١٩ــ وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم •	وقال عيسى لأتباعه : أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا لمن يبغضكم •
٢٠ــ ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر ليُقبَلوا فى الدعوة •	واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت الله •
٢١ــ وكان هدف بوذا الأسمى أن يكوّن ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء •	ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت السماء •
٢٢ــ ونادى بوذا بعدم الزواج وشبّه الزواج بالاحتراق فى الفحم ، ولم يُجِزْه إلا عند خوف الزنا •	ويقرر الفكر المسيحى أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة ولكن إذا خاف الزنا جاز له أن يتزوج فالزواج خير من الاحتراق بالنار •

ولم تكتف المسيحية باقتباس الأحداث وإنما اقتبست أيضاً الأيام والتواريخ ، فمولد عيسى وصلبه ودعوته للحياة تقع فى أيام تتفق تماما مع أحداث وثنية ترتبط بمثل هذه الأيام كما سبق القول (١) •

أما حادثة العشاء الربانى التى سبق أن أوردناها فهى بتفاصيلها الدقيقة واردة فى ديانة متراس حذوك النعل بالنعل كما يقولون (٢) •

---

(١) The Sources of Christianity p. X.

(٢) Justin Martyr : The Christionity p. 14.

وبعد ، فقد اتضحت لنا المصــادر الحقيقية للمســيحية الحالية ، ونقرر هنا بيقين أن هذا ليس خافيا على الكهنة المسيحيين الذين يقودون هذا الركب ، ويقول الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى القسيس الذى أسلم :

إن المسيحية فى أصولها دين سماوى جاء به المسيح من عند الله ، ولكن الكهنة فى كل زمان ومكان كانوا يحتكرون الأسرار لأنفسهم ، تلك الأسرار التى لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيــدون عنه ، وإنه ليمنعنى من الدخول فى أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتى الوقت الذى نـفْـصح فيه عن كل شىء (١) •

وأنا بدورى أرجو أن يفصح الأستاذ الهاشمى عما عنده من أسرار، فلقد قادته هذه المعرفة الى الهداية وأصبح عليه أن يعمل لهداية الآخرين•

الكنيسة فى خدمة السياسة الغربية :

ويتصل بالمصادر الحقيقية للمعتقــدات المســيحية مصــدر جديد تمارسه الكنيسة هذه الأيام ، أى بعد انحسار الاستعمار الغربى ، فإن الدول الاستعمارية أوحت للكنائس بمبادىء جـديدة لتضــعها الكنيسة ضمن المعتقدات المسيحية بالنسبة للدول النامية وحدها ، ففى ذلك حفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من تسلط الغرب على الدول النامية •

ويندهش الباحث عندما يرى كبار رجال الكنائس يتناسون المسيحية ومبادئها الأصلية السمحة ، ويجندون أنفسهم لخدمة الاستعمار ، وهــم يتخذون الدين المسيحى وسيلة للضغط على الشعوب المسيحية الناميــة حتى لا تتطور ، وحتى تبقى بمنأى عن الرقى والتصنيع والتقدم ، واذا كانت الكنيسة فى الغرب تقر مبدأ فصل الدين عن الدولة ، فإنها لا تقر ذلك بالنسبة لبلاد الشرق ، ليظل كلام الكنيسة سيفاً مصلتاً على الرقاب، وإذا كانت الكنيسة فى الغرب تبارك التصنيع ، فإنها تعارضه فى الشرق ،

---

(١) الاديان فى كفه الميزان ص ٤٦ •

لأن العامل — فى زعمها — يعتبر نفسه خالقاً وهـذا يتنـافى مع الإيمان واعتبار الإنسـان مخلوقا •

وترى الكنيسة أن الثروة التى ستعود على البـلاد من التصـنيع ستجلب الشر على المسيحيين بالبلاد النامية ، لأن ارتفاع مستوى المعيشة تصحبه كثرة الخطايا والشرور •

وترى الكنيسة أن التقدم لن يتم إلا بالتضـحية بالتراث والتقاليد الموروثة ، ولذلك فهى تقرر أن الاحتفاظ بالتراث والتقاليد خير من التقدم الاقتصـادى •

وتُتَّخَذُ المجالس الكنسية العليا وسـيلة لرعاية هذه السياسـة الظالمـة •

لست أنا الذى أقول هذا القول ، وإنما هى كلمات مسـيحى مثقف هو الدكتور رمزى فهيم ، فقد هاله ذلك الدور الذى تقوم به الكنيسة فى هذا المجـال ، فكتب لصحيفة الأخبار يقول (١) :

« منذ عدة سـنوات كنت أقرأ عن اجتمـاعات وقـرارات مجلس الكنائس العالمى ، ولقد فوجئت حين وجدت أن ما يتعرض له من مسائل ليست من الموضوعات الدينية التى ينتظر أن تكون هى موضوع اهتماماته، فمثلا عقد المجلس مؤتمراً فى مدينة سالنيك باليونان سنة ١٩٥٩ ، قـرر فيه أن السياسة هى المجال الذى يتحتم على الكنيسة فى دول إفـريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه ، والغريب أن المجلس يقرر فى نفس المؤتمر أن المبدأ الغربى الذى يقضى بفصل الدين عن الدولة لا يمـكن اقتباسه فى الدول النامية ، وهنا يثور التساؤل : هل هنـاك نوعان من المسيحية أحدهما يُطَبَّق فى بلاد الغرب والآخر (يُفَبْرَك) بواسطة (الخبراء) ليُعمل به فى الدول النامية •

---

(١) صحيفة الاخبار فى ١١ ابريل سنة ١٩٦٦ •

« ويتابع هذا المؤتمر قراراته فيطالب الكنائس فى إفريقية وآسيا وأمريـكا اللاتينيـة أن تراقب خطط التنمية ، فتميز فيها بين ما يتفق وإرادة الله وبين عمل الشيطان ، وأن تكون رقيبة تعلن للقوم أين يقف الله ومن أين يطل إبليس العـدو .

« أما كيف يمكن أن يكون فى خطط التنمية مكان للشيطان ، فإن المجلس يعثر على إبليس فى عملية التصنيع بالذات التى تقوم بها حاليـاً الدول النامية ، فهو يرى أن الإنتاج الذى يحققه التصنيع يملأ النفس غروراً فيعتبر العامل نفسه أنه الخالق الذى يستغنى عن كل إله آخر . أما الله فإن مكانه فى نظر المجلس هو فى الحقل وفى القـرية ، بحيث أن الانتقال من العمل الزراعى الى الصناعة — وهو الأمل الذى تحاول الدول النامية الوصول اليه لحل مشكلاتها الاقتصادية — هـذا الانتقال يترتب عليه أفدح الأضرار بالإيمان الدينى وبالعائلة .

« بل يصل استخفاف المجلس بوطنية المواطنين فى البلاد النامية ، وبفهمهم للدين ، إلى الحد الذى يقرر فيه فى مؤتمر نيودلهى الذى عقـد سنة ١٩٦١ أن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة فى أى وطن وتحت أى نظام سياسى .

« والواقع أن المجلس يحاول فى النصف الثانى من القرن العشرين أن يقنع المواطنين فى الدول النامية بالمحافظة على مستواهم الاقتصادى الذى حددته لهم الدول التى كانت تستعمر بلادهم وتستغل مواردهم ، فبعد أن يعدد المجلس سوءات التصنيع وخطط التنمية ، مثيراً كل ما يخطر على البال من صعوبات ومعوقات فى طريق تنفيذها ، يعود للقـول بأنه حتى على فرض إمكانية تحقيق ما تصبو إليه هـذه الدول فإن التقـدم الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة ستأتى معهما بالضرورة كثرة من الخطايا والشرور فنحن مدنسون بالشر حتى أننا نجد صعوبة فى التعرف على ما يريد الله أن نعمله بمستوى المعيشة العالى حين نصل إليه .

« بل إننا نقرأ فى كتابات أقطاب هذا المجلس أنهم يحاولون وضع التقاليد والتراث الشعبيين فى مواجهة التقدم الاقتصادى والسياسى ، ويقولون إن التقدم لن يتم إلا على حساب التراث وأن الشعوب حين يطلب إليها أن تختار بين التقدم والمحافظة على القديم ستختار دون تردد قديمها بسبب ما يتطلبه التقدم الاقتصادى من جهود وتضحيات » .



ولعل هذه المصادر المصطنعة هى التى أوحت الى Wells بأن يورد مقارنة قصيرة بين الإسلام من جانب والبوذية والتاوية والمسيحية من جانب آخر ، استمع إليه يقول بعد أن تكلم عن طرد البوذية من الهند :

أصبح الآريون تحت سلطان دينين هما المسيحية والإسلام ، وهما ساميان خالصان ، وتتخذ البوذية والتاوية والمسيحية — بخلاف الإسلام — أثواباً من الطقوس والمراسم التى يلوح أنها مستقاة عن الهلينيين ، من مصر ، أرض المعابد والكهانات ، ومن العقلية الأشد بدائية وأولية ،عقلية الشعوب الحامية السمراء (١) .

The Outline of History vol. 2 p. 415. (1)

طبيعة المسيح والآراء حولها (المذاهب المسيحية)

إن تقرير ألوهية المسيح لم يكن عملا سهلا ، بل كان عملا معقداً ، سبّب كثيراً من الاختلافات والاتجاهات ، لا بين من قالوا به وبين من أنكروه فحسب ، بل بين الجماعات التى اتفقت على المبدأ واعتنقته ، ثم عادت تفكر فيه ، وعلى هذا أوجدت المشكلة مجالا للتفريق بينهم ، وقد تحدثنا فيما سبق عن الاختلاف بين من قالوا بألوهية المسيح وبين من أنكروا هذا المبدأ ، ونريد هنا أن نتحدث عن الاختلافات التى حصلت بين الطوائف التى اجتمعت حول القول بألوهية المسيح ٠

وكان مصدر الاختلافات بين هؤلاء هو التفكير فى طبيعة المسيح للتوفيق بين الألوهية التى صدر بها قرار وأصبحت بموجبه اعتقاداً ملزماً، وبين الواقع وهو أن عيسى بن مريم كان يمشى على الأرض ، وكان يأكل كما يأكل الناس ، ويتحدث كما يتحدثون ، وكان على العموم إنساناً فى مظهره على الأقل ، ومرة أخرى اتخذ المسيحيون المجامع وسيلة للحديث عن طبيعة المسيح كما اتخذوها من قبل وسيلة لإثبات ألوهيته ، وسنتحدث فيما يلى عن آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح ٠ وأهم الاتجاهات التى اتجهوا اليها فى ذلك ، ثلاثة :

١ ــ مذهب النسطوريين :

مذهب النسطوريين ينسب الى نسطور الذى كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٣١ ، ومذهب النساطرة محاولة للعودة الى التوحيد أو القرب منه، ويقول نسطور (١) شارحا مذهبه : **إن مريم لم تلد إلها ، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، ولأن المخلوق لا يلد الخالق ، فمريم ولدت إنساناً ، ولكن كان آلة للاهوت ٠ وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الانسان** ، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته ، أى

---

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط ١٥٩ .

اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثانى اتحاداً مجازيا فمنحه الله المحبة ووهبـــه النعمـــة •

وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين فى المسيح ، ذلك القول الذى سيتبناه الكاثوليك والذى سنشرحه فيما بعد ، ونبين اتفاقه وعدم اتفاقه مع رأى نسطور ، أما الكنائس الشرقية فقد اتخـذت موقفاً معارضاً لنسطور وقالت بطبيعة واحدة ... كما سيأتى •

وقد اعتبر ذلك بدعة من نسطور ، ولذلك طُرِد من منصـبه ونفى من القسطنطينية ، ولكن مذهبه لم يمت ، وأحياه فيما بعد عالم مسيحى اسمه برصوما كان مطران نصيبين ، ومن ثم انتشر فى الشرق ، ولا يزال حتى الآن شائعاً فى العراق والموصل والجزيرة •

٢ — مذهب الكنائس الشرقية (الأرثوذكس) : المذهب اليعقوبى :

يجدر بنا أن نشرح هذا المذهب قبـل أن نشرح مذهب الكاثوليك ، إذ كان مذهب « الأرثوذكس » ردَّ فعل لعقيدة نسطور ، ثم إنه أُعْلِن قبل أن يعلن الكاثوليك اتجاههـــم •

وقد أُعلن مذهب الأرثوذكس عن طبيعة المسيح فى مجمع عُقِـد لهذا الغرض بمدينة إفسس بالأناضول سنة ٤٣١ واتخذ المجمـع قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الاسكندرية ، وهو يقضى بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، ففى المسيح أقنوم واحد تمّ بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، ولذلك **فالعـذراء تدعى بحق والدة الإلـه ، وفيمـا يلى** نص كلمات البابا كيرلس سـابق الذكر : إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهيا اتحد بالطبيعـة الانسـانية اتحاداً تاما بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ، **فالعذراء والحالة هذه هى بحق والدة**

---

(١) سار نسطور الى مصر بعد النفى واقام باخميم حتى مات •

الإله ، فمريم لم تلد إنساناً عاديا بل ابن الله المتجسد ، لذلك هى حقا أم الله(١) •

الناسوت لم يفارق اللاهوت

وبلغة أخرى يقولون بأن الكلمة (الاله الابن) انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده بل هو هو ، وينتشر المذهب الأرثوذكسى فى مصر والنوبة والحبشة •

وقد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبى نسبة الى داعية مشهور اسمه يعقوب البرادعى قام بالدعوة له ونشره •

وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب التى فصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية •

٣ ـ مذهب الكاثوليك : الملكانية :

مذهب الكاثوليك هو مذهب الطبيعتين والمشيئتين وقد اعتنقته كنيسة روما ، واتخذت به قراراً فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ، وهذا **المذهب يقول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، فالمسيح أقنوم إلهى بحت، ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والانسان** ، ومن الواضح أن هذا القول متأثر الى حد ما باتجاه نسطور سالف الذكر الذى يرى بأن المسيح إنسان غمره اللاهوت بعد ولادته ، **ولكن الكاثوليك يختلفون عن نسطور فى اعتقادهم أن مريم ولدت الاثنين جميعاً** ، فهى قد ولدت يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الانسانية ، فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد ، وقد حضر زوج الملكة مجمع خلقيدونية ولذلك يسمى هذا المذهب بالمذهب الملكانى •

وكنيسة هؤلاء من الطقس البيزنطى ، وتنتشر الملكانية فى سوريا ومصر وفلسطين ، ولهم جالية كبيرة فى الولايات المتحدة ، ولصلتهم بالطقس البيزنطى تسمى كنيستهم بكنيسة الروم •

---

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط ١٦٠ ــ ١٦١ •

٤ ـ المذهب المارونى :

المذهب المارونى نسبة الى رجل اسمه يوحنا مارون دعا سنة ٦٦٧ الى أن للمسيح طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد ، ولكن البطارقة لم يقبلوا ذلك وأشاروا على الامبراطور أن يعقد مجمعا ، فعقد مجمع بالقسطنطينية سنة ٦٨٠ وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك تأكيدا لمذهب الكاثوليك ، وقد لعن هذا المجمع كل من يقول بغير ذلك .

اليسوعيون والكنيسة الكاثوليكية :

وقبل أن نترك الطوائف المسيحية يجدر بنا أن نتكلم كلمة عن اليسوعيين : الذين أخذوا شهرة واسعة فى مجال الدعوة للمسيحية ، وقد تأسست جماعة اليسوعيين سنة ١٥٢٤ ومؤسسها فارس أسبانى اسمه اجناسيوس ، قد أسسها عقب أن جرح فى الحروب بين المسلمين والأسبان فى الأندلس ، فكرس بقية حياته لخدمة الدين والدعوة للمسيحية فى ظل الكنيسة الكاثوليكية ، واعترف البابا سنة ١٥٤٠ بهذه الجمعية فكثر أعضاؤها وزادت قوتها ، وكانت نظمها عسكرية صارمة ، واتخذت التربية وسيلتها لنشر المسيحية ، فاهتمت بالجامعات والمعاهد العليا ، وجذبت لها أبناء الطبقة الراقية لأنهم الذين سيكون لهم مستقبل الحكم بالبلاد ، ونشروا معاهدهم وكلياتهم فى أقطار مختلفة ، واختاروا لها أحسن الأساتذة ، ووضعوا مناهجها لتشمل التربية الدينية الصارمة ولتشمل بجوار ذلك باقى المواد والعلوم حسب طبيعة الكليات .

وتحت الرقابة والعمل لتنمية أهداف الجمعية لم يوجد بالمعاهد اليسوعية ابتكار وضعفت روح التفكير الحر والابداع ، إذ كانت هذه المعاهد خاصة لأهداف دينية عتيقة ، تريد الوصول لتحقيقها أكثر مما تريد تربية النفوس والأجيال ، ولذلك لم تحقق ما كانت ترجوه من أهداف .

الحواريون والرسـل

الحواريون هم أولئك الذين آمنـوا بعيسى وعاونوه وتتلمذوا عليه وعددهم اثنا عشر ، وهم كما ذكر متي (١) :

١ — سمعان المعروف باسم بطرس •
٢ — اندراوس أخو سمعان •
٣ — يعقوب بن زبدى •
٤ — يوحنا أخو يعقوب •
٥ — فيلبيُّس •
٦ — بَرثولماوُس •
٧ — توما •
٨ — متى العشـــار •
٩ — يعقوب بن حَلْفَى •
١٠— لبَّاوس الملقب تدَّاوس •
١١— سمعان القانَوِى (الغيور) •
١٢— يهوذا الاسخريوطى •

وهناك الرسل السبعون الذين يقال إن المسيح اختارهم وأرسـلهم ليعلمـــوا المســيحية •

وهناك المائة والعشرون الذين خطب فيهـم بطرس خطـاباً امتلئوا بعده بالروح القدس وراحوا يدعون للمسيحية ، وعن طريق هؤلاء المائة والعشرين اختير بالقرعة بديل ليهوذا الخائن فوقعت القرعة على ميتاس، فأكمل الاثنى عشر (٢) •

---

(١) الاصحاح العاشر : ٢ — ٤ .
(٢) أعمال ٢ : ١٣ — ٢٦ .

المجـــامع

المجامع هيئات شورية فى الكنيسة المسيحية ، رَسَمَ الرسل نظامَها فى حياتهم ، إذ عقدوا المجمع الأول فى أورشليم سنة ١٠٥ م برياســة الأسقف « يعقوب الرسول » للنظــر فى ختان الاممى (غــير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم .

والمجامع قسمان : مجامع مسكونية [أى عالمية مسكونية نسبة الى الأرض المسكونة] . ومجامع محلية أو مكانية ، وقد عقــدت المجامــع المسكونية عدة مرات فى القرون الأولى ، وشهدها ممثــلو الــكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسى لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبــة ينبغى فحصها واصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها ، وقد عقــد من المجامع المسكونية عشرون مجمعا ابتداء من مجمع نيقية سنة ٣٢٥ حتى مجمع الفاتيكان سنة ١٨٦٩ ولا يعترف الارثوذكس إلا بقرارات المجامع السبعة الأولى التى كان آخرها مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ ومن أهم المجامع مجمع نيقية الأول ومجمع القسطنطينية الأول ، وفيهما تقــررت العقائد الرئيسية للمسيحية التى تلتقى حولها جميــع الفــرق والمذاهب المسيحية ، (ألوهية المسيح وألوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثليث بذلـــك) .

وأما المجامع المكانية فكثيرة . وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها فى حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة ، أو رفض بعض العقائد ، أو للنظر فى بعض الشــئون المحلية (١) .

ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجامع أن نــلم إلمـامه قصيرة شاملة بأهم المجامع المسيخية ، مسكونية أو محليــة ، وأن نبين ما اتخذته من قرارات ، وفيما يلى هذا الحديث :

---

(١) زكى شنوده : تاريخ الاقباط ص ١٦٨ — ١٦٩ .

١ ــ مجمع نيقية لمعارضة أريوس : (مجمع مسكونى)

عُقِدَ مجمع نيقية Nicaea سنة ٣٢٥ وكان عقده ردا على الوحدانية التى تزعَّم أريوس القول بها ، ويُعَدّ مؤتمر نيقية أهم المجامع المسيحية ، اذا اتُّخِذَت فيه أخطر القرارات ، وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير ، وقد سبق أن ذكرنا أن عدد الذين حضروه أولا من الآباء الروحانيين ٢٠٤٨ وأن الخلاف اشتد بينهم حول القول بألوهية المسيح ووصل الخلاف الى المعارك ، وتبنَّت الأغلبية الساحقة رأى أريوس ، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلاّ الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه ، واتُّخِذَت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التى لا تزال تتبعها الكنائس ، وأهم هذه القرارات ما يلى :

(أ) القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر •

(ب) عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى • كى يكون كل منهم كما قال بولس الرسول (بعل امرأة واحدة) •

(ج) اختار المجمع الكتب المقدسة التى لا تتعارض مع القرارات السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل •

٢ ــ مجمع صور وتجديد رأى أريوس عن الوحدانية : (مجمع أقليمى)

مجمع صور الاقليمى الذى عقد بعد ذلك ببضع سنوات وقرر وحدانية الله وأن المسيح رسوله ، فكان بذلك تجديداً لرأى أريوس القائل بالوحدانية ، وهذا المجمع لم يُعْترف به •

٣ — مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م وقد قرر هذا المجمع أن روح القدس إله .

٤ — مجمع إفسس الأول Ephesus سنة ٤٣١ الذى تحدثنا عنه آنفا والذى تقرر فيه أن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة ، وأن العذراء ولدت إلهاً وتدعى لذلك أم الإله ، وكان ذلك رداً على حركة نسطور .

٥ — مجمع إفسس الثانى سنة ٤٤٩ وقد عقد بأمر الامبراطور تاءوديوسوس وناقش فلابيوس الذى اتهم بإحياء آراء نسطور ثم حكم بعزله ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع (١) .

٦ — مجمع خلقيدونية Chalecodon سنة ٤٥١ م وقد أيَّد هذا المجمع قرار مجمع إفسس الأول ورفض قرار مجمع إفسس الثانى ، ولعن نسطور وديسقورس وأتباعهما ، وكان هذا المجمع قد عقد أولا فى القسطنطينية ثم انتقل الى خلقيدونية،وقد حضره أساقفة روما ، كماحضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته . وقد اشتد الخلاف بين الفريقين فى اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثانى مُنِعَ البابا ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة ، واتخذ المجتمعون قراراً يقول بالطبيعتين والمشيئتين ، ورفض ديسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار ، فنفاه الإمبراطور بعيداً عن مصر حيث مات فى منفاه ، وقد ظل أقباط مصر حتى الآن يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية (٢) .

٧ — مجمع القسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣ م وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقيدونية ولعن وطرد أصحاب الفكرة التى شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالا .

---

(١) زكى شنودة : تاريخ الاقباط جـ ١ ص ١٧٧ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٦ — ١٧٧ .

٨ — مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ وقد قرر هذا المجمع أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وكان ذلك رداً على المذهب المارونى الذى كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة .

٩ — مجمع رومة سنة ٨٦٩ وفى هذا المجمع تقرر :

(أ) اعتبار الروح القدس منبثقاً من الأب والابن .

(ب) مَنْ يريد المحاكمة فى أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى الى كنيسة روما .

(ج) المسيحيون فى جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما .

١٠ — مجمع القسطنطينية الذى عقد سنة ٨٧٩ برياسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر أن انبثاق الروح القدس من الأب فقط ، وبهذا المجمع وسابقه تمّ انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية، وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتبْطِل قرارات الأخرى ولا تعترف بها .

١١ — مجمع رومة الذى عقد سنة ١٢٢٥ وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

١٢ — مجمع رومة سنة ١٨٦٩ وفيه تقرر أن البابا معصوم .

ومن الواضح للباحث أن هذه المجامع اتخذت سلطة قوية وقررت قرارات تعتبر أصولا فى الدين المسيحى ، إنها صنعت الآلهة وتحدثت عن طبيعتها ، ومنحت الكنيسة سلطة محو السيئات ، وقررت عصمة البابا ، وتلك كما ترى أشياء ضخمة لا يتصور الإنسان أنها من خصائص البشر .

لقد أخذت المجامع سلطة لم تعرفها أكثر الأديان أو كلها ، ففى الإسلام مثلا للعلماء أن يجتهدوا ، ولكن فى الفروع ، أما عدد الصلوات

وعدد الركعات وفرائض الحج وأمثالها فلا تخضع للاجتهاد ، وليس للمسلمين أن يشرّعوا فالمشرّع هو الله العلى العظيم . والمسلمون بعيدون جداً عن صنع الآلهة ، والله وحده ـ عند المسلمين ـ هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذو الطول ، والعصمة لله وحده ، وليس للأنبياء مع عظيم مكانتهم عصمة إلا فى التبليغ وفقاً لرأى أغلب العلماء (١) .

الكنيسة تتدخل فى شئون الدول :

وهناك نقد سياسى يوجهه النقاد الى قرارات المجمع التاسع (مجمع رومة سنة ٨٦٩) إذ تقرّر فى هذا المجمع ان جميع المسيحيين فى جميع بلدان العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما ، ومثل هذا القرار يعتبر خطراً للغاية ، إنه تدخل سافر فى شئون الامم واستقلال الدول ،

ومعناه أن المسيحيين أيا كانت بلادهم يتبعون حكوماتهم بأجسامهم ويتبعون كنيسة روما بأرواحهم ، وقد كان البابا يخضع الملوك والحكومات إليه باسم هذا القرار ، فتمردت بعض الحكومات على هذا الوضع وأعلنت أنها لا دينية ، فاتجه البابا بقراره الى الرعايا بعد أن عجز عن إخضاع الحكومات ، وفى العصر الحديث نجد البابا يساوم بهذه السلطة التى بيده ، فقد حدث أن قابل البابا رئيس جمهورية أندونيسيا السابق وطلب من هذا الرئيس السماح لعدد أكبر من المبشرين بدخول بلاده ، ووعده نظير ذلك أن يضمن له ولاء المسيحيين بهذه البلاد ، وقد أثار هذا التصريح ثائرة المواطنين بهذا القطر عندما أدركوا أن ولاء المسيحيين من مواطنيهم إنما هو فى يد رئيس كنيسة روما .

ويعد من أصدق القول ما كتبه الأستاذ زكى شنوده فى تعليقه على « المجامع » ونحن نقتبسه فيما يلى .

« كانت هذه المجامع فى بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الايمان

---

(١) انظر الحديث عن عصمة الانبياء بكتاب « الاسلام » للمؤلف الطبعة الثامنة .

المسيحى ، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة فى يد الامبراطور ، لتنفيذ أغراضه ، مستغلا فى ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم الى الجاه والنفوذ والسلطان ، وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد أن كانت أداة بناء ، وقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين فى البلاد المختلفة » (١) .

ولعل من المفيد هنا أن نترجم فصلا قصيراً من كتاب « تعاليم الكنيسة الكاثوليكية » لنعرف بوضوح مكان الكنيسة عند المسيحيين ، وكيف أن سلطان كنيسة روما انساب الى الكنائس الأخرى ، وليس فقط فى الاجتهاد والتشريع وشرح الكتاب المقدس وغيرها مما احتفظت به كنيسة روما لنفسها . بل فى وجوب طاعة المسيحيين للأساقفة والآباء الروحانيين دون تفكير ، كما يطيعون الله وكما أطاع عيسى أباه على حد قولهم ، ومن العجيب أن المسيحيين جعلوا عيسى إلهاً ، ثم جعلوا الأساقفة فى مقام عيسى أي أحلوهم أيضاً محل الآلهة ، فمقام الآلهة عندهم سهل الوصول ، ومن العجيب كذلك أن بعض من وضع فى هذا **الموضع من آباء الكنيسة انحرف وحكمت عليه الكنيسة بالحرمان فكيف ينحرف المعصوم ؟** ومما يدعو للدهشة أن أساس هذا الاعتقاد أن أحد الأساقفة أوصى بذلك حوالى سنة ١٠٧ م وأصبحت وصيته مقدسة وبنِىَ عليها هذا الاعتقاد العجيب الذى يرفع القسس الى مصاف الآلهة. والفصل الذى نزمع ترجمته عنوانه : « نفوذ الكنيسة » ونصه كما يلى :

نفوذ الكنيسة :

حوالى سنة ١٠٧ م كتب الأسقف اجناسيوس أسقف كنيسة أنطاكية الى المسيحيين فى سميرنا Smyrna ما يلى :

« عليكم جميعاً أن تطيعوا آباء السماء كما أطاع عيسى أباه ، أطيعوا أئمتكم الروحانيين كما تطيعون الرسل ، ولا يباشر أحد منكم

---

(١) زكى شنودة : تاريخ الأقباط ج ١ ص ١٧٦ .

شأناً من الشئون التى تقوم بها الكنيسة (كالتعميد والزواج وحضور الموت والصلاة) بدون حضور آباء الكنيسة ، وأنَّى يوجد الأسقف فإن حضوره يُعدّ حضوراً للمسيح نفسه تبعاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية •

« الأب والأئمة الروحانيون لهم سلطان لقيادتنا وإرشادنا باسم المسيح ، فمن أيديهم نتلقى حياة الطهر عن طريق التعميد ، وهم الذين يعطوننا الخبز المقدس فى العشاء الربانى ، وهم الذين يربوننا لنصبح أبناء الله ، وهم عوض عيسى وآباؤنا الروحانيون ، فعلينا أن نتعمق فى احترامهم وحبهم وطاعتهم •

« وكل رجال الكنيسة العظام من الأب المقدس الى الأساقفة يصدرون الأوامر لتنظيم الكنيسة ولسلامة المسيحيين من الذنوب والهموم النفسية وتشجيعهم على فهم الحياة الكنسية •

« والمسيحيون أعضاء يتكون منهم جسم عيسى المقدس فعليهم أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة وأن يسلموا أنفسهم للآباء الروحانيين » (١) •

وهكذا أعطى الفكر المسيحى للقسس وللآباء الروحانيين سلطات أسمى من سلطات البشر ، وهو شىء لا يقره العقل السليم •

(1) Pengadjaran Geredja Katohk pp. 300-301.

الـكتاب المقدس

مقـــدمة :

الكتاب المقدس عند المسيحيين يشمل « العهد القديم » و « العهد الجديد » وقد رأينا للأسف أن المسيحيين مع تقديسهم للتوراة لم يتبعوها، فأحلوا ما حرمتــه ، ولم يلزموا حدودها ، ولما لم يكن فى وسعهم أن يتصرفوا فى نصوصها لأن أصولها ثابتة عند أعـداثهم اليهـود ، فإنهم عمدوا الى المجامع يغيرون بها ما يشاءون مما نصت عليـه التـوراة ، وراحوا أحياناً يفسرون التوراة بما يناسب الإنجيل كما ظهر فى محاولتهم ليجذوا فى التوراة دليلا على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، ومن أجل هذا كان حديثنا عن العهـد الجـديد هنا أهـم ، لأنه أولا : كتاب المسيحيين المباشر ، ولأنه ثانياً : يفسر التـوراة ويوجهها حسب اعتقـاد المسيحيين ، أما الحديث عن العهد القديم فيجـده القارىء مفصـلا فى كتابنا عن « اليهودية » •

وكلمة إنجيل (Gospel) كلمة يونانية معنـاها (الحلوان) وهـو ما تعطيه مَنْ أتاك ببشرى ، ثم أُرِيدَ بالكلمة البشرى عينها ، أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التى حملها الى البشر ، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه ، وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعليم المسيح لأن فيه الخلاص • أو سيرة حياته ومـوته (١) لأن فى هذه السيرة معنى الخلاص أيضاً •

وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذى يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخـر القرن الأول حتى اليوم ، نقول إنجيل متى وإنجيل لوقا (٢) •••

---

(١) متى ٢٦ : ١٣ افسس ١ : ١٢ غلاطية ٢ : ٧ •
(٢) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٤ •

ويتكون العهد الجديد (الانجيل) من سبعة وعشرين سفراً يمكن وضعها فى ثلاثة أقســــام :

١ ــ قسم « الأسفار التاريخية » ويشمل هذا القسم خمسة أسفار هى الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا) ثم رسالة أعمال الرسل التى كتبها لوقا ، وسميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوى قصصاً تاريخية ، فالأناجيل تحوى قصة حياة عيسى وتاريخه وعظاته ومعجزاته ، ورسالة اعمال الرسل تحــوى قصة حياة معلمى المسيحية وبخاصة بولس ٠

٢ ــ قسم « الأسفار التعليمية » وتشمل إحدى وعشرين رسالة ، وقد سبق أن تحدثنا عن الرسائل (Epistles) عند الكلام عن بولس ، وتوزع الرسائل بين كتابها كالآتى :

١٤ رسالة من كتابة بولس وبعضها محدد التــاريخ ، وهى جميعاً كـــالآتى :

رسالتان إلى أهل تسالونيكى سنة ٥٤ ٠

رسالته الأولى الى كورنثوس سنة ٥٥ ٠

رسالته إلى أهل روما سنة ٥٦ أو ٥٧ ٠

رسالته الى أهل أفسس وفيلبى وكولوسى سنة ٦١ أو ٦٣ ٠

ثم رسالته الى أهل غلاطية ، ورســالتان الى تلميذه تيموثاوس ، ورسالة الى تيطس ، ورســالة الى فيليمون ، ورسالة الى العبرانيين ، ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس (١) ٠

٣ رسائل من كتابة يوحنا ٠

٢ رسالتان من كتابة بطرس ٠

---

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٧ ٠

١ رسالة واحدة من كتابة يعقوب •

١ رسالة واحدة من كتابة يهوذا •

ومن هنا يتضح أن أكثر الرسائل هى رسائل بولس ، ويتضح بالتالى أن بولس وضع أكثر التشاريع المسيحية •

٣ — أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها فى اليقظة ، وقد قرأتها عدة مرات ولم يظهر لى منها قَصْدٌ ذو بال•وكأن يوحنا أراد أن يُظْهِر بها سلطان المسيح بعد رفعه وصلته الدائمة بالكنائس ، وما كان أجدر بالمسيحيين أن **يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهى للخرافات أقرب (١) ، ويصور يوحنا فيها السيد المسيح بالخروف المذبوح (٢) ، ويكرر هذا اللفظ ، وهو ذوق نابٍ فى التعبير • وعن هذا التشبيه يقول الروائى الإنجليزى المعاصر** D. H. Lorance **: إننى أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف المذبوح ، مع أن الخراف أغبى وأجشع ما فى مملكة الحيوان •**

الأناجيل تتأثر برسائل بولس :

وقصة هذه الأناجيل وعلاقاتها بالمعتقدات المسيحية قصة تدعو للعجب ، فمن الطبيعى أن تتبنى المعتقدات على الأناجيل ، ولكن الواقع غير هذا أو قل عكس هذا ، إذ انْبَنَتْ الأناجيل على المعتقدات ، فقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس ، ثم كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ م بيد أن الإنجيليين لم يبدءوا كتابة أناجيلهم إلا فى سنة ٦٣ ، ورجحت كفة بولس وكفة معتقداته على ما ذكرنا من قبل ، فتأثرت الأناجيل بهذه الرسائل (٣) •

---

(١) اقرأ الاصحاح الثانى عشر من هذه الرؤيا .
(٢) الاصحاح الخامس الفقرة السادسة وما بعدها .
(٣) انظر يسوع المسيح للاب بولس الياس ص ١٨ .

أناجيل مهمة أُبيدَتْ :

وبجانب ما وضعه بولس ومريدوه من أناجيل ورسائل كانت هناك أناجيل متعددة تتكلم عن حياة المسيح ودعوته ، منها إنجيل عيسى نفسه وقد ورد ذكره فى إنجيل مرقص (١) وفى رسالة بولس الى أهل رومية (٢) ومنها إنجيل السبعين وإنجيل التذكرة وغيرها من الأناجيل الكثيرة ، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قرّرَهُ مجمعُ نيقية سالف الذكر ، أى قرره أولئك الذين اتخذوا قراراً بألوهية المسيح ، ومن ثمَّ ألْغَى هذا المجمع كل الأناجيل التى لا تتفق وقرارَه السابق ، والتى لا تلائم الاتجاه الذى ابتدعه بولس الرسول ، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين سالفة الذكر وكوّن منها ما أطلق عليه « العهد الجديد » وردّ المجمع كل ما سوى ذلك وعده هراء بالغاً وكفراً وزيغاً يجب إفناؤه ويعاقب من قال به أو حَمَلَه .

ومن الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت فى عهد الاضطهادات الأولى التى عانتها المسيحية ، ولكن بقى جزء كبير من الأناجيل والرسائل أخفاه ذووه ثم أظهروه عندما غَلَبَتْ المسيحيةُ أعداءها ، فقدموه لمجمع نيقية ، ولكن المجمع انحرف وأصبحت الغلبة للأقلية التى تقول بألوهية المسيح كما سبق ، وأصبح هؤلاء يتكلمون باسم المسيحيين جميعاً ، وعلى هذا قرر ذلك المجمع مصير الأناجيل ، ويحدثنا الكاتب المسيحى الذى أسلم عبد الأحد داود عن هذا التصرف ويبرز سيادته حقيقة هامة جداً هى أن الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفاً بها قبل القرن الرابع ، وهاك كلمات هذا الكاتب :

إن هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قِبَل ثمانية كتاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها

---

(١) الاصحاح الاول الفقرة ١٤ .
(٢) الاصحاح الاول الفقرات ٩ ، ١٦ والاصحاح ١٥ الفقرة ١٩ .

بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أىّ من هذه الرسائل مقبولة ومصدّقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفى مبعوث روحانىّ ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل الى نيقية لأجل التدقيق ، **وهناك تمّ انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا وتمّ انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تـعدّ ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد هى تلك الهيئة التى قالت بالوهية المسيح (١) . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها (٢) .**

ويبرز هذا الكاتب نقطة أخرى مهمة هى أن كاتبى الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل الى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب « أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة فى زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير اليها » (٣) .

وهناك موضوع آخر يتصل بالعهد الجديد وصلاحيته مصدراً للدين المسيحى ، فقد أثبتنا آنفا أن **الأناجيل اختيرت لتلائم المعتقدات التى وضعها بولس** ، ومن ثم كانت الأغلبية الساحقة من « العهد الجديد » من وضع بولس ومريديه كما أسلفنا القول عند الكلام عن بولس ، ومع هذا فإنه بمرور الزمن ظهر للمسيحيين أن هذه الأناجيل لا تفى بما أرادوا أن يضيفوه للمسيحية من معتقدات ، كغفران السيئات وعصمة البابا وغير

(١) الانجيل والصليب ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥ وقد اقتبسنا آنفا من الاب بولس الياس ما يقطع بأن رسائل بولس كتبت قبل الاناجيل .

ذلك ، ومن ثم اقترحوا المجامع يثبتون بها ما يشاءون من الأصول ، واذا كانت المجامع قد أخذت الحق فى تقرير ألوهية المسيح فلا ضير عندهم أن تأخذ الحق فيما دون ذلك من مسائل ، فليس هناك موضوع يرقى الى مستوى هذا الموضوع الخطير ، وعلى هذا فالمصدر الحقيقى للمسيحية هو المجامع ، هو البشر •

على أن الكاثوليك استغنوا عن المجامع واستغنوا عن الكتب المقدسة عندما أثبتوا عصمة البابا ، فانتقلت كل السلطة فى إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام « الى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسى الخلافة البطرسية ، وأصبح له الحكم فيما يختص بالأحكام والأخلاق العيسوية ، وأصبح حكمه قطعيا تجب طاعته لأنه قد وُهِبَ من الله صفة العصمة(١) »

إنجيل يوحنا كُتِبَ ليقرِّر ألوهية المسيح :

ونعود مرة أخرى الى ما أثبتناه آنفا من أن المسيحيين منذ عهدهم الأول كانوا يعتقدون الشىء الذى لا يوجد فى الأناجيل • ثم يوعزون لأحدهم ليكتب إنجيلا يثبت فيه ما اعتقدوه ، وقد أوضح الكتاب المسيحيون أنفسهم ظروف كتابة انجيل يوحنا :

قال جرجس زوين اللبنانى فيما ترجَمَه **« إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلّمون المسيحية ، كانوا يرون أن المسيح ليس إلا إنسانا ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك فى سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح »** •

وقال يوسف الدبسى الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل) إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب

(١) عبد الاحد داود : الانجيل والصليب ص ٢٣ •

أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذِكْرَ ما أهمله متى ومرقص ولوقا فى أناجيلهم » .

وقال أكليمنضوس الإسكندرى المسيحى صاحب المؤلفات الكثيرة فى حقيقة الدين المسيحى ما يلى عن إنجيل يوحنا : **إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتّاب الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدوّن عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية ، فتلبية لدعوة بطانته ، وبعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابة « انجيل روحى »** (١) .

فبغية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية يسوع (٢) .

وقد قام الأستاذ أبو زهرة بدراسة بعض هذه النقول واستنبط منها أمرين :

أحدهما : أن الاناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقص ولوقا) ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح أو هكذا كانت قبل تدوين الانجيل الرابع. (انجيل يوحنا) .

ثانيهما : أن الاساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذى يدل عليها (٣) .

ونضيف الى هذين أمرا ثالثا هو الاعتقاد باستحالة أن تهمل الاناجيل الثلاثة الاولى أساساً هو فى الحقيقة أهم أسس الدين المسيحى وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلا فى الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة .

وهناك عالم مسيحى متبحر هو الاب بولس إلياس مؤلف كتاب « يسوع المسيح » ، وهذا العالم يثبت الغفلة والخطأ على أصحاب

(١) انظر يسوع المسيح للاب بولس ص ١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٣٥ .

الاناجيل أو الانجيلين كما يسميهم ، ومثل هذه الصفات تفقدنا الثقة فيما يُنْسَب لهؤلاء وفيما يلى نسوق نصَّيْن من الكتاب السابق عن خطأ الانجيليين فى موضوع خراب أورشليم ، قال الكاتب :

« ومن المؤكد أن مرقص كتب إنجيله قبيل سنة ٧٠ م أى قبل خراب أورشليم فى عهد تيطس ، لأنه لو كان كتبه بعد هذا التاريخ لما كان أخطأ فهم نبوءة المسيح عن خراب أورشليم كمتى ولوقا اللذين ظنّا أن المسيح يَقْصِدُ من نبوءته هذه خراب العالم والدينونة الأخيرة لا خراب أورشليم ولكان أصلح خطأه ، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا » (١) .

وقال فى موضع آخر :

« وضع لوقا إنجيله وكتاب أعمال الرسل ، ومن الثابت الراهن أنه كتب إنجيله قبل سنة ٧٠ أى قبل خراب أورشليم ، وإلا لما كان أخطأ مثل ما أخطأ متّى ومرقص فهم نبوءة المسيح عن هذا الحدث الهام ، وهذا دليل على أن الانجيليين رددوا أقوال المسيح على علاتها دون أن يفهموها فى بعض الأحايين (٢) .

والآن . بعد هذا العرض العام للأناجيل ، يجدر بنا أن نتكلم كلمة عن كل من هذه الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين لنرى مقدار صلاحيتها لتكون أساساً للمسيحية .

انجيل متى :

متّى أحد الحواريين الذين سبق أن عددناهم ، مات سنة ٧٩ ببلاد الحبشة حيث كان قد اتخذها موطن دعوته ، ويتفق جمهور المسيحيين على النقاط التالية :

١ — متّى كتب إنجيله بالآرامية ، ولكن النسخة الآرامية لا وجود لها ، ولا يعرف بالضبط تاريخ تأليفها .

---

(١) ص ١٥ : ٢٦ .
(٢) ص ٢٧ : ٢٨ .

٢ — ظهر كتاب باللغة اليونانية قيل إنه ترجمة إنجيل متى ، ولم يعرف المترجم ولا تاريخ الترجمة .

وعندما توجد هذه الشكوك حول أى كتاب تقل قيمته كمصدر أو تنعدم .

انجيل مرقص وانكار ألوهية المسيح :

مرقص من السبعين الذين تحدثنا عنهم فيما سبق ، وقد طاف فى البلاد داعيا للمسيحية ثم اتخذ مصر مقراً له ، وقد قتل سنة ٦٢ م [١] .

ومعنا باحث مهم شرح إنجيل مرقص ، هو وليم باركلى أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسجو ، وهو يرى أن إنجيل مرقص ما هو إلا خلاصة مشاهدات بطرس أعظم الرسل وخلاصة مواعظه ، فقد كان مرقص قريبامن بطرس حتى كان هذا يصفه بأنه ابنه [٢] ، **وأن إنجيل مرقص — بسبب اقتباسه آراء بطرس — كان مصدراً استقى متى ولوقا نهجه وكثيرا من عباراته وألفاظه [٣] .**

ويذكر وليم باركلى أن مرقص كان يؤكد الجانب البشرى فى المسيح حتى أن الكتّاب الذين اتبعوه اضطروا الى إدخال بعض التعديلات فى كثير من عباراته فبينما يذكر مرقص أن يسوع كان نجارا يتحرج متّى فيذكر أنه ابن نجار ، ويوضح مرقص الاحتياجات الجسدية للمسيح فيذكر أنه كان يتجوع (١١ : ١٢) ويتعب فيحتاج للراحة (٦ : ٣١) [٤]

ويقرر وليم باركلى أن مرقص صحب بولس عندما بدأ رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا (خال مرقص) ولكن مرقص لم يكمل الرحلة لأنه لم يرض تماما عن اتجاهات بولس وتصرفاته . وعندما بدأ بولس

---

(١) يلاحظ القارىء تضاربا واضحا بين التأكيد بأن الاناجيل كتبت بعد سنة ٦٣ م وبين اسناد انجيل لمرقص الذى قتل سنة ٦٢ .

(٢) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد : انجيل مرقص ص ١٣ ترجمة القس فهيم عزيز .

(٣) المرجع السابق ص ١١ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦ .

رحلته التبشيرية الثانية لم يقبل برنابا أن يصـحبه بل افترق عنـه دون رجعـــة (١) ٠

وقد جاء فى كتاب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس (٢) ٠ ومن أجل هذا يقول Wells إن النقاد يميلون الى اعتبار إنجيل مرقص أصـح ما كتب عن شـخص عيسى وأعماله وأقواله وأجدرها بالثقة (٣) ٠

وعلى هذا فاى كلام عن ألوهية المسيح بهـذا الانجيـل ليس إلا تحريفاً أدخله عليه الكتّاب المتأخرون ٠

جثمان القديس مرقص بين القاهرة والبندقية :

بقى أن نذكر عن القديس مرقص معلومات جـديدة ترتبط باسـمه ونستمد هذه المعلومات من كاتبين مسيحيين هما الاسـتاذ زكى شـنوده والباحث Otto Meinardus ويقول الاستاذ زكى شنوده كلاما طويلاً يصعب قبوله ، فهو كعادة المسيحيين العرب ينسب للقـديس مرقص أنه أمسك يد اسكافى كانت تنزف دماً فشـفاها فى الحال ، وكان ذلك دافعـاً للاسكافى أن يدخل المسيحية ، وأن يجمع أقاربه وأصحابه ليكونوا باكورة المؤمنين فى مصر ، ويذكر الأسـتاذ زكى شـنوده أن مرقص اسـتمر فى دعوته ، وأن أتباعه كثروا ، فشيَّد أول كنيسة بالاسـكندرية ، وأسس أول مدرسة لاهوتية ، وسرعـان ما كثر عـدد المؤمنين وتوطدت دعائم الكنيسـة ٠

بيد أن الاستاذ زكى شنوده ينتقل فجأة من مظهر القوة الى مظهر الضعف فيذكر أن القديس كان يحتفل بعيد القيامة فى الكنيسة مع شعبه

---

(١) المرجع السابق ص ١٢ ٠
(٢) انظر محاضرات فى النصرانية ص ٤٥ ٠
(٣) The Outline of History Vol. 3, p. 680.

فهجم عليه أعداؤه ، ووضعوا حبلاً فى عنقه ، وراحوا يجرونه فى طرقات مدينة الاسكندرية حتى نزف دمه ، ثم ألقوه فى السجن ، وفى اليوم التالى فعلوا به نفس الفعلة حتى أسلم الروح ، ولعل من الصعب أن نوفق بين التطور والكثرة التى ذكرها الأستاذ زكى شنوده وبين الضعف المهين الذى يواجهه القارىء فى الصفحة التالية من كتاب هذا الباحث ، بحيث لم يوجد من يدافع عن القديس أو يحميه من الأعداء .

ويختم الأستاذ زكى شنوده حديثه عن مرقص بكلام أشبه بالأسطورة فهو يرى أنه دفن بالاسكندرية عقب قتله ، وأن بعض البحارة البنادقة سرقوا فى القرن التاسع الميلادى جسمه ما عدا الرأس فقد بقى بمصر ، ولا تزال الرأس بالكنيسة المرقسية الكبرى بالاسكندرية أما الجثمان فقد دُفن فى كنيسة فخمة فى البندقية سميت باسمه وهو يعتبر شفيع المدينة .

ليت شعرى لماذا قنع البحارة البنادقة بالجثمان وتركوا الرأس (١) .

ونجىء للباحث الآخر الذى يكشف اللثام عن أسطورة أخرى ترتبط بجثمان القديس مرقص ، فهو يروى أنه فى مارس سنة ١٩٦٧ أرسل البابا كرولس السادس بطريرك الاسكندرية وجميع افريقية خطاباً الى بابا روما يرجو قداسته أن يعيد للكنيسة القبطية جثمان القديس مرقص ، وأن اتصالات جرت بين بابا روما وكاردينال البندقية انتهت بأن وعد البابا بتسليم بقايا الجثمان ، وبناء على ذلك سافر الى روما وفد كبير يضم المطارنة ، وبعض كبار الأقباط والمسيحيين الأحباش ، وأُعِدَّ فى القاهرة استقبال حافل لما قيل أنه جثمان القديس ، وجاء شىء سمى بالجثمان ودفن فى احتفال ضخم بالكاتدرائية المرقصية الجديدة بأرض الأنبا رويس بالعباسية .

ويقرر Otto مؤكدا أن قبر القديس مرقص بالبندقية لم يفتح

(١) تاريخ الاقباط جـ ١ ص ٩٨ — ٩٩ .

إطلاقا ، وأن الوفد القبطى لم يذهب الى البندقيـــة ، بل ذهب الى روما وتسلم صندوقا رخاميا صغيرا فى حجم علبة الكبريت به قطعة من العظم لا تزيد عن فلتر السيجارة ، وقد حرص الوفد أن يضع هذا الصـــندوق الصغير داخل صندوق كبير ليواجه الجمـــاهير التى كانت «محتشـــدة فى المطار فى انتظار الجثمان (١) ٠

وهذا القول يصوّر هذا الحدث فى صورة تدعـــو للخجل والأسف وليس هذا التصرف إلا خداعا للجماهير ٠

بقى أن نتساءل : لماذا لم يَضُمَّ الذين قامـــوا بهذه الأســـطورة جثمانَ القديس الى رأسه بالاسكندرية ؟

انجيل لوقا :

ليس لوقا من الحواريين ولا من تلاميذهم ، وانما هو تلميذ بولس٠ وقد تكرر ذكر هذا فى رسائل بولس كما سبق ، ويقولون إنه كـــان طبيبا وبعضهم يقول إنه كان مصوراً ٠ ولوقا يبدأ انجيله بجمـــلة ذات شـــأن هى : « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمهاالينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخـــداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كـــل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التـــوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صـــحة الكلام الذى علمت به » (٢) ٠ وقد سبق لنا حديث كاف عن بولس ومريديه وبخاصة لوقا الطبيب الحبيب ٠

انجيل يوحنا ومَنْ الذى كتبه ؟

سبق أن تحدثنا عن إنجيل يوحنا وسنزيد الحديث هنا وضـــوحاً ، ولهذا الانجيل أهمية خاصة فى دراسة المسيحية ، ذلك لأنه الانجيل الذى نص صراحة على ألوهية المسيح ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الانجيـــل

---

(١) Christian Egypt : Faith and Life pp. 142-143.

(٢) لوقا ١ : ١ — ٤ ٠

ألف لهذا الغرض ، ولهذا لا يقوى هذا الانجيل ليكون حجة فى هذا الباب، وهناك استدلال آخر يقلل من قيمة هذا الانجيل أو يزيلها تماما ، ويلزم لا يضاح هذا الاستدلال أن نعود إلى الوراء لنتذكر ما سبق أن قلناه من أن مدرسة الاسكندرية هى مصدر التثليث وألوهية المسيح ، وفى ضوء هذا نسير فى الاستدلال :

الشائع أن هذا الانجيل كتبه يوحنا الحوارى الذى كان يحبه المسيح ويصطفيه ، ولكن هذا الشائع لا أساس له من البراهين ، وكثير من كتاب المسيحية يؤكدون أن هذا الانجيل لابد أن يكون من كتابة يوحنا آخر لا علاقة له بيوحنا الحوارى ، وقد ورد فى دائرة المعارف البريطانية مايلى: « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين أحدهما للآخر ، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادّعى هذا الكاتب المزوّر فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة **ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب** فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى » .

ونسبة هذا الكتاب الى يوحنا الحوارى هوجمت قبل دائرة المعارف البريطانية بمئات السنين أيضاً ، وكان تلاميذ يوحنا الحوارى أحياء ولكنهم لم يردوا هذا الهجوم ولم يذكروا قط أنهم سمعوا من أستاذهم هذا الانجيل أو أى خبر عنه .

من إذاً مؤلف هذا الانجيل ؟ **ومن يكون ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب** ونسبه الى يوحنا ؟

الاجابة سهلة ، فالتأليف الفلسفى روح مدرسة الاسكندرية ، وعقيدة التثليث عقيدة مدرسة الاسكندرية ، وإذاً فالأستاذ استادلن على حق حينما قال : « إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية (١) » .

* * *

ونختم كلامنا على الأناجيل الأربعة بعبارة مهمة ختم بها باحث غربى دراسته عن الأناجيل ، وهذه العبارة هى :

إن فلسفة الإغريق ، والقانون الرومانى اثّرا فى تدوين الأناجيل ، وجعلا الأناجيل لا تمثّل حقيقة المسيحية ، والباحث المنصف فى تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة ، وأغراضا غير كريمة ، ومقاصد خاطئة ، كانت أسباباً رئيسية مسيطرة أحياناً ، دفعت الى هذا التبديل الذى حدث فى الأناجيل (٢) .

انجيل برنابا :

تحدثنا فيما سبق عن الأناجيل الأربعة المعتبرة عند المسيحيين . وأمامنا الآن إنجيل آخر جدير بحديث أطول هو انجيل برنابا ، ذلك لأن هذا الانجيل يمكن أن يكون حلقة الاتصال بين المسيحية والاسلام ، أو أنه هو الحلقة المفقودة بين هاتين الديانتين ، ولا تعترف الكنيسة بهذا الانجيل ولا تقيم وزنا لما ورد فيه .

وقد تُرجم هذا الانجيل الى اللغة العربية فى مطلع القرن العشرين، وقام بترجمته الدكتور خليل سعادة وقدم له مقدمة تاريخية علمية ، ونشره السيد محمد رشيد رضا وقدم له كذلك مقدمة علمية طويلة ، ونريد

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية للاستاذ ابو زهرة : ص ٤٩ .

(٢) Alfred E. Garvie : Encyclopaedia of Relegions and Ethics Vol. 5. p. 634.

أن نستعرض الانجيل نفسه ، ونستعرض هاتين المقدمتين ، ونربط حديثنا بالأناجيل الأخرى وبالدراسة التى قمنا ونقوم بها فيما يختص بالمسيحية

نريد أن نشرح النقاط الآتية :

١ — من هو برنابا ؟

٢ — الى أى حد تصح نسبة هذا الانجيل اليه ؟

٣ — ما أوجه الخلاف بين هذا الانجيل والأناجيل الأخرى ؟

٤ — ما الأسباب التى دفعت برنابا الى تأليف إنجيله ؟

ولنبدأ الكلام عن هذه النقاط :

١ — من هو برنابا ؟

بناء على انجيل برنابا يدخل برنابا هذا ضمن الحواريين الاثنى عشر فقد ورد فى هذا الانجيل ما نصه : « فلما رأى يسوع أن الجمهور الذى عاد الى نفسه ليسلك فى شريعة الله ، جمهور غفير ، صعد الجبل ، ومكث كل الليل بالصلاة ، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثنى عشر سماهم رسلا ، منهم يهوذا الذى صلب ، أما أسماؤهم فهى : اندراوس وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذى كتب هذا مع متى العشار الذى كان يجلس للجباية ، ويوحنا ويعقوب ابنا زبدى ، وتداوس ويهوذا وبرثولومارس وفيليبس ويعقوب ويهوذا الاسخريوطى الخائن (١) » .

وسواء كان برنابا من الحواريين أو ليس منهم فإنه معدود من الصف الأول بين أتباع المسيح ، وقد ورد اسمه فى رسالة أعمال الرسل عدة مرات نورد منها هنا بعض النماذج :

— ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا ... (٢) .

---

(١) برنابا ١٤ : ٩ — ١٢ .
(٢) أعمال ٤ : ٣٦ .

ـ ولما جاء شاءول (بولس) الى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافون غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب .... (١) •

ـ وكان فى أنطاكية فى الكنيسـة هنـاك أنبيـاء ومعلمون ، برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ، ولوكيوس القيروانى ، ومنابن الذى تربى مع هيرودوس رئيس الربع ، وشاول ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا الأيادى ثم أطلقوهما •

فهذان إذْ أرْسِلا من الروح القدس انحدرا الى سلوكية ، ومن هناك سافرا فى البحر الى قبرص • ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامـع اليهـود (٢) •

فيتضح من هذا أن برنابا إما من الحواريين الاثنى عشر وإمـا من الرسل السبعين ، ولا يحتمل أن يكون هناك برنابا آخر لأنه لم يرد ذكر لغير برنابا واحد فى جميع المراجع ، وملامحه واحدة فيها كلها •

٢ ـ الى أى حد تصح نسبة هذا الانجيل الى برنابا ؟

قام الدكتور خليل سعادة مترجم هذا الانجيل بدراسة واسعة حول هذا الموضوع ، ونحن نقتبس منه ما ذكره عن تاريخ هذه النسخة ، وعن رأيه فى نسبتها ، ثم نناقش هذا الرأى ، يقول سيادته :

ـ كانت هذه النسخة فى مكتبة البابا سكتس الخامس بروما ، وقد اختفت من المكتبة حوالى القرن السادس عشر ، ويرجح أن الذى اختلسها راهب اسـمه فرامرينو (٣) •

---

(١) اعمال ٩ : ٢٦ — ٢٧ •
(٢) اعمال ١٣ : ١ — ٥ •
(٣) مقدمة المترجـم ص هـ •

— عن طريق هذا الراهب آلت هذه النسخة الى مكتبة أحد وجهاء أمستردام حيث بقيت حتى مطلع القرن الثامن عشر •

— فى سنة ١٧٠٩ كان كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا ينزل فى امستردام ، وكانت له بهذا الوجيه صلة ، ولما رأى هذه النسخة استعارها، ثم ذكر للوجيه أنها عظيمة القيمـــة •

— فى سنة ١٧١٣ أهدى وجيه امستردام هذه النسخة الى البرنس أيوجين سافوى الذى كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية ، ثم انتقلت هذه النسخة مع مكتبة البرنس كلها الى مكتبة البلاط الملكى فى فينا حيث لا تزال هذه النسخة موجودة حتى الآن وهى مكتوبة بالايطالية وعـلى هامشها تعليقات بلغة عربية ركيكة (١) •

وهناك نسخة أخرى لهذا الانجيل باللغة الأسبانية ظهرت حـوالى سنة ١٧٨٤ ولكنها فقدت بعد ذلك • ويرجح أن تكون ترجمة عن النسخة الايطاليـــة (٢) •

« ويجزم الثقات — كما يقول الدكتور سعادة — بأن ناسخ هـذه النسخة الايطالية هو من أهالى البندقية ، وأن اللغة التى أخذت عنهـا هذه النسخة هى لغة البندقية • ويدحض هـؤلاء الثقات الشـبهة التى تقول بأن هذه النسخة ترجمت عن نسخة عربيـة (٣) » ويقـول الدكتور سعادة مؤيداً رأى هؤلاء الثقات : « ثم إنه لم يرد ذكر لهذا الانجيل فى كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء فى العصور القديمة أو الحديثة • حتى ولا فى مؤلفات من انقطع منهم الى الأبحاث والمجالات الدينيـة • مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم فى مثل تلك المناقشات • وليس ذلك فقط ، بل لم يرد ذكر لهذا الانجيل فى فهارس الكتب العربية القديمة عند

(١) المرجع السابق ص (د)
(٢) المرجع السابق ص (هـ)
(٣) المرجع السابق ص (ح)

الاعارب أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضـــعوا فهارس لأندر الكتب العربيـــة من قديمـــة وحديثـــة (١) » .

ويقول الدكتور سعادة إنه « يرى أن واضع هذا الانجيل يهــودى أندلسى تعمق فى دراسة اليهودية ، ثم تنصر وتعمق فى دراسة النصرانية، ثم اعتنق دين الاسلام وتحمس له (٢) » .

ونرى نحن أن هذه الصورة يصعب أن توجد فى الخيال فهيهات أن توجد فى الواقع ، وأى خيال يستطيع أن يصور يهوديا متعمقاً فى اليهودية ينتصر ويتعمق فى النصرانية ، ثم يُسْلِم ويتعمق فى الإسلام ويتحمس له تحمساً يحمله على كتابة انجيل ونسبته الى واحــد من الحــواريين أو الرسل ؟ إن هذا الرجل يحتاج أن يعمر عدة قرون كما يحتاج الى وسائل غير عادية ليصل الى هذه النتيجة ، ثم لماذا لم ينتقل مثــل هــذا الرجل مباشرة من اليهودية للإسلام كما فعل كثير من يهود الأندلس ؟ الحق أن مثل هذا التفكير يبدو لى مستحيلا .

ونسأل الدكتور سعادة : لماذا وضع هــذا الرجل المسـلم هــذا الانجيل ؟ الطبيعى أنه وضعه ليحتج به المســلمون على المســيحيين فى المناظرات التى كانت دائمة الوقوع بينهم ، ولكن ما رأى الدكتور سعادة فى أن أحداً من المسلمين لم يحتجَّ بهذا الانجيل قط ولم يرد ذكره فى تلك المناظرات الحامية كما كتب ذلك الدكتور سعادة نفسه . وكيف ينحــدر انجيل كاذب كهذا الى مكتبة البـــابا . ثم الى البرنس أيوجين ، ثم الى مكتبة البلاط الملكى بفينا ؟ وكل هذه أوساط مسيحية لا يمكن أن تسمح لكتاب كاذب يهاجم عقائد المسيحية بأن يتسرب الى مكتباتهم ، وأن ينال العناية التى وصفها الدكتور سعادة من تجليد وتذهيب ؟ ولو حاول كاتب مسلم أن يضع انجيــلا لكان أولى به أن ينســبه الى عيسى ، عــلى أن

(١) مقدمة المترجم ص (ط) .
(٢) المرجع السابق .

التعمق فى الاسلام الذى وصفه الدكتور سعادة يحتم على هذا المتعمق ألا يرتكب هذه الحماقة أو قل الخيانة الكبرى ، وهى أن يؤلف كتابا ثم ينسبه الى ســـواه .

ويقول الدكتور سعادة ــ مستدلا على أن كاتب هــذا الانجيــل مسلم ــ ما يلى : ولو أشار الى مجىء « الرســول » نبى المســلمين من طرف خفى بإشارات تنطبق عليه دون التصريح باسمه لكان ذلك أصــلح للغاية (١) . ونحن نأخذ هذا القول دليلا على صحة نسبة الانجيل لبرنابا، فهذه الحقيقة التى ذكرها الدكتور ســعادة لا تخفى على أحد ، وهــذا الكاتب وصفه الدكتور سعادة بالبراعة والفلسفة العالية وكثرة الاطلاع ، فكيف تخفى عليه حقيقة ابتدائية كهذه لو كان كاذباً .

ويذكر التاريخ أمرا أصــدره البابا جلاســيوس الأول الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ يعدد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفى عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا (٢)) ويرجح أنه هو الانجيــل الذى اختفى وضاعت نسخه . ولم تبق منه إلا هذه النسخة التى وصلت الى بر السلامة حينما أخذت مكانها فى مكتبة البابا نفســه حيث لا يخاف البابا أن تكون مكتبته موضع شك وموضع اختبار ، أما غير البابا فيعتقد أنهم أسرعوا الى هذا الانجيل فانتزعوه من مكتباتهم وأســلموه للفناء حرصا على أنفسهم وعلى مكتباتهم أن يمتد لها الفناء لو عثر على هذه النسخة فيهـــا .

وقد احترقت وفنيت نسخ هذا الانجيل كلها وسلمت هذه النســخة من ظلام العصور الوسطى وظهرت فى عصر النــور حيث أصــبح حرق الكتب جريمة لا تغتفر ، وبهذا استطاعت هذه النسخة الفريدة أن تحيى ما أوشك أن يندرس من معالم هذا الانجيل . ومن المؤكد بلا شــك أن

---

(١) مقدمة المترجم ص (ن) .
(٢) المرجع السابق ص (ل) .

نسبة هذا الانجيل لبرنابا أقوى من القول بنسبة انجيل متّى اليه ، وكذلك القول فى سائر الأناجيل ، وهناك أدلة كثيرة يقدمها الكتاب الغربيون أوردنا بعضها آنفا وهى تؤكد أن أغلب هذه الأناجيل من صنع بولس (١) وأن انجيل يوحنا من صنع طالب بمدرسة الاسكندرية .

٣ ــ ما أوجه الخلاف بين هذا الانجيل والأناجيل الأخرى ؟

يقول مترجم الكتاب (٢) إن هذا الانجيل يباين الأناجيل الأربعة المشهورة فى عدة أمور جوهرية هى :

(أ) أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم .

(ب) أن الابن الذى عزم ابراهيم على تقديمه ذبيحة لله انما هو اسماعيل لا إسحق .

(ج) أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد وذَكَرَ محمداً باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذيول وقال انه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

(د) أن يسوع لم يصلب وأن الذى صلب إنما هو يهوذا الخائن الذى شبه به .

والمسألتان الأولى والأخيرة تهماننا هنا فى بحثنا عن المسيحية ، ولذلك نقتبس من كلام برنابا نفسه بعض النماذج عنهما ، وهذه الاقتباسات هى فى الوقت نفسه اجابة عن السؤال الرابع من الأسئلة التى تهمنا لبيان القول عن انجيل برنابا ، وهذا السؤال هو :

(١) انظر فى ذلك ايضا دائرة المعارف الفرنسية .

(٢) مقدمة المترجم ص (م) .

٤ ــ ما الأسباب التى دفعت برنابا لتأليف انجيله ؟

وضّح برنابا الأسباب التى دفعته لتأليف هذا الانجيل فى مقدمته التى كتبها لهذا الانجيل وهاك نصها :

« أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة **بنبيه** يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى **مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله** ، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً، مجوّزين كل لحم نجس ، الذين ضلّ فى عدادهم أيضاً بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلّصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا **فى دينونة الله** ، وعليه فاحذروا كل أحد بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصُوا خلاصاً أبدياً » •

ويبين برنابا أن ادعاء ألوهية المسيح بدأ فى حياة المسيح بسبب معجزاته واتجاهها فى إحياء الموتى وإبراء الأكمة وغير ذلك مما ليس للبشر به عهد •

يقول برنابا : ونزل يسوع فى السنة الثانية من **وظيفته النبوية** من أورشليم الى نايين ، فلما اقترب من باب المدينة كان أهل المدينة يحملون الى القبر ابنا وحيداً لأمه الأرملة ، وكان كل أحد ينوح عليه • فلما وصل يسوع علم الناس أن الذى جاء إنما هو **يسوع نبى الجليل** ، فلذلك تقدموا وتضرعوا اليه لأجل الميت طالبين أن يقيمه **لانه نبى** •••• فتقدم المسيح الى أم الميت وقال لها بشفقة : لا تبكى أيتها المرأة • ثم أخذ يد الميت وقال : أقول لك أيها الشاب **باسم الله** قم صحيحاً ، فانتعش الغلام •

ويواصل برنابا قوله فى الإصحاح التالى : : وكان جيش الرومان فى ذلك الوقت فى اليهودية لأن بلادنا كانت خاضعة لهم بسبب خطايا

أسلافنا ، وكانت عادة الرومان أن يدْعوا كلَّ مَنْ فعل شيئا جديداً ، فيه نفع للشعب ، إلها ويعبدوه • فلما كان بعض هؤلاء الجنود فى تايين وبَّخُوا واحداً منا بعد آخر قائلين : لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لا تكترثون له، حقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل ما لنا ، ، فوسوس الشيطان بهـذا الأسلوب من الكلام حتى أنه أثار شغباً بين شعب نايين ، فقال قوم منهم « إن الذى زارنا إنما هو إلهنا » قال آخـرون « إن الله لا يُرى ، فلم يره أحدٌ حتى ولا موسى ، فليس هو الله بل بالحرى ابنه » وقال آخرون « انه ليس الله ولا ابن اللـه لأنه ليس لله جسـد فيلد بل هـو نبىٌّ عظـيم (١) •

المسيح ينكر القول بالوهيته ويقرِّر بشريته :

وتتكرر هذه الأحداث فيشفى عيسى المرضى أو يحيى الموتى ، وهذا يدعو الناس الى أن يحتسوا ويجهـروا أحياناً أن عيسى إله (٢) وينـكر عيسى ألوهيته ويصرخ فى وجه هؤلاء الضالين ليعيدهم الى الرشد ، ولكن بولس يتسلم هذه الدعوى فيضعها فى قالب فلسفى • ويدعو بها بعد أن ادعى أنه رسول وأنه يتحدث باسم المسيح •

وقد أورد برنابا قول عيسى منكراً ألوهيته : إنى أُشهد أمام السماء وأُشهد كل ساكن على الأرض ، أنى برىء من كل ما قال الناس عنى من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من امـرأة وعرضة لحـكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام (٣) •

ويدرك عيسى أن هذه الدعوى الكاذبة قد تنتشر فيهتف قائلا : الحق أقول لكم متكلما من القلب : إنى أقشعر لأن العالم سيدعونى إلهاً ، وعلىَّ أن أقدم لأجل هذا حساباً **لعمر الله الذى نفسى واقفة فى حضرته إنى رجل**

(١) اقرأ الاصحاحين ٤٧ ، ٤٨ •
(٢) انظر نماذج من ذلك فى الصفحات : ٧٥ — ١٠٦ — ١٠٧ — ١٣٩— — ١٤١ •
(٣) الاصحاح ٩٤ : ١ — ٢ •

فانٍ كسائر الناس ، على أنى وإن أقامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة ، خادم الله وأنتم شهداء على هذا (١) ٠

أما مسألة أن المسيح لم يصلب ، فقـد وضحها برنابا مقتبساً من عيسى قوله : اعلم يا برنابا أنه سيبيعنى أحد تلاميذى بثلاثين قطعة من نقود ، وإنى على يقين من أن من يبيعنى يُقْتل باسمى ، لأن الله سيغيِّر منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياى ٠ (٢) ٠

ويقول برنابا فى وصف خاتمة المسيح على الأرض : لما دنت الجنود مع يهوذا سمع يسوع دُنُوَّ جمٍّ غفير فاستيقظ ٠ وكان الحواريون الأحد عشر نياماً ، ثم رفع الله المسيح إليه ، ودخل يهوذا إلى الغرفة التى صعد منها يسوع فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهـوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع ٠٠٠٠ ودخـل الجنود فأخذوا يهوذا وأوثقوه ظانين أنه يسوع (٣) ٠

وهكذا يتفق هذا الإنجيل فى أكثر مسائله مع القرآن الكريم ويزيل الهوة التى ابتدعها بولس والتى أبعدت المسيحية عن الأديان السماوية ٠

(١) الاصحاح ٥٢ : ١٠ — ١٤ ٠
(٢) الاصحاح ١١٢ : ٢٣ — ١٥ ٠
(٣) اقرأ الاصحاحات ٢١٥ — ٢١٧ ٠

مصادر المسيحية فى رأى الكنيسة

عرفنا أن مصادر المسيحية التى تعترف بهـا الكنيسة ، ليست من كتابة عيسى ولا من إملائه ، فكيف يجوز الاستدلال بهـا وكيف تُتَّخَذ وسيلة لإثبات عقائد المسيحية ؟ •

الجواب على ذلك عند المسيحيين سهل للغاية ، فهم يعتقدون أن هذه الأناجيل وتلك الرسائل موحىً بها الى هؤلاء القديسين • وأن هـؤلاء القديسين كانوا رسـلا ، وأن الروح القدس أمدَّهم بالهدى والرشاد •

وهنا تتسع الهـوة بين تفكير المسلمين وتفكير المسيحيين ، فإثبات الرسالة شىء ليس باليسير عند المسلمين ، فالرسول لابد أن يشيع أمره ، وأن تكون له معجزات ، ولكن أكثر هؤلاء الرسـل الذين يبلغ عددهـم مائة وعشرين غـير معروفين إطلاقاً ، والقليلون منهـم يعرفهم خاصـة المسيحيين فقط ، ولم يُنْسَبْ لأكثرهم معجزات قط ، وقد نُسِبَ إلى قليلين منهم بعض خوارق ، ولكنها نسبة لا يوجد عليها دليل ثابت ، وعلى فرض صحتها فإنها ليست أكثر من أن تكون محض مصادفة أو — على أحسن تعبير — نوعاً من التكريم الذى يمنحه الله بعض الصالحين •

ونسبة الرسائل والأناجيل إلى أصحابها ليست قطعية ، ويوشك أن يكون مقطوعاً بخطأ النسبة فى بعضها كإنجيل يوحنا •

ويكثر التناقص بين هـذه الأسفار ، وقد عـد الباحثون مئات من الأمثلة لهذا التناقض ، وخَبَرُ القبض على المسيح ومحاكمته ، موضـع اختلاف كبير بين هذه الأناجيل ، والموحى به لا يمكن أن يوجد فيه مثـل هـذا التناقض ، وسـنعطى أمثلة من التناقض عنـد الكلام عن نقـد المسيحية •

ويتضح من الأناجيل نفسها أنها ليست إلهاماً ، فقد سبق أن اقتبسنا من لوقا السببَ الذى جعله يؤلف إنجيله وذلك قوله « إذ كان كثيرون **قد أخذوا بتأليف قصة فى** الأمور المستيقنة **عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين** وخداماً للكلمة ، **رأيت أنا أيضاً** إذ تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق **أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس (١)** » فلوقا **يقرر أن السابقين ألّفوا قصصا ، وذلك ينافى الإلهام ، وهو يقرر أنهم تسلموا هذه المعلومات من الذين كانوا منذ البدء معاينين لا من روح القدس ، ثم هو يقرر عن نفسه أنه نوى وبدأ يكتب ما تتبعه من الأول فأين الإلهام وأين الوحى ؟**

* * *

وبعد ، فهذه فكرة سريعة عن المسيحية ، نختمها بالدعاء والتضرع إلى الله أن يلهم القومَ الرشاد حتى يعودوا إلى محيط الوحدانية السامى الذى هو أساس الأديان السماوية ، والذى بدونه يتحطم الرباط بين أتباع هذه الأديان .

ويوم يعود القوم الى التوحيد الخالص ، واعتبار عيسى عليه السلام نبياً كما كان ، يومئذ تنتهى هذه المشكلات المعقدة التى حاولوا دون فائدة أن يدللوا عليها ، وتنتهى اسطورة نزوله لتخليص الناس من خطأ آدم ، وتنتهى مشكلة الروح القدس وممن انبثق ، وتنتهى مشكلة طبيعة المسيح اللاهوتية والناسوتية ، وتنتهى مشكلة الرسل المائة والعشرين ، وتنتهى مشكلة المجامع التى تصنع الآلهة ، وتختار الأناجيل التى تثبت هؤلاء الآلهة .

ويوم يعود القوم إلى التوحيد الخالص سيظهر إنجيل المسيح ، ويقرأ الناس شعائر المسيحية كما علمها عيسى بن مريم ، وتلتقى المسيحية بغيرها من الأديان السماوية ..

ليت هذا اليوم يجىء ، ولكن هيهات .

---

(١) لوقا ١ : ١ - ٤ .

التشريع والمسيحية

مرَّ التشريع فى المسيحية بعدة مراحل ألممنا ببعضها فيما سبق من حديث ، ومن الضرورى أن نذكر هذه المراحل هنا مجتمعة مرتبة لنرى تطور التشريع فى المسيحية ونماذج منه ، وهاك هذه المراحل :

المرحلة الأولى : اتّباع التشريع اليهودى :

تَعْتبر المسيحيةُ التوراةَ وأسفارَ الأنبياء السابقين كتباً مقدسة ، ويطلقون عليها « العهد القديم » كما ذكرنا من قبل ، وكانوا لذلك فى عهودهم الأولى يتبعون شريعة اليهود والوصايا العشر عندهم ، وروى عن عيسى بن مريم قوله : إننى لم أجىء لأغير الناموس ولكن لأقرر ، وسيأتى مزيد من إيضاح هذا فى المرحلة الثانية .

ومن أجل هذا لم يأت عيسى بتشريع جديد ، وكل ما اهتم به هو الوعظ والوصية والتسامح ، ويعلل المسيحيون عدم اهتمام عيسى بالتشريع بقولهم :

(أ) إنه أراد الشريعة روحاً مُحْيياً لا حرفاً ميتاً .

(ب) إنه أراد تجنيب هذه الشريعة ما تفرضه عليها أحوال الزمان والمكان من تحوير .

(جـ) إنه أراد أن يحترم حرية الإنسان فلا يسوقه مكرهاً إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله (١) .

وطبيعى أن هذا التعليل غير مقبول ، فإن عيسى لم يتحرر من التشريعات السماوية ، وإنما ألْزمَ أتباعَه بطاعة ما شرعه العهد القديم

---

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٩٢ — ١٩٣ .

ثم إن التشريع الحكيم ليس حرفاً مميتاً ، ولا جامداً صلداً ، ولا يحرم الإنسان نتيجة الطاعة والامتثال ، والتشريع الحكيم يسرى فى فكر الإنسان ويصبح معبّراً عنه ومحققاً مطالبه ، وحامياً لحرماته •

المرحلة الثانية : عظات عيسى ومكانها من التشريع :

عُنِىَ عيسى عليه السلام بالوعظ كما سبق • وأهم ما يروى عنه عظة الجبل وهاك مقتطفات منها :

— طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات •

— طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض •

— طوبى للحزانى فانهم يعزون •

— طوبى للجياع والعطاشى الى البر فإنهم يشبعون •

— طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله (١) •

التشابه والتناقض بين التشريع اليهودى والمسيحى :

ويرى المسيحيون أن عظة الجبل وما ماثلها نقلت التشريع فى المسيحية الى طور جديد • ويعقدون لذلك مقارنة بين الشريعة القديمة (اليهودية) والشريعة الجديدة (المسيحية) ونحن نوجز هذه المقارنة فيما يلى •

وجوه التشابه :

(أ) كلا الناموسين صادر عن الله •

(ب) كلا الناموسين يأمر بوجوب حفظ الوصايا القديمة التى تسلمها موسى من الله على الجبل ، وهذا ما ذكّر به السيدُ المسيحُ الشابَّ الغنى عندما سأله عن وسيلة لدخول الحياة الأبدية فقال : إن كنت تريد أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا المتعلقة بالله وهى :

---

(١) عظة الجبل كاملة فى متى : الاصحاح الخامس والسادس والسابع .

— أنا الرب إلهك فلا يكن لك آلهة أخرى •

— لا تصنع لك تمثالا ولا صورة تسجد لها •

— لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا •

— اذكر يوم السبت لتقدسه •

— واحفظ كذلك الوصايا المتعلقة بالإنسان وهى : لا تسرق—لا تزن — لا تقتل — لا تشهد الزور — أكرم أباك وأمك — لا تشته ما عند قريبك (١) •

(ج) كلا الناموسين يجعل محبة الله رأس الوصايا •

وجـــوه التناقض :

أورد الكتاب المسيحيون تحت هذا العنوان صوراً ليست فى الحقيقة تشريعاً جديداً ، ولا معارضة لشريعة موسى ، ولكنها فى الغالب ألوان من التسامح ، وليس بها تعديل فى التشريع إلا فى الطلاق ، وفيما يلى هــذه المقـــارنة •

(أ) نهت شريعة موسى عن القتل ، أما المسيح فقد ذهب الى أبعد من ذلك ، فنهى عن التفكير فى الإساءة على العموم ، ورذل الغضب والبغض واحتقار الغير فقال : قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل فإن مَنْ قتــل يستوجب الدينونة • أما أنا فأقول لــكم إن كــل من غضب عــلى أخيه يستوجب الدينونة » (متى ٥ : ٢١) •

(ب) ونهت شريعة موسى عن الزنا ، وأما المسيح فقد نهى عن كل فكرة دنس تداعب الحس والخيال فقال : « قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تزن •أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر الى امرأة لكى يشتهيها فقدزنى بهــا فى قلبه » (متى ٥ : ١٧) •

---

(١) انجيل متى ١٩ : ١٨ — ١٩ ومرقص ١٠ : ١٩ •

(ج) وأباحت شريعة موسى الطلاق • أما المسيح فأرجع الزواج الى صرامته ونقائه • فألغى الطلاق الذى ما سمح به موسى إلا لقساوة قلوب قومه ، وما سمح المسيح الا بالهَجر بشرط ألا يعقبه زواج جديد •

(د) ونهت شريعة موسى عن الحنث بالعهود والحلف بالله ، أما المسيح فقد نهى عن الحلف على الإطلاق أياً كان نوعه ، فقال : قد سمعتم أيضاً أنه قيل للأولين لا تحنث بل أَوْفِ للرب بِقَسَمك ، أما أنا فأقول لكم لاتحلفوا ألبتة لا بالسماء فإنها عرش الله ، ولا بالأرض فإنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم فإنها مدينة الملك الأعظم ، ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة منه بيضاء أو سوداء • ولكن ليكن كلامكم : نعم نعم ، ولا لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشر (متى ٥ : ٣٣ — ٣٧) •

(هـ) وتساهلت شريعة موسى فاعترفتْ بالانتقام ، وسلّمت بسنةالعين بالعين ، أما المسيح فنصح بقبول الإهانة برباطة جأش ، فمن الحمق أن ترد الكيل بالكيل والضربة بالضربة ، وإنما الحكمة كل الحكمة أن تبادل بالشر الخير ، فإن فعلنا فقد ركمنا جمر نار على هامة المعتدى المسيء فقال : « قد سمعتم أنه قيل العين بالعين والسن بالسن ، أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر » (متى ٥ : ٣٩) •

(و) ونصت شريعة موسى على محبة الاحبّاء وبغض الأعداء • أما المسيح فقد قال بمحبة الاحباء والاعداء ، فأضاف قوله : « قد سمعتم أنه قيل : أَحِبَّ قريبك وابغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، وأحسنوا الى من يبغضكم • وصلّوا لأجل من يَعْنَتُكم ويضطهدكم لتكونوا بنى أبيكم الذى فى السموات ، لأنه يُطلع شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٣ — ٤٤) •

(ز) واكتفى الإسرائيليون بإتمام واجبات العدل لينال الانسان

النجاة ، أما المسيح فأفهم الناس أن العدل وحده يحجّر القلوب إن لـــم تمازجه دفقة من محبة (لوقا ١٦ : ١٩ — ٢٠) (١) ٠

ومن الواضح أن هذا ليس تشريعاً ولكنه تهذيب وتســامح ، ومن الواضح كذلك أن المسيحيين فى الغالب لم يتبعوا فى سلوكهم هذا الاتجاه، بل لم يقنعوا بالعدالة التى قالت بها التوراة ، وراح أكثرهم يستعمرون الشعوب ويظلمون الناس ٠

المرحلة الثالثة : الرسل والتشريع :

وبعد عيسى بفترة قصيرة اتضـــح لقادة المســيحيين أن التشريـــع اليهودى شق على الأتباع الجدد وبخاصة من غير بنى إسرائيل ، وكـــان الختان من أهم ما شق على هؤلاء ، فأخذ المسيحيون يقللون من التكاليف والحرمان ٠ وحصروها فى الزنا ، وأكل المخنوق ، وأكل الدم ، وأكـــل ما ذبح للأوثان ، وأباحوا الخمر ولحم الخنزير والربا ، وهى محرمة فى التـــــــوراة ٠

الرحـــلة الرابعـــة : بولس والتشريع :

وجاء بولس فلعب دوراً كبيراً فى التشريع المسيحى ، فكان تارة يشرح ما رُوِى عن عيسى ، وتارة يقترح من عنده هو ، وقد سبق أن تكلمنا عن هذا عنـــد حديثنا عن بولس وعند حديثنا عن الأسفار التعليمية بالكتاب المقدس ٠ وكان الختان من أهم ما عنى بولس بإيقافه ، وطالمـــا صرخ فى رســـائله بقوله : ما هو نفع الختـــان (٢) ؟

المرحلة الخامسة : دور الرؤساء الروحانيين والمجامع فى التشريع :

وتسلم الرؤساء الروحانيون تراث التشريع من الرسل ومن بولس وظلوا يباشرونه حتى تمّ الاعتراف بالمســيحية فانتقل حق التشريع الى

(١) الاب بولس الياس ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ٠
(٢) انظر مثلا رسالته الى اهل رومية ٣ : ١ ٠

المجامع التى لم تكتف بالتقنين حول أمور الدنيا بل راحت تخلق الآلهة وتقرر حق الغفران وعصمة البابا ••• كما سبق •

المرحلة السادسة : الكنائس والتشريع :

وقرر مجمع رومة سنة ١٨٦٩ عصمة البابا فانتقل حق التشريع إليه كرأس للكنيسة ، وعن طريقه نعمت الكنيسة بهذا الحق ، وقد نسب المسيحيون عصمة الكنيسة الى عيسى ، يقول الأب بولس إلياس(١) « لقد خول السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذى تلقاه من أبيه السماوى عندما قال لتلاميذه : كما أرسلنى الأب ، هكذا أنا أرسلكم • وذلك يشمل سلطان الكهنوت والتدبير والتعليم ••• وعصمة الكنيسة هذه امتياز تتنعم به هى والبابا رأسها نائب المسيح المنظور ، ولا يعتبر البابا معصوماً عن الضلال إلا عندما يعلن أو يرذل بطريقة احتفالية عقيدة من عقائد الإيمان ، أو تعليما له مساس بالآداب المسيحية • ولا تزال هذه المرحلة معمولا بها حتى الآن •

وقد سبق أن اقتبسنا من السيد عبد الأحد داود قوله : إن المسيحيين عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة فى إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام الى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسى الخلافة •• وأصبح حكمه قطعياً (٢) •

وهكذا باشرت الكنيسة سلطاتها التشريعية ، ولا تزال تباشرها ، ومن القرارات الهامة التى اتخذتها تبرئة اليهود من دم المسيح ، وهو قرار لعبت السياسة دوراً لاتخاذه ، ويرى كثير من الباحثين أن عدداً من الكرادلة الذين اشتركوا فى تأييد هذا القرار ينحدرون من أصل يهودى ، وانهم اعتنقوا المسيحية لغرض خدمة اليهودية •

قد يقال إننا نحن المسلمين نرى أن الله أنجى عيسى من اليهود ، فهم

---

(١) يسوع المسيح ص ١٨٨ و ١٩٠ •
(٢) الانجيل والصليب ص ٢٣ •

بذلك لم يقتلوه ، ونجيب بأن اليهود لا يعترفون بأن شبيها لعيسى حل محله ، وعدم اعترافهم بذلك يتضمن اعترافهم بقتله أى بقتلهم له لأن هناك شخصاً قُتِلَ قطعاً ، ولكنها عادة اليهود ، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، كما نص على ذلك الذكر الحكيم (١) •

نماذج من التشريع المسيحى :

أهم العبادات عند المسيحيين الصوم والصلاة ، وتحديدهما ليس متّفقاً عليه ، ويرى كثيرون من المسيحيين أن الانتظام فى الصوم والصلاة توجيه اختيارى لا إجبارى ، ومعنى الصوم عندهم الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم ، ويشمل الصوم عند المسيحيين صوم يوم الأربعاء وهو يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على عيسى ، ويوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة • وصوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهى بعيد الميلاد ، والصوم المقدس وعدد أيامه ٥٥ وهى عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعان : الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعينى المقدس ، والأسبوع الثانى أسبوع الآلام ويأتى بعد الأربعين وينتهى بأَحَد القيامة • ويمتنع فى هذا الصوم أكل لحم حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، ويقتصر على أكل البقول ولا يُعْقَد فى أثنائه سر الزواج ، ثم يجىء صيام الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف وتتراوح مدته بين ١٥ و ٤٩ ، وصوم العذراء ومدته ١٥ يوماً تبدأ من أول شهر مسرى •

أما الصلاة فسبع صلوات فى اليوم والليلة وهى صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والحادية عشر والثانية عشرة ومنتصف الليل(؟) واهتمامهم بالصلاة أكثر من اهتمامهم بالصوم • وليس للصلاة ترتيب خاص ، وانما هى أدعية تختلف من مكان إلى مكان ، وغاية ما يلزم أن

---

(١) سورة البقرة الاية ٨٥ •

تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية التى قدمها لهم المسيح وهى : أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجّنا من الشر •

تشريعات حول الأسرة :

ومن التشريعات حول الأسرة أن الأصل أن يترهب الناس رجالا ونساء ، ولكن لما كان ذلك غير ممكن أجيز الزواج ، وكان تعدد الزوجات معمولا به فى مطلع المسيحية تبعاً للتعدد الذى قالت به اليهودية ، ولكن للجمع بين اتجاه المسيحية للرهبنة وبين ضرورة الزواج خوف الزنا ، أصبح الزواج مباحا من واحدة فقط ، ولا يجوز الطلاق إلا فى حالة الزنا ، فإذا تم طلاق بسبب الزنا لا يجوز لأى من هذين الزوجين أن يتزوج مرة أخرى أما اذا كان الفراق بالموت فإن الحى يجوز له أن يتزوج ، وهم فى مسألة الطلاق يخالفون اليهودية التى تجيز الطلاق بدون زنا ، وهناك حالة أخرى غير الزنا يجوز فيها الطلاق فى المسيحية وتلك إذا كان أحد الزوجين غير مسيحى فيصح التفريق عند تهاجرهما وعدم الألفة بينهما •

الاهتمام بكثرة النسل :

ويهتم المسيحيون بكثرة النسل ويحاربون تحديده ، ومما ينسب الى البابا بيوس الثانى عشر قوله فى الاتحاد الايطالى لجمعيات العائلات الكثيرة العدد سنة ١٩٥٨ ما يلى : إن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب المسيحية ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجلبة للأفراح العائلية (٢) ، ويزيد اهتمامهم بكثرة النسل فى البلاد التى يكونون فيها أقلية أو مساوين فى التعداد تقريبا لأتباع غير المسيحية من الديانات ،

---

(١) انجيل متى ٦ : ٩ — ١٣ •
(٢) مجلة الوثائق الكاثوليكية العدد ١٢٧١ سنة ١٩٥٨ •

ولذلك تراهم فى الشرق بوجه خاص يتجهون إلى إكثار النســل فى الوقت الذى يتجه فيه سواهم من أتباع الديانات الأخرى بهذه المنطقة الى تحديد النســـــــــل • ! !

فقر فى التشريع :

وفى ختام هذه الدراسة نقرر أن المسيحية فقيرة فى تشريعاتها ، وأنها دين يعنى بالروحانيات ، ولا يهتم بشئون الدنيا • وهذا يؤكد أنها تكملة لأديان بنى إسرائيل ، فقد تركت لهذه الأديان كل مســائل التشريــع أو أكثرها وقنعت بتوجيه كل العناية الى الجانب الذى أهمله اليهود ، وهــو جانب التسامح والحب والزهد فى الدنيا •

الطـــوائف المسيحية

عند حديثنا عن « طبيعة المســيح والآراء حــولها » فيمــا سبق ، وضّحنا أنه بسبب الاختلاف فى القول عن هذه الطبيعة ، تكوّنت مذاهب مسيحية متعددة ، ولكن هذه المذاهب لم تستقر بعد تكوينها ، فقد تكرّر فى تاريخ المسيحية حدث عظيم لم يتخلّف • هو التجاء الجانب القوىّ الى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات والتعــذيب والتنــكيل والحـرق والإفناء يسلطها على الجانب الضعيف كما قلنا من قبــل ، والعجيب أن المسيحيين اضطُهِدوا من اليهود والرومــان ، ونزلت بهـم الويلات فى فى القرون الثلاثة الأولى ، فلما بدأ جانبهم يشتد رأيناهم يُنْزِلون نفس **الويلات بمخالفيهم من أبناء دينهم ومن أتباع الأديان الأخــرى ، ومن هنا فنيت مذاهب مسيحية كثيرة كان بعضها فى وقت ما له الغلبة فى العدد ولكن تنقصه القوة والسلطان ، وكان فناء هــذه المذاهب بسبب قســوة اليهود والرومان أحيــانا ، وبسبب قسوة فــرق مسيحية أخــرى قويت واشتدت بالأباطرة وذوى النفوذ •**

وبجانب ذلك ظهر فى العصر الحــديث مذهب جــديد هــو مذهب البروتستانت وسنتكلم فيما يلى كلمة قصيرة عن أشهر الطوائف الموجودة الآن :

(أ) الكاثوليك :

كنيستهم تســمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربيــة أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية • ومعنى الكاثوليكية أى العامة لأنها تدّعى أم الكنائس ومعلمتها ، ولأنها وحدها التى تنشر المسيحية فى العالم ، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها الى الغرب اللاتين خاصــة أى الى بلاد ايطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ، وإن كان لها أتباع فيمــا عدا ذلك من البلدان وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها

يدّعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم ، والبابوات فى روما خلفاؤه .

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوى ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير فى تنظيم الكنيسة ، إذ يتكوّن منهم المجمع الكنائسى الذى يُصدر إرادات بابوية سامية هى إرادات إلهية . لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله ، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة (١) .

(ب) الأرثوذكس :

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان ، كان مقرها الأصلى القسطنطينية ، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤ (٢) ، وهى الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة .

أسباب انقسام الكنيسة الى كاثوليكية وأرثوذكسية :

وينبغى أن نقف هنا لنشرح الأسباب التى دعت الى انقسام الكنيسة الى كاثوليكية وأرثوذكسية ، وقد تكلم Garvie (٣) عن ذلك ، وسنستعين برأيه لنضيفه الى رأينا الخاص :

إن الدارس لأسباب هذا الانقسام يجد أنها سياسية أحيانا ودينية أحيانا أخرى :

---

(١) محمد فؤاد الهاشمى : الاديان فى كفة الميزان ص ٤٤ .

(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3p. 590.

(٣) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3p. 590.

فالأسباب السياسية هى :

١ — قَسَّم الامبراطور تيودوسيوس Theodosius الامبراطوريه الرومانية قسمين : سنة ٣٩٥ غربية وعاصمتها روما وشرقيـة وعاصـمتها القسطنطينية ، وبعد وفاته أصبح ابن « أركاديوس » (٤٠٨) امبراطورا على الامبراطورية الشرقية ، وصار ابنه الثانى «هونوريوس» امبراطورا على الامبراطورية الغربية ، هذا التقسيم أتاح للمسيحية مركزين للسلطة والنفوذ ، وأخذت العاصمة الجديدة مكان المنافس لمدينة روما •

٢ — سقطت الامبراطورية الرومانية الغربية بهجوم البربر عليهـا سنة ٤٧٦ م فأعطى هذا فرصة لكنيسة روما أن تضم الى نفوذها الدينى نفوذا سياسيا ، فادعت أن من حقها أن تحكم العالم المسيحى كـله ، ولم تقبل أن تقسم النفوذ مع كنيسة القسطنطينية ، وأعلنت الكنيسة الغربية أن رئيسها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحى للجميع ، ولم تقبل الكنيسة الشرقية ذلك وإن كانت فيما بعد تساهلت فاعترفت بتقديمه لها برياسته •

الأسباب الدينيـــــة :

أما الأسباب الدينية فخلاصتها أن منطقة الامبراطـورية الشرقيـة متصلة" بأرض الديانات ، حيث ازدهر التوحيـد فترات طـويلة قبـل المسيحية وفى مطلعها ثم بعد ذلك فى العصر الاسلامى ، وفى هذه المنطقـة كانت هناك أسس دينية ثابتة كتحريم الدم المخنوق ودهن الخنزير ، فلما استقر الأمر بالمسيحية الى التثليث واعتبار السـيد المسيح إلها بقى فى الكنيسة الشرقية بعض المظاهر التى انبثقت من الماضى ، ويظهر ذلـك ممـا يـلى :

١ — تأثرت كنيسة روما بالدم الألمانى ونَشْر المسيحية بين الوثنيين أما كنائس الشرق فقد تأثرت بالتفكير الشرقى ونَشْر المسيحية بين قوم قديمى عهد بالأديان ، وقد بدأ بذلك الخلاف بين الكنيستين ، ثم أخـذ ينمو ويزداد حينما **تساهلت كنيسة روما لتجذب لها الجرمان واللادينيين فأحلَّت أكل الدم المخنوق وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير وغـير ذلك** مما لم تقبـلـه الكنائس الشرقيـة •

٢ — قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معاً ، وأصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط .

٣ — قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الأب عن الإله الابن ، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الاثنين .

٤ — قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ومشيئتان .

ولا تزال الأسباب الثلاثة الأخيرة هي قمة الخلاف بين الكنيستين . وقد سبق أن أشرنا الى أن الكنائس الغربية ظلت محتفظة بوحدتها بزعامة كنيسة روما ، ولكن الكنائس الشرقية انقسمت الى وحدات ، كل وَحْدَةٍ منها مستقلة وإن اتفقت جميعها فى المشرب والاتجاه .

والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الإكليروس ويبدأ من البطريرك ويليه فى الرتبة المطارنة ، ثم الأساقفة ، ثم القسس أصحاب الامتياز ويسمون القمامصة ، ثم القسس العاديون ويسمون القساوسة وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأى والكلمة فى كل ما يدور حول الكنيسة (١) .

(جـ) البروتستانت :

وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية ، وقُصِدَ بهذه التسمية الى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى ، فلكلٍّ قادرٍ الحقُّ فى فهمه ، وجميعهم متساوون ومسئولون أمام هذا الكتاب ، وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التى تَعْتبر فهم الإنجيل وقْفاً على رجال الكنيسة ، والتى لا تعتبر الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل تضيف إليه الإلهام

---

(١) محمد فؤاد الهاشمى . الاديان فى كفة الميزان ص ٤٤ .

والتعاليم غير المكتوبة التى يتناولها البابوات الواحد عن الآخر ... (١)

وتنتشر البروتستانتية فى ألمانيا وانجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة الإصلاح حركة عادلة رشيدة ، وأنها هى الاصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية ومن ثَمَّ استبقى الانجليز استعمال كلمة الكنيسة الكاثوليكية على الكنائس التى هى نتاج حركة الإصلاح دون أن يحتاجوا أن يطلقوا عليها كلمة بروتستانتية ، وللتفريق بين تسمية الكنائس الإنجليزية والكنيسة الكاثوليكية الأصلية أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية » (٢) .

وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً أى يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ ، مع عدم المساس بالاستقلال الذاتى لكل كنيسة .



والصراع عنيف بين هذه المذاهب فى الحاضر كما كان فى الماضى ، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرة وملاحدة ومنعوهم من الحج للقدس لأنهم ارثوذكس (٣) وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية ، فكِتَاب القسطاس (٤) البورتستنتى يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفنّد تعاليم كل من الكاثوليكية والبورتستانتينية ولو صدقنا هذه الكتب التى دوّنها قادة مسيحيون لانتهينا إلى نتيجة حاسمة هى بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها ، وقد مرّ أَمَدٌ طويل وفى ايرلندا بالملكة المتحدة صراع دموى بسبب الانتماء الى مذاهب مسيحية مختلفة .

---

(١) Pengadjaran Geradja Katolik p. 119.

(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethice Vol. 5 pp. 258-259.

(٣) ميخائيل فكس : القدس عبر التاريخ ص ٥٧ .

(٤) أنظر كتاب القسطاس البروتستنتى وكتاب الصخرة الارثوذكسية لحبيب جرجس .

الكنيسة وطقوسها وأسرارها

ويتصل بالطوائف المسيحية بحث" عن الكنيسة وتقاليدها وأسرارها يُعْنَىَ به المسيحيون ، وقد مر" أكثر ما به من مادة فى ثنايا هذا الكتاب ، ولكن لا بأس من إيجازه هنا تبعاً لاتجاه هؤلاء الباحثين :

طقوس الكنيسة :

الطقوس فى اصطلاح الكنيسة هى مجموع الصلوات والابتهالات التى تتم فى الاحتفالات الكنسية ويقوم بها الكاهن مع الذين يساعدونه فى أداء الأسرار المقدسة ، ومن هذه الطقوس السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة ، والبخور ، والقرابين ، وأداء الصلوات السبع التى فرضتها الكنيسة ، وهى صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ثم صلاة منتصف الليل (؟)

أسرار الكنيسة :

أسرار الكنيسة سبعة هى :

١ — سر المعمودية وقد سبق الحديث عنها .

٢ — سر المسح بالميرون المقدس ، ويُمْسَح به عقب الخروج من المعمودية ، والميرون مزيج من العقاقير عليه بقايا تحدَّرت — كما يدَّعى رجال الكهنوت — من الدهن الذى صنعه الرسل ولا يمسح بالميرون إلا الكهنة .

٣ — سر العشاء الربانى وقد سبق الكلام عنه .

٤ — سر التوبة والاعتراف ، ويلزم أن يكون الاعتراف أمام كاهن، وأن يكون الاعتراف كاملا وواضحاً ، ومن ثمار هذا الاعتراف الحصول على غفران الخطايا ويمنح الكاهن هذا الغفران !! وسنرى أن ذلك السر

سيكون من الأسباب التى أثارت كثيرين على المسيحية ، فخرجوا على الكنيسة وأنشأوا جماعة البروتستانت •

٥ — سر الكهنوت وهو السر الذى يختار به رجال الدين ويعينون فى مناصبهم الكهنوتية •

٦ — سر المسح على المريض ليشفى جسمياً وروحياً •

٧ — سر الزواج للربط بين الزوجين رباطاً مقدساً دائماً (١) •

وتسمى هذه أسراراً حتى تسدل هالة من التقديس والرهبنة على القسس الذين يزاولونها •

الرهبنة والأديرة

ويتصل بالكنائس أيضاً حديث عن الرهبنة والأديرة جدير بالذكر ، فقد عانى المسيحيون فى عهد الاضطهاد صنوفاً من التعسف والقسوة كما ذكرنا من قبل ، وكان ذلك — كما يقول الكتاب المسيحيون — تدريباً للمسيحيين على التضحية وحب الفداء • فلما بدأ عهد الحرية تحسر أولئك الذين فاتهم ركب التضحية وسفك الدماء ، فقرروا أن يضحوا بمتعهم إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم ولجأوا للتفرد بالجبال ، والابتعاد عن ضجيج الحياة ، والحرمان وتعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب • والتبتل وعدم الزواج ، والعكوف على العبادة تقديراً للسيد المسيح الذى بذل نفسه من أجل البشر ، وبخاصة أنهم أدركوا بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب •

مراحل الرهبنة :

وقد مرت الرهبنة بمراحل ، فكانت فى المرحلة الأولى هروباً من

---

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ٢١٠ — ٢١٤ وتاريخ الاقباط لزكى شنوده ص ٢٥٦ — ٢٦٤ •

الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس ، وانطلاقا فى الصحارى والبرارى ولجوءاً الى الكهوف ، بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل • مع المحافظة على الوحدة والتفـــرد •

وبمرور الزمن كثر عدد الراغبين فى الترهب ، ومال هؤلاء الى نوع من الاجتماع والمعاشرة إذ تعرض بعضهم الى عدوان اللصوص والمجرمين فبنوا لهم صوامع متجاورة ، ثم انتهى بهم الأمر الى بناء أسوار عاليـــة تضم بداخلها عدداً من الصوامع ، فنشأ عن ذلك « الدير » ، وكثرت بعد ذلك الأديار وانتشرت هنا وهناك •

الرهبنة استجابة لتعليمات المسيح :

على أن الرهبنة لم تنشأ فقط بسبب الرغبة فى التضحية والفداء بعد أن توقف الاضطهاد ، بل إن المسيحيين ينسبون أسسها الى السيد المسيح الذى احتقر المال والمتاد والتمسك بالأسرة ، ويروى عنه فى ذلك قوله :

— إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى •

— من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابناً أو ابنة فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ، ومن أضاع حياته من أجلى سوف يجدها •

— من ترك بيوتاً أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحيـــاة الأبدية •

— للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أن يســـند رأســـه (١) •

---

(١) متى الاصحاح ١٩ الفقرات ٢١ وما بعدها .

أما اللجوء الى الجبال والبرارى فمقتبسة من السيد المسيح أيضا ، فقد كان يصعد الى الجبل حين يريد أن يصلى أو يعلّم الجموع ، ومن يوحنا المعمدان الذى كان يعيش فى البرية ويكرز فيها .

أسس الرهبنة :

ومن أسس الرهبنة عدمُ الزواج أى التبتلُ ، وعن ذلك يحدّث السيد المسيح فى قوله : يوجد خصيان ولدوا هكذا ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يحتمل فليحتمل (١) ، وسنعود فيما بعد بالنقد لهذا النظام الذى يجر على العالم الخراب والدمار .

وأما التقشف والفقر وتعذيب الأبدان بالجوع والعطش وخشن اللباس فقد أعاده المسيحيون الى الاقتداء بالسيد المسيح فى زهده واحتماله الآلام ، وبما جاء فى أعمال الرسل : إنه بمضايقات كثيرة ينبغى أن تدخل ملكوت الله .

وأما الطاعة التامة التى يدين بها الرهبان لرؤسائهم فيرجعونها الى قول المسيح : مع كونه ابناً تعلّم الطاعة (٢) .

اقتباس من الفكر الهندى :

والباحث فى مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين فى تصرفاتهم هذه اتبعوا المنهاج الهندى دون تحريف ، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم ... هى سياسة الهندوسية والبوذية التى وصفناها بوضوح فى كتابنا « أديان الهند الكبرى » .

---

(١) متى ١٩ : ١١ — ١٢ .

(٢) انظر تاريخ الأقباط للأستاذ زكى شنودة ص ١٧٨ ، — ١٩٢ ويسوع المسيح للأب بولس الياس ص ٢٦٧ — ٢٨١ . والدموى الرهبانية فى الكنيسة للأب موجنته ص ٣٤ .

وليس الالتحاق بالرهبنة شيئاً يسيراً ، فطالب الالتحاق يختبَر ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق ، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم أى ضمن العلمانيين •

ويرى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبان نشأ فى مصر أول ما نشأ ، ثم نقله الرهبان الأقباط الى ايطاليا وفرنسا وغيرهما من الدول (١) •

انحرافات الأديرة

تحدثنا آنفا عن الرهبنة ، وأنها نشأت عن الرغبة فى التضحية والفداء والطهر ، وأن الباحثين يرجعون بها الى خلق السيد المسيح ، وأن الأديرة نشأت لمساعدة الرهبان على هذه الأهداف السامية ، **بيد أن حياة الطهر فى الصوامع والأديرة كانت قصيرة العمر جدا ، فسرعان ما تطرّق لها الفساد وشملها الفسوق ، حتى انه يُنسب الى مُنشىء الأديرة « الأنبا أنطونيوس » أنه قال لزميله « مكاريوس » :**

« قم يا مقاره ، اقفل الديارة ، لأن الرهبنة فسدت (٢) » •

ويقول الأنبا « باسيليوس » مطران ابى تيج : إن الأديرة لا تقى من الفساد ، وإن الرهبان يحيون حياة شريرة (٣) •

وتقول المجلة المسيحية « رسالة الحياة » ما يلى عن الرهبنة والأديرة :

الأديرة تحتوى على فساد عميق ، وهيهات أن يوجد بها من يصلح

---

(١) تاريخ الاقباط ص ٢١٤ •

(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الاولى العدد السادس ص ٧٤

(٣) انظر بحثه عن الاديره فى كتابه صوت [illegible]

للبقاء ، إذ أنها تضم بين جدرانها أفاقين أولى بهم غيابات السجون (١) .

وإذا كانت هذه الأقوال عن الأديرة مجملة ، فإن بين أيدينا أوثق كتاب عن الأديرة هو كتاب « الديارات » للشابوشتى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) ، وقد حققه الباحث المسيحى كوركيس عواد معتمداً على نسخة خطية كانت عند الأب « أنستاس مارى الكرملى » نقلها بيده عن النسخة المصورة بالفوتوغراف عن المخطوطة الوحيدة للكتاب فى خزانة كتب برلين، وذكر الأستاذ كوركيس عواد أن البطريرك « مار أرناطيوس » أمدّه بمزيد من المعلومات عن الديارات السوريانية التى تحدث عنها الشابوشتى، وقد نُشِرَت هذه الاضافات فى ذيول الكتاب .وكل هذا يجعل ما ورد فى الكتاب من أحداث عن الديارات موضع تسليم من جميع الباحثين .

وسنعيش مع هذا الكتاب لنرى ما آلت اليه حال الأديرة منذ هذه العصور المبكرة .

وأول ما نقتبسه من هذا الكتاب سطور من مقدمة المحقق يتحدث فيها **عن أن الأديرة كانت مجالات للأنس والطرب ومواطن للنزهة واللهو** ، وأن كل دير من الديارات كان محصناً بسور مكين شاهق يدفع عنه شر الهجمات . ويـَقيه غائلة المعتدين عليه (٢) ، وربما جاز لنا أن نقول إن هذه الأسوار كانت تخفى ما يدور بداخل الديارات من انحراف وأسرار .

والديارات التى تكلم عنها الشابوشتى هى ثلاثة وخمسون ديراً أكثرها بالعراق (٣٧ ديراً) وبعضها بالشام (١٣ ديرا) ومصر (٩) والجزيرة (٤) وقد شملها الانحراف جميعاً مما يدل على أن الأديرة فى أى موقع كانت قد رحبت بهذا اللون المنحرف من الحياة ، فكأن الانحراف كان جزءاً مُهِمّاً من أعمالها وأنشطتها .

---

(١) العدد السابق ونفس الصفحة .
(٢) ص ٣٦ و ٤٩ من المقدمة .

دَيْرُ دُرمالس :

ولنذهب الآن الى صلب الكتاب فأول دير تكلم عنه الشابوشتى هو « **دير دُرمالس** » وعنه يقول المؤلف : هو من البقاع المعمورة بالقَصْف والمقصودة بالتنزه والشرب ، وعيدُه أحسن عيد يجتمع نصارى بغداد به ، **ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلا تبعهم ، ويقيم الناس فيه الأيام ، ويطرُقونه فى غير الأعياد ، ولأبى عبد الله ابن حمدون النديم فيه أبيات منها :**

يادير دُرمالس مَا أحسنك ويا غزال الدَّيْر ماأفتنك
لئن سكنتَ الدير يا سيدى فإن فى جوف الحشا مسكنك(١)

دير الثعالب :

فإذا استطردنا فى قراءة الكتاب قابَلَنَا دير آخر هو **دير الثعالب** ويقول عنه الشابوشتى : إنه لا يخلو من أهل البطالات ، والتطرب ، واللذات ، فمواطنه أبداً معمورة ، وبقاعه بالمتنزهين مشحونة ، ويروى الشابوشتى كثيرا من الأشعار التى قيلت فيه ومنها نقتبس نموذجا قصيراً هو

دير الثعالب مألف الضلاّل **ومحلُّ كلِّ غزالة وغزال**
كم ليلة أحييتُها ومُنادمى فيها أبحُّ مُقطع الأوصال
سمحٌ يجود بروحه فإذا اقضى ومضى سمحت له وجدت بمالى
ومنعمٌ دينُ ابن مريم دينُه غَنِجٌ يشوب مُجُونَه بدلال(٢)

دير العذارى :

ولننتقل الى دير يحمل قصة خطيرة هو « دير العذارى » ويقول عنه الشابوشتى انه سُمِّى بدير العذارى إذ أُقيم لبعض الجوارى المتبتلات العذارى فكنَّ سكانه وقطَّانه ، فَسُمِّى الدير بهن ، ويروى

(١) ص ٣ و ٤ .
(٢) ص ٢٤ ، ٢٥ .

الشابوشتى عن الجاحظ أنه قال : حدثنى ابن فرج الثعلبى أن قوماً من بنى ثعلب أرادوا قطع الطريق على مال السلطان ، ولكن السلطان عرف ذلك فأتبعهم برجاله فاختفوا فى دير العذارى ، فلما أمنوا خلا كلٌ واحد منهم بجارية كان يظنها عذراء ولكنهم جميعاً تبينوا **أن القسّ الذى كان موكلا بحماية الدير قد اعتدى عليهن جميعا . وقد قيل فى ذلك قصائد وأشعار طويلة منها ما قيل عن هذا الراهب وعن أفعاله :**

إذا ما مشى غضّ من طرفه ... وفى الدير فى الليل منه عرام(١)

دير مرمار :

وهناك دير آخر هو « **دير مرمار** » فى « سُر من رأى » ويقول عنه الشابوشتى إنه من مواضع النزهة ، ويروى عنه قول الشاعر :

أمضيتُ فى « سُرَّ مَنْ رَىَ » خير لذّاتى
ونلتُ فيها مُنَى نفسى وشهواتى

عمّرتُ فيها بقاع اللهو منغمساً ... فى القصف ما بين أنهارٍ وجنات
بدير مرمار إذ نحيى الصبوح به ... ونعمل الكأس منه بالعشيات
بين النواقيس والتقديس آونةً ... وتارةً بين عيدان ونايات
وكم به من غزال أغيد غزلٍ ... يصيدنا باللحاظ البابليات(٢)

دير مَرْيَحَنَّا :

ونجىء الآن الى « **دير مَرْيحَنَّا** » الذى يقول فيه الشاعر :

أرى قلبى قد حَنَّا ... إلى دَيْرِ مَرِيَحَنَّا
الى ظبىٍ من الإنس ... يصيد الإنس والجِنَّا
إلى أحسن خلق الله ... إن قدّس أو غنَّا
فلما دارت الكأس ... أدرنا بيننا لحنا
ولما هجع السُّمّار ... نمنا وتعانقنا(٣)

---

(١) ص ١٠٧ وعرام معناها شراشة .
(٢) ص ١٦٣ و ١٦٤ .
(٣) ص ١٧١ و ١٧٢ .

دَيْر ماسرجيس :

وهناك دير كان واسع الشهرة على نهر الفرات هو **«دير ماسرجيس»** **ويفهم مما قيل فيه من أشعار أن الذين يعيشون فيه لم يكونوا من النصارى أو الرهبان ، بل كان يفد للحياة به من لا يعتنق المسيحية ليجلب له الرواد من طلاب اللذة والمتعة ، ويؤخذ هذا من قول الشاعر :**

وغـــزالٍ مكحـــلٍ ذى دلالٍ ساحر الطرف بابلى عروس
دينه مُعلَنٌ لدين النصارى وإذا ما خلا فدين المجوس
قـــد خلونا بظبية نجتليهـــا يوم سبت الى صباح الخميس
بـــين ورد ونرجس وبهـــار وسط بستان دير ماسرجيس(١)

دَيْر قنَّى

وفى العراق كذلك دير يعرف بدير **« قـُنَّى »** أو دير **مارى السليح** أى الرسول ، وفيه يقول الشاعر :

وكم وقفة فى ديرقنى وقفتها أغازل فيه فاتن الطرف أحورا
وكم فتكة لى فيه لم أنس طيبها أمتُّ بها خيراً وأحببت مُنْكَرا(٢)

دَيْر القـُصَيْر :

فإذا جئنا الى أديرة مصر قابلنا **دير القـُصَيْر** • فى أعلى جبل المقطم وكان به من المجون ما بأديرة بغداد ، وفيه يقول الشاعر :

كم لى بدير القصير من قصْفٍ مع كل ذى صبوة وذى طَرْف
لَهَــوْتُ فيه بشادن غَنِجٍ تَقْصُر عنه بدائعُ الوصف(٣)

---

(١) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .
(٢) ص ٢٣٦ .
(٣) ص ٢٨٠ .

دَيْر مار يوحنــــا :

ونقابل فى مصر كذلك « دير مارحنا » ويسمى أيضاً دير مار يوحنا ويقول عنه الشابوشتى إنه من مواضع اللعب ومواطن اللهو والطرب وكان يقع على شاطىء بركة الحَبَش بالقرب من نهر النيل ، وهى الآن تعرف بدار السلام ، وفى الدير والبِرْكة يقول الشاعر :

واقْرَأ على دَيرِ مارْحنّا السلام فقد ... أبدى تذكُّره منى صبــــاباتى
وبركة الْحَبَش اللاتى ببهجتها ... أدركتُ ماشئتُ من لَهْوِى ولذاتى
منازلا كنتُ أغشاها وأطرقهــا ... وكن دَوْماً مواخيرى وحاناتى(١)

تلك هى الأديرة هنا وهناك كما تحدث عنها الشابوشتى وقد وضحت مجلة الحياة المسيحية فى الأعداد التى أشرنا لها آنفا أن الأديرة لا تزال فى العصر الحديث تمارس ما مارسته فى الماضى ، وقد أشارت الصحف حديثا بأقلام مسيحية الى ما يحدث من انحرافات فى الموالد المسيحية ، وكل هذا يدق الناقوس نحو هذا الخطر العظيم .

---

(١) ص ٢٨٩ — ٢٩١ .

حركة الاصلاح الدينى

الحديث عن المذهب البروتستانتى أو عن حركة الاصلاح الدينى يحتاج أن نبدأ بذكر شىء من التفصيل لبيان حالة الكنيسة قبيل هذه الحركة الاصلاحية ، وفيما يلى أهم الأسباب التى دعت الى الثورة والتى أنتجت حركة الاصلاح •

١ ـ سلطة البابا :

وأول ما نبرزه هو السلطة التى حصل عليها البابا ، تلك السلطة التى منحتها له المجامع أو التى منحتها له الظروف وقد رأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ٨٦٩ قرر أن الفصل فى المسائل الدينية من اختصاص كنيسة روما ، وأن المسيحيين جميعاً يخضعون لقرارات رئيس هذه الكنيسة ، ورأينا أن مجمع رومة المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء ، وطبيعى أن من يملك حق الغفران يملك حق الحرمان •

أما السلطة التى منحتها الظروف للبابا فمرجعها الى الانقسام السياسى الذى حصل فى الدولة الرومانية والى الصراع الذى جاء عقب ذلك ، وفى وسط هذا الانقسام وذلك الصراع استقل البابا استقلالا تاماً ولم يعد تابعاً لأىٍّ من الملوك والأمراء ، وقد اعترف الجميع له بالاستقلال تخلصاً من التنافس على السيطرة على الكنيسة ، ومن ثم صار تعيين البابوات بطريق المجامع لا بطريق الأباطرة وهذا أيضاً قوّى سلطان البابا •

وفى الوقت الذى لم يعد البابا تابعاً لأى من الملوك كان الملوك بحكم أنهم مسيحيون تابعين للبابا وخاضعين له تبعا لقرار المجمع آنف الذكر الذى جعل كل المسيحيين ملزمين بطاعة البابا وخاضعين له •

وكان المسيح كما يعتقدون قد أقام بطرس الرسول خليفة له ليرأس الحواريين ويدير شئون المسيحيين ، وقد أنشأ بطرس كنيسة روما، والبابا خليفة لبطرس فى رياسة هذه الكنيسة وفى إدارة شئون المسيحيين، فالبابا على هذا خليفة للمسيح ، له سلطاته ومكانته .

وقد باشر رجال الدين هذه السلطات بكثير من التوسع بل النزق أحياناً ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان حتى على الملوك والعظماء ، وأصبحت الكنيسة بذلك هى التى تفهم الكتاب المقدس ، وهى التى تصدر القرارات بناء على هذا الفهم وبناء على العلم الذى يدوّن والذى يتوارثه البابوات كما سبق . ولا معقب لما تقول الكنيسة ، و « وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول . وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحى اذا لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدأً دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع فعليه أن يشك فى العقل ولا يشك فى قول البابا (١) .

٢ — الاستحالة :

ومن هذه الأشياء التى أعلنتها الكنيسة مسألتان لا أصل لهما فى الأناجيل المعروفة ولا يستسيغهما العقل ، وهاتان المسألتان هما :

١ — الاستحالة .

٢ — غفران الذنوب .

والاستحالة هى اعتقاد المسيحيين أنهم حينما يأكلون الخبز ويشربون الخمر يوم الفصح وهو المسمى عندهم بالعشاء الربانى يستحيل الخبز الى لحم عيسى وتستحيل الخمر الى دمه فمن أكل ذلك الخبز وشرب تلك الخمر فقد أدخل المسيح فى جوفه وامتزج به وبتعاليمه (٢) وقد سبق الحديث عن العشاء الربانى . الأوخارستيا

(١) ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٦٨ .

(٢) متى ٢٦ و ٢٧ لوقا ٢٢ : ١٨ مرقص ١٤ : ٢٢ .

٣ ـــ غفـران الذنوب :

وأما غفران الذنوب فقد أصبح بدعة عجيبة (١) فإذا أراد البابا أن يبنى كنيسة أو يجمع مالا لشىء ما ، طبع صكوك الغفران ووزعها عـلى أتباعه ليبيعوها للناس كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب وبالصك فراغ" تـُرِكَ ليُكتَب به اسم الذى سيُغْفَر" ذنبه ، والعجيب أن هذا الصك يغفر لمشتريه ماتقدم من الذنوب وما تأخر ، فهو بعبارة أخرى إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضـُمِـنَت° الجنة لهذا المحظوظ، وفيما يلى نص لصك غفـــران :

« **ربنا يســوع المسـيح يرحمك يا ٠٠٠٠٠ (يكتب اسـم الذى سَيُغْفَر له) ويُحـلـّك باسـتحقاقات آلامه الـكلية القدسـية ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أُحـِلـّك من جميع القصاصـات والأحكام والطائلات الكنيسية** التى استوحيتَـها ، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتَـها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقذر الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتَـها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى تلتزم بمـكابدتها فى المطهـر وأردك حديثاً الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يـُغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطــاة إلى محل العــذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الروح • وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الأب والابن وروح القدس » •

---

(١) انظر ارتباط هذه البدعة بالحروب الصـليبية فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، للمؤلف .

ذلك هو الوضع الذى آلت له حينذاك مسألة غفران الذنوب ، لقد كان جمع المال فى أول الأمر وسيلة للإعفاء من الاشتراك فى الحروب الصليبية ، ثم أصبح وسيلة لغفران ما مضى منها وما هو آت ، دون حاجة إلى توبة أو ردّ ظلامة .

ولم تقف قضية غفران الذنوب عند هذه الصكوك ، بل سرعان ما دخلها عنصر جديد فاضح . ذلك ما يسمى « الاعتراف » فكان على المذنب أن يعترف بذنبه فى خلوة مع قسيسه ، ليستطيع هذا القسيس أن يغفر له ذنبه ، وفى خلوات الاعتراف حدثت أشياء يقشعر لها الوجدان ، ولست أجدنى فى حل من ذكر هذه الفضائح فى هذا الكتاب ، وإنما أشير إليها إشارة سريعة لعل قرارا حاسما يصدر بإيقاف هذا الزيغ الذى يرتكب باسم الدين ، وقد نشرت المجلة المسيحية « رسالة الحياة » صورا من ذلك يندى لها الجبين ، وذكرت أحداثا محددة اعتدى فيها رجال الدين أو حاولوا العدوان على المعترفات (١) .

والأرثوذكس ينتقدون صكوك الغفران بقسوة ، ويبرزون ما فى قضية التطهير من انحراف (٢) .

٤ ـ الضرائب :

دفع المسيحيون الأموال ليشتروا الغفران ، ولكن الكنيسة لم تقنع بما جمعت من مال ، فقد أرادت أحيانا أن تأخذ مالا مرة أخرى ممن سبق أن اشترى صك الغفران ، أو ممن لم يقنع بهذه البدعة وضنّ بالمال على هذا الصك ، وعمدت الكنيسة لذلك إلى فرض ضرائب على أتباعها كانت باهظة أحيانا ، وكانت تشمل الفقير والغنى .

---

(١) رسالة الحياة : السنة الاولى — العدد الثانى عشر ص ٦ ، والسنة الثانية — العدد الثانى ص ٢٥ .

(٢) دلوار شنوده المنفلوطى : المطهر تحت المجهر ص ٣٠ وما بعدها .

٥ ـ الهرطقة ومحاربتها :

على أن أهم ما اشتهر به العهد الذى سبق حركة الإصلاح هو محاربة ما سُمِّى بالهرطقة ، والحديث عن هذا الموضوع يحتاجنا أن نوضِّح :

١ ـ ما الهـرطقة ؟

٢ ـ كيف حوربت ؟

والإجابة عن السؤال الأول سـهلة يسـيرة ، فالهرطقة ـ كما فهمتها الكنيسة إذ ذاك ـ هى مخالفة رأى الكنيسة ، فرأى يراه عالم فى العلوم الكونية هرطقة ، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسى هرطقة ، وانتقاد شىء يتصل بالكنيسة هرطقة ، ومساعدة واحد من هؤلاء أو الرِّضا على اتجاهه هرطقة ، على أن رؤساء الكنيسة طالما رمى بعضهم بعضـا بالهرطقة خدمة لمطامعهم الخاصة •

وأما كيف حاربت الكنيسةُ الهرطقةَ فيتضح ذلك من قرار المجمع الذى عقد فى سنة ١٢١٥ إذ تقرر فيه استئصال الهراطقة ، وقـد نفذت الكنيسة هـذا القرار أو هذا الاستئصال بكل قسوة ونشاط ، فاستعملت القتل والحرق ومحاكم التفتيش ، فأُحْرِق يوحنـا هوس وجيروم ، وأحرقت كتب ابيلارد وسـجن حتى الوفاة ، وأوقعت محاكم التفتيش بالهراطقة والابرياء دون تمييز ، فقد كان الإيقاع بالناس دليل إخلاص إلى الكنيسة ، وقد سبق الحديث عن هذه الاضطهادات •

عهـد النـور

وأطل عهد النور على العالم ولكن الكنيسة لم تحِسّ به ، فقبـل ذلك ببضعة قرون كان هناك دين آخر قد ظهر ، ذلك هو الدين الإسلامى ، وذلك الدين لم يحارب العلوم بل غذّاها وحث عليها ، وفى ظل هـذا

الدين استيقظت فلسفة الإغريق بعد سبات طويل ، واستيقظ الطب والفلك وعلوم الرياضة ، وقام العلماء المسلمون فى هذه العلوم وفى سواها بنشاط كبير ، ورعا الخلفاء والكبراء هؤلاء العلماء وبنوا لهم المعاهد الشهيرة ، ومن أهمها بيت الحكمة حيث كان الخليفة المأمون يعطى المترجمين وزن ما يترجمونه من الذهب الخالص •

ووجدت هذه العلوم طريقها إلى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية وفلسطين ، والتحق كثير من المسيحيين بمعاهد قرطبة وإشبيلية وقبرص ، وبدأت اليقظة تدب فى أوروبا نتيجة لذلك ونتيجة لسواه وهو ما يسمى عصر النهضة «The Renaisance» وحينئذ وجدت الكنيسة أن الهرطقة (!!) كثرت وانتشرت ، فضاعفت جهدها فى الكفاح غير أن عهد النور كان قد قوى ، وقد استطاعت الكنيسة أن تحصل على سلطات ضخمة وأن تحافظ عليها وأن تقضى على كل خصومها فى عهد الظلام • أما وقد بدأ عهد النور فلم يعد من السهل على الكنيسة أن تستمر فى هذا الطريق ، ولكنها قاومت وناضلت ، وقاوم معارضوها وناضلوا أيضا ، وأخذوا من عهد النور قوة فلم يفنوا كما فنى أمثالهم من قبل ، ومن هنا بدأ صراع عنيف بين الكنيسة وبين المصلحين سنلم به إلماماً سريعاً :

المصلحون :

بدأ المصلحون يرتفع صوتهم فى القرن الخامس عشر ، **ومن أشهر من قادوا الإصلاح فى هذا القرن جيروم وهوس ، ولكن سلطان الكنيسة كان أقوى منهما ، فأعدما حرقاً بالنار** ، بيد أن مصلحى هذا القرن على كل حال مهدوا الطريق لمن جاء بعدهم ، وحفل القرن السادس عشر بمجموعة من المصلحين المشاهير ، وبخاصة فى إنجلترا التى كانت ترى سلطان الكنيسة تدخلا فى شئونها ، وفى ألمانيا التى عانى بعض ملوكها قسوة البابوات حينما أصدروا ضدهم قرارات حرمان • ومن هنا يسر هؤلاء الملوك لرعاياهم القيام بحركات مناوئة للكنيسة ، **وظهر فى انجلترا**

توماس مور (١٤٧٨ — ١٥٣٥) ودعا إلى إصلاح الكنيسة بطريق سلمى ، ثم ظهر بعد ذلك (فى نفس القرن) أشهر المصلحين وهو **مارتن لوثر**، وكان ظهوره فى ألمانيا موطن العقل الكبير والتفكير الحر ، وكان لوثر عالماً باللاهوت ولذلك نجد أنه تجمع له ما لم يتجمع لسواه ، فحركته نابعة من قلبه وليست بتوجيه ملك أو إيعاز أمير وهو رجل ألمانى مستقل العقل حر التفكير ، ثم هو من رجال اللاهوت ، فهو عليم بخبايا الكنيسة ، دارس لعلومها .

وكان لوثر — بالإضافة إلى دراسته للاهوت — شديد الورع يحصى على نفسه سيئاتها ويبالغ فى تقديرها ، وتضطرب نفسه خوفا منها ، وحج إلى روما رجاء أن يزيده قربه من الأماكن المقدسة صلاحا ويبعده عن السيئات ، ولكنه هناك وجد ما أزعجه ، فإن هذه الذنوب التى أثقلته يستطيع الكاهن أن يعفيه منها بصك يشتريه ، يالله ! كيف هذا ؟ كيف ينجو القاتل من العذاب بصك يشتريه ؟ وكيف تمحى سيئات السارق وقاطع الطريق وآكل حقوق الناس إذا أراد الكاهن ذلك دون نظر إلى المعتدى عليهم ودون نظر إلى الله خالق الكون ، ورأى لوثر كذلك فى روما ما قلل مكانة رجال الدين عنده ، وعاد الى ألمانيا فلاحقته صكوك الغفران إذ كان البابا « ليو » يريد أن يعيد بناء كنيسة بطرس واحتاج للمال فقرر أن يحصل عليه من بيع هذه الصكوك ، فأرسل أحد حامليها فيمن أرسل إلى ألمانيا ، فثار لوثر لذلك وكتب احتجاجاً علقه على باب الكنيسة . فطلبته الكنيسة لمحاكمته أمام محاكم التفتيش فلم يذعن فأصدرت قراراً بحرمانه ، وتبعا لذلك أصدر الإمبراطور قراراً بحرمانه من الحقوق القانونية والمدنية ومعنى ذلك أنه أصبح مباح الدم فقد كل ما يملك ، ولكن أحد الأمراء حماه .

وصادفت دعوة لوثر فى القرن السادس عشر نجاحاً ، واعتنقها كثير من المصلحين الذين ساروا فى طريق لوثر فأنكروا حق الغفران ، والاستحالة، وَوَقْف فَهْمِ الكتاب المقدس على الكنيسة ، وما شابه ذلك.

نتائج الحــركة الاصلاحية :

بقيت الكنيسة فى واد ودعوة الإصلاح فى واد آخــر ، وعجــزت الكنيسة عن القضاء على هذه الحركات ، ولكن هذه الحركات أيضا عجزت عن تحويل تفكير الكنيسة ، وكانت نتيجة ذلك أن أنشأت الحركة الجديدة كنائس لأتباعها ، سميت الكنائس البروتستانتية •

مبادىء الكنيسة البروتستانتية :

أهم مبادىء هذه الكنيسة هى :

١ ــ جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية ، وردٌ كلِّ الأحكام التى لم ترد فيه كتلك التى تستند الى رأى البابوات أو الى العلم الخاص الذى قيل إنهم يتوارثونه الواحد عن الآخر •

٢ ــ من حق كل مسيحى قادر أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره •

٣ ــ ليس لكنــائس البروتستانتية رياســة عامــة ، فلكل كنيسة رياستها ، وعملُ الرياسةِ هو الإرشاد وتوجيه من لا يستطيع أن يستقل وحده بفهم الكتاب المقدس •

٤ ــ ليس للكنيسة حقٌ غفران السيئات •

٥ ــ ترجمة الكتاب المقدس للغات المختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها •

٦ ــ لا علاقة للعشاء الربانى بجسم المسيح ودمه وليس هــو إلا للذكــرى •

٧ ــ عدم الاعتراف بضرورة الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الدين •

٨ ــ عدم اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس وعدم السجود لهــا فذلك للوثنيــة أقرب •

نقـد الحـركة الاصـلاحية :

هل نجحت حركة الإصلاح هذه أو فشلت ؟

يرى كثير من الباحثين أن الحركة نجحت وأن من دلائل نجاحها بقاءها وكثرة أتباعها وانتشارها فى عدة أقطار •

وقد قامت حركات إصلاحية من قبل كحركة أريوس ونسطور وغيرهما ولكنها فشلت واندثرت ، ولم يبق لها إلا ظلال قليلة إن كانت لها ظلال فى ثنايا التاريخ أو تفكير الأذكياء الموهوبين الشجعان •

أما حركة لوثر فقد ساعدها الزمن الذى كان قد تطور ، والحرية التى كانت قد بدأت تنتعش ، ثم ساعد بعد ذلك على انتشارها أنها صادفت اكتشاف أمريكا فدخلت إلى هذه البلاد مع أتباعها من الإنجليز وغيرهم ، وهناك قوى عودها واستقرت ، فاتخذت لها فى الدنيا الجديدة كما اتخذت فى الدنيا القديمة مراكز قوية •

ولكن إذا ذهبنا نتعمق فى فهم هـذه الحركة الإصلاحية نجد أنها فشلت من ناحيتين :

أولا : **لم تستطيع تقويم الكنائس التى كانت قائمة** ، ولم تفلح فى التغلب على البابا وأفكاره وأتباعه ، فقنعت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها المبادىء الإصلاحية التى اعتنقتها ، وتركت آلاف الكنائس الأخرى تسير على النحو الذى كانت تسير عليه من قبل •

ثانياً : **كانت الحركة إصلاحاً للكنيسة لا إصلاحاً للمسيحية** ، والفرق بين الموضوعين كبير ، ومعنى هذا أن ما أثار لوثر ومعاصريه هو أفعال الكنيسة فى ذلك العهد ، أما البحث فى الأشياء الهامة التى دخلت على المسيحية الأصيلة فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه ، لقد

تلقى لوثر ومعاصروه المسيحية من الأجيال السابقة ، واعتنقوها تقريبا كما هى ، ولم يثوروا إلا على ما ابتدعته الكنيسة فى عهدها الأخير ، كغفران السيئات ، الاستحالة ، وحق تفسير الكتاب المقدس ، والتشريعات غير المكتوبة التى يتوارثها البابوات .. ؟

وعلى هذا بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق لها الإصلاح وذلك مثل :

١ — التثليث .

٢ — صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر .

٣ — ما الكتاب المقدس ؟ ومن هم مؤلفوه ؟ وما الصلة بين الأناجيل ومؤلفيها ؟ وأين إنجيل عيسى ؟

٤ — مدى سلطة المجامع فى اتخاذ قرارات تتعلق بأسس الدين

وبهذا كان نجاح الحركة الإصلاحية — فيما أعتقد — محدوداً ومحدوداً للغاية .

بقى أن نقول أن الكاثوليك يقولون إن « لوثر من أصحاب البدع والأضاليل (١) وأنه هو وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان (٢) » .

---

(١) دكتور الخورى جرجس فرح : شرح رسالة القديس بولس الى اهل رومية ص ١٠ — ١١ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٧ .

المسيحية فى ضوء النقد العلمى

هل يجوز لى أن أنقد رسالة المسيح وأنا أومن به وبرسالته ؟

صحيح أن الأديان تعرضت لنقد شنه الفلاسفة والمفكرون الأحرار (Free Thinkers) الذين لا يتبعون ديناً معيناً ، ويعطون أنفسهم الحرية الكاملة فى نقد أى دين كما ينقدون أية فكرة وأى اتجـاه ، ولـكن هل يستطيع اتباع الأديان أن يفعلوا ما فعله المفكرون الأحرار ؟

لقد حدث فى الإسلام حدث ذو بال فيما يتعلق بالتفكير الحر ، ذلك أن المسلمين قبلوا تحدى هـؤلاء المفكرين الأحـرار ، وراح المسلمون يناقشون معهم قواعد الإسـلام فى ضوء النقد العلمى والتفكير الحـر ، وراح هؤلاء المسلمون وبخاصة طائفة المعتزلة يشرحون للناس اتفـاق الدين الإسلامى مع العقل ، كما ذهبوا يستخدمون العقل والبراهين المنطقية فى الدفاع عن الإسلام وشرح أسسه واتجاهاته ، وكان علماء الإسـلام أول المتدينين الذين أجازوا أن يتدخل العقل فى فهم الأديان وأهدافها ، وانتهت طائفة المعتزلة ، ولكن اتجاهها هذا ظل حياً قوياً ، ولا شـك أن اتجاه المعتزلة وغيرهم من المفكرين المسلمين كان صدى للتفكير الإسلامى نفسه فالقرآن الكريم مملوء بالآيات التى تحـث على استعمال العقـل وتدبر الأمـور .

وفى ضوء هذا الاتجاه ننقد المسيحية نقداً علمياً هادئاً قوامه الإنصاف والبحث عن الحق ولا شىء غير ذلك .

على أننا فى الحقيقة نستطيع أن ننقـد المسيحية دون هـذا التردد والحذر ، فقد اتضح لنا من الدراسة السـابقة أن المسيحية التى تعلمها الكنيسة ، أى مسيحية اليوم . مسيحية الأناجيل المعترف بها من الكنيسة ، هذه المسيحية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، ان هذه الديانة هى من

وضع بولس وليست الوحى الذى نزل من الله إلى المسيح ، ومن ثم ليس هناك أدنى حرج فى نقدها وإخضاعها لمقياس الفكر حتى عند المحافظين الذين يرون أن الواجب أن نَخْضع للأديان السماوية دون أن نقيسها بمقياس العقل •

وهناك سبب آخر هام يبيح نقد المسيحية ، ذلك أن المسيحية جاءت لبنى إسرائيل لتصحح أوضاعا شاذة عندهم ، فقد تكالب اليهود مثلا على المال وحاولوا جمعه بمختلف الطرق ، فجاءت المسيحية تدعو للزهد لتكسر حدة هذا الجشع • وكان التحدى والانتقام طابع العلاقة بين طوائف اليهود (الكهنة والفريسيين والقراء وغيرهم) فجاءت المسيحية تقول بالتسامح • ولو بقيت المسيحية على وضعها هذا ، أى لو بقيت دينا لبنى إسرائيل يدعوهم للزهد ليكسر حدة جشعهم ، ويدعوهم للتسامح ليكسر حدة التحدى عندهم لكان ذلك جميلا ، لأنها ديانة جاءت فى ظروف خاصة ولجماعة خاصة فتلونت بلون خاص ، ولكن بولس نقلها إلى العالمية وبقيت فى أناجيلها تعاليم الزهد والتسامح فلم يستقم أمرها واضطربت وتعثرت ، فلم يكن من الممكن أن تعيش هذه التعاليم ، لم يكن من الممكن أن يعيش الزهد ومحاربة المال فى الأحوال الاقتصادية المادية ، ولا كان من الممكن أن يظل العالم يقدم الخد الأيسر للمعتدى ليصفعه كما صفع الأيمن ومن أجل هذا انفض أتباع المسيحية عنها وإن بقى الكثيرون منهم يحملون اسمها • ؟

وفى ضوء هذا التقديم نبدأ بنقد المسيحية نقداً علمياً هادئاً ، وقد سبق لنا أن نقدناها خطوة خطوة فقد كان من الضرورى عندما تكلمنا عن ألوهية المسيح أو الكتاب المقدس مثلا أن نستمر فنبدى الرأى فى هذا القول ، ولكننا هنا نريد أن ننقد المسيحية جملة ، وهو ما نأخذ فى إيرادة فنسأل السؤالين التاليين :

١ — ما الأسس الأصلية للديانة المسيحية ؟

٢ — إلى أين انتهت هذه الديانة ؟

وللاجابة على السؤال الأول نقـرر أن الأناجيل تـكاد تكون فكرة مكررة عن التسامح والحب وعدم الميل للشر حتى فى دفع الشر ، وعـن الصلة المباشرة بين الله والناس ، ولسنا نستطيع أن نعطى هنا نماذج لما فى المسيحية من تسامح وحب لكثرة ما نعطى وكثرة ما ندع ، وحسبنا أن نقول إن الإنجيل كله حث على هذه الأخلاق ، فليفتح القارىء أى صفحة منه فإنه سيجد هذا الاتجـاه لا محالة ، وعن الصـلة المباشرة بين الله والناس يقول الاستاذ فريد وجدى : « إن النقد الدينى للديانة العيسوية يقول إن عيسى لم يجىء إلى الناس بأصـل جديد من أصـول الدين ، ولا بأمر من الأمور العبادية لم يكن معروفاً من قبل ، ولكنه امتاز بأمـر واحد لم يوضحه رسول قبله مثل تجليته إياه وهو إعلان القرابة القريبة بين الله وعباده ، فجعل اللهَ أباً لخلقه رحيما بهـم ، وهـدم الحواجز بين الله والناس (١) » .

ويقول الكاتب المسيحى Alffred E. (٢) : وتعاليم المسيح تجمعهـا الأسس التاليـة :

١ ــ قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة ...

٢ ــ الله هو أبو البشر وهو الأمل الذى تهفو نحـوه أرواح البشر جميعـاً .

٣ ــ الكمال التام والحب الشامل .

تلك هى الديانة المسيحية لا أكثر ولا أقل ، أما سوى تلك من أسس دينية فقد اعتمدت الديانة المسيحية فيها على التوراة ، وقد صرح عيسى بقوله إنه جاء ليتم التوراة لا ليبدأ دينـاً « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل (٣) » .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين جـ٦ ص ٧٨٨ .

(٢) Encyclopaedia of Religions and Ethics Vol. 3 p. 583.

(٣) متى ٥ : ١٧ .

وهنا نجيء إلى السؤال الثانى وهو إلى أين انتهت هذه الديانة ؟ فتقابلنا فى الإجابة عنه حقيقة عجيبة هى أن الإنجيل أصبح منذ زمن طويل جسما لا روح فيه وأن المسيحيين وفى مقدمتهم رجال الكنيسة أنفسهم كانوا أول من أهمل تعاليمه . **فقد عاد القسس إلى ما كان عليه الكهنة اليهود من وضع انفسهم بين الله وبين الناس ، فالتعميد والزواج والموت لابد فيها من حضور ممثل الكنيسة** (١) . ويقول عبد الأحد داود إنه من تعاليم الكنيسة أنه مهما تكن أعمال المرء سليمة وتبدو مقبولة ، ومهما يكن الإيمان والصلاح مسلماً بهما عند الناس فكل المزايا والفضائل ستبقى بدون ثمرة ما لم تتدخل قدسية القسيس بين المرء وربه ، وما لم تبارك يد القسيس هذه الأعمال (٢) ، أما الحب والتسامح فقد حل محلهما البغض والانتقام بل الغيظ والعدوان ، وحسبنا ما ذكرناه من قبل عن اضطهاد المسيحيين بعضهم لبعض واضطهادهم لسواهم من غير المسيحيين ، ومعنى ذلك أن أثر التعاليم المسيحية كان محدوداً فى نفوس المسيحيين أو كان معدوماً .

وكان التفكير الإسلامى فى مسألتى الحب والتسامح عمليا ، فقد أوصى الإسلام تابعية بالحب والتسامح ، وتكررت فى القرآن آيات الحب وآيات التسامح (٣) ، ولكن الإسلام لم يكتف بذلك بل فرض العدالة ، ووضع النظم ، فإذا عجز البشر عن اتباع الحب كان عليهم أن يخضعوا للنظم والقوانين العادلة التى فرضها الإسلام ، ولكن المسيحية تركتهم للحب فقط ، فإذا عجزت النفس الإنسانية عن التخلق به — وكثيراً ما يحدث — لم تكن هناك قوانين تحد من طغيانها .

الايمان بدون تفكير :

ولا يوافق النقاد على عقيدة المسيحية التى ترى أن الإيمان هنحة

---

(١) Pengadjaran Geredja Katolik H. 147-148.

(٢) الانجيل والصليب ص ١٢٦ .

(٣) اقرأ المجتمع الاسلامى ص ٨٩ .

لا دخل للعقل فيها ، وأن علـى المسيحى أن يؤمن بالعقـائد المسيحية ، ثم يروض عقله على فهمها • **وقد عبر عن ذلك القديس أنسليم بقـوله « يجب أن تعتقد أولا ما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت »** ويعلق استاذنا الإمـام محمد عبده على ذلك بقـوله : والويل كل الويل لطالب إذا اداه اجتهـاده إلى شىء يخالف ما تعلق به إيمانه (١) •

سلطة واسعة للرؤساء الروحانيين :

وتعطى المسيحية للرؤسـاء الروحانين سلطة شبه سلطة الآلهـة ، وتجعل قولهم يلزم أن يتبعه الناس ، ويلزم أن يتبعه الله (!!!) فقد ورد فى متى (٢) مانصه : الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء •

ويعلق الإمام محمد عبده على هذا بقوله : فإذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص إنه ليس بمسيحى صار كذلك ، وإذا قال انه مسيحى فاز بها • فليس المعتقد حرا فى اعتقاده ، يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله ، بل إنه مشدود بشفتى رئيسه الدينى (٣) •

موضوع تفكك الأسرة :

ويرى النقاد كذلك أن مسيحية « العهد الجـديد » تفكك الأسرة ، فقد نقل لوقا قول المسيح • إن كل أحـد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته لا يقدر أن يكون لى تلميذاً (٤) • ونقل متى عن المسيح قوله : لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ،

---

(١) الاسلام والنصرانية ص ٢٩ •
(٢) الاصحاح ١٨ الفقرة ١٨ •
(٣) الاسلام والنصرانية ص ٢٧ •
(٤) لوقا ١٤ : ٣٦ •

ما جئت لألقى سلاما بل سيفا ، فإنى جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنّة ضد حماتها ، أعداء الإنسان أهل بيته (١) .

محاربة العمران والمال :

ويرى النقاد أن تعاليم المسيحية كما صورها « العهد الجديد » تحارب العمران لأنها تكره المال وتحاربه ، وقد جاء فى متى ولوقا ومرقص قصة الشاب الذى أراد أن يتعلم من عيسى فقال له عيسى : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزن ، لا تشهد الزور .. فقال الشاب : حفظت هذا كله وعملت به . قال عيسى : بع أملاكك وأعط ثمنها للفقراء وتعال اتبعنى . فلم يقبل الشاب . فقال عيسى : يعسر أن يدخل غنىّ ملكوت الله ... ولدخول الجمل فى ثقب إبرة أيسر من دخول الأغنياء ملكوت الله (٢) .

ولو ترك الناس أموالهم وأوقفوا استثمارها فماذا تكون النتيجة غير خراب العالم وانتهاء العمران ؟ .

محاربة الأبدان :

وكما تحارب هذه المسيحية العمران فإنها تحارب الأبدان ، وقد جاء فى متى قول عيسى : لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : **لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون** (٣) .

الحث على الرضا بالضَّيْم :

ويرى النقاد أن تلك المسيحية تحث على الرضا بالظلم والخضوع

---

(١) متى ١٠ : ٣٤ — ٣٨ .
(٢) متى ١٩ : ١٨ — ٢٣ ومرقص ١٠ :١٧ — ٢٠ ولوقا : ١٨ — ٢٠
(٣) متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ .

له ، وقد ورد فى لوقا قول المسيح : من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ، ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه به (١) • وقد جاء فى متى عند وصف القبض على المسيح أن أحد أتباع المسيح أخرج سيفه وحاول أن يدافع عن المسيح « فقال له يسوع : ردّ سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون »(٢)•

لا علم ولا مدنية ولا إصلاح :

ويرى النقاد حقيقة يدركها كل من يطالع الأناجيل ، تلك الحقيقة أن هذه الأناجيل تخلو خلواً تاما من أية أثارة من علم أو إصلاح أو مدنية ، وحسبك أن تقرأ الأناجيل وأن تعيد قراءتها ، فلن تجد فيها ما يبنى مجتمعا ، أو يحث على علم ، أو يقود إلى إصلاح أو مدنية • قد يقال إن الغرب المسيحى نهض وحقق فى سبيل التقدم والمدنية خطوات واسعة ، وهذا صحيح ، ولكن ربط التقدم بالمسيحية شىء لم يقل به أحدٌ قط « فمدنية الغرب مدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد ، وما وصل الأوربيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أن نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً ، ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحى لنشأت عنه بقرب نشأته ، ولكنها لم تظهر إلا بعد بضعة قرون من ظهوره » (٣) •

الجهالةُ أمّ التقوى :

ويرتبط بهذا المبدأ ما عرف عن المسيحية من أنها تحارب الفكر وتقرر قاعدة هامة هى : « الجهالة أمّ التقوى » فمنعت الكنيسة — إبان نفوذها — أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح

---

(١) لوقا ٦ : ٢٨ — ٢٩ •
(٢) مرقص ١٠ : ١٧ وما بعدها •
(٣) السيد محمد رشيد رضا : شبهات النصارى وحجج الاسلام ص ٧ •

وتقرير الإيمان على وجه ظاهر ، وبقى غير القسيسين فى جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . وقد رأينا من قبل أحكام الكنيسة ضد كثير من المفكرين بالتجريد والحرمان والنفى . **وقد عارضت الكنيسة القول بكروية الأرض وعارضت رحلة كريستوف كولمب للكشف عن الدنيا الجديدة ، وعارضت الحقن تحت الجلد وعارضت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها .... وكل ذلك وسواه لسبب واحد هو أن هذه الأشياء لم ترد فى الكتاب المقدس وليس لأحد أن يقترح شيئاً لم يرد فى هذا الكتاب . فهذا الكتاب عندهم كل العلم وكل المعرفة ، ومرة أخرى لم تنهض أوربا نهضتها العلمية إلا بعد أن تحررت السلطة المدنية من سلطات الكنيسة .**

تعطيل العلاقة الجنسية :

ومسيحية « العهد الجديد » تقضى بفناء الجنس البشرى ، فمتى يروى عن عيسى قوله : يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل (١) .

ويزيد بولس هذا الموضوع شرحاً فيقول : حَسَنٌ للرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها . وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق فى النار بسبب الزنا (٢) .

وقد كتب الدكتور على عبد الواحد وافى موضوعا طريفاً عن « موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة » فى مجلة الأزهر ونحن نقتبس منه بعض ما كتبه عن موقف المسيحية من العزوبة (٣) ، قال : ويعلق

---

(١) متى ١٩ : ٢٢ .
(٢) كورنتوس الاولى ٧ : ١ — ٣ و ٨ — ٩ .
(٣) عدد يوليو سنة ١٩٥٩ ص ٣٢ — ٣٣ .

ترتوليان Tertullien على ما كتبه بولس بقوله : الزواج لمن لم يقو على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم . لكن الخير أن يتقى الإنسان الأمرين معاً . فلا يتزوج ولا يعرض نفسه لعذاب النار ، وإن قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويذلل له السبل الى منزلة الإشراق ، ويتيح له أن يأتى بالمعجزات ، فجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء ، والقديس يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والرسول بولس وجميع إخوانه الحواريين الذين سجلت أسماؤهم فى سفر الخلود . آثروا التبتل وحثوا الناس عليه ، وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى أن تعبر البحر هى وجميع من كان يسرن خلفها من النساء ، فانشق لهن فيه طريق سهل، وانتهين إلى الساحل الآخر سالمات ، والقديسة البتول تكلا قد ألقى بها الكفار إلى الأسد الجائعة فوجمت الأسد أمامها وخرت جاثية تحت قدميها ، وقد فتح السيد المسيح للخصيان أبواب السماء ، لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء ، ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طاهراً حصوراً ولتكاثر النوع الإنسانى بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ، ولعمرت الجنة بفصيلة من الطاهرين الخالدين .

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقائق على أنها من الأمور المسلمة فى الدين بالضرورة ، أى التى لا يجوز إنكارها ولا الشك فيها ، حتى أن مجمع مديو لاننس Mediolanense المسيحى قد حكم فى أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب جوفينيان بالطرد من الكنيسة لأنه عارض المبدأ المسيحى الذى يقرر أن التبتل خير من الزواج ، وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك إلى الزواج على أنه مجرد ضرورة لبقاء النوع الإنسانى ولصيانة الفرد من الفاحشة ، ومن ثم لا ينبغى فى نظرهم للمسيحى أن يطلق لنفسه العنان فى إشباع شهواته بل ينبغى أن يقيد من ذلك بقصد واعتدال وفى الحدود التى تحقق الذرية والنسل ، فيكون شأنه شأن الزارع الذى إذا بذر البذرة انتظر الحصاد بدون أن يلقى فى الأرض بذوراً أخرى .

وقد ذهبت فرقة المارسيونين Marsionies وهى مسيحية إعتنقت مذهب مارسيون (القرن الثانى الميلادى) إلى ما هو أبعد من ذلك فحرمت الزواج تحريما باتا على جميع أفراد نحلتها كما فعلت فرقة الحسديين من اليهود وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن صاحبه ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده •

ومع أن الفرق المسيحية الباقية الى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب فإن نظرة المسيحية إلى التبتل على أنه الحالة المثلى ، وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، قد أدت بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين فى المذهب الكاثوليكى ، فمنذ العصور المسيحية الأولى كان يحظر على القسيس أن يتزوج إمرأة متوفى عنها زوجها ، كما كان يحظر عليه أن يتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجته •

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى أصدر مجمع الفيرا Elvira فى أسبانيا قراراً بتحريم الزواج وبالابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة ، وفى أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجورى السابع أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان ، كبارهم وصغارهم « حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسى » ومع أن هذا القرار قد لاقى فى مبدأ الأمر معارضة شديدة ، فى كثير من المناطق المسيحية فإنه لم يكد ينتهى القرن الثالث عشر الميلادى حتى كان نظاماً مقرراً فى الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة ، والرهبان من الرجال ، والراهبات من النساء •

الدعوة للرهبنة :

ومسيحية « العهد الجديد » تدفع للرهبنة ، والرهبنة هى الزهد فى متع الحياة الدنيا ، والبعد عن نعيمها واعتزال حياة المادة وقطع الصلة بين

ويروى متى أيضاً عن عيسى وأتباعه ما يلى : ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثياً له وقال : يا سيد ارحم ابنى فإنه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً فى النار وكثيراً فى الماء ، وأحضرته الى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه . فأجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوى ، الى متى أكون معكم ؟ الى متى أحتملكم ؟ قدموه الىّ هنا . فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام فى تلك الساعة . ثم تقدم التلاميذ الى يسوع على انفراد وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم .

فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شىء غير ممكن لديكم (١) .

ويقول بولس : بالإيمان قهر أناس ممالك ، وسدوا أفواه أسود وأطفأوا قوة النار ، ونجوا من حد السيف (٢) .

المسيح انسان شرقى والمسيحية الحالية فكر غربى :

ويرى النقاد أن مسيحية روما دين غربى كما أشرنا من قبل ، وأن المسيح رجل شرقى ، ولد فى الشرق ، ونشأ فيه ، وبعث به ، وظل بالشرق حتى نهايته على الأرض ، ولكن الغرب تلقى هذه الديانة وطبعها بطابعه ، وهذه حقيقة آمن بها المبشرون المسيحيون أنفسهم واعترف بها الكتاب المسيحيون ، يقول روبير ديشان (٣) إن المبشرين المسيحيين فى إفريقية كانوا يعتقدون أن المدنية الغربية والدين المسيحى وحدة" لا تتجزأ ، ولذلك أطلقوا عليهما تسمية مفردة هى « المدنية المسيحية » . وقدمت روما والفاتيكان هذا الدين الغربى الى الشرق مرة أخرى . ووصلت به أقصى

---

(١) متى ١٧ : ١٤ — ٢٠ .
(٢) عبرانين ١١ : ٢٣ : ٢٤ .
(٣) الديانات فى افريقية السوداء ص ١٧٢ .

بلاد الشرق فاقتحمت به تايلاند وفيتنام والفليبين والملايو واندونيسيا ، ولكن العقل الشرقى لم يستطع أبداً أن يهضم هـذه الديانة الغربية ، ولذلك تعثَّر هذا الدين فى تلك البقاع وعجزت روما عجزاً تاماً — على الرغم من النفقات الباهظة التى تسهم فيها كل دول الغرب — أن تجعل هـذا الدين يتعمق فى نفوس الناس أو يجد منهم حماسة ظاهرة ٠

مقـــارنة :

وقد دخل هذا الدين أندونيسيا منذ أربعة قرون وتبعه عـدد من الإندونيسيين يبلغون المليونين تقريباً ، ولكن روما على الرغم من هـذا النجاح الظاهرى لم تستطع أن تدفع شخصاً واحداً من هذين المليونين ليصبح عالماً بالمسيحية ، فلا تزال الكنائس فى إندونيسيا يشرف عليها الأوربيون ، ولا تزال الوجوه الغربية هى التى تقيم الاحتفالات الدينية والصلوات ، ولو قسنا ذلك بالإسلام لظهر العجز واضحاً فى المسيحية ، فإن الإسلام لما كان بطبيعته ديناً عالمياً برز فيه من غير العرب من يفوقون العرب ، وحسبنا أن نذكر هنا أسماء أبى حنيفة والبخارى ومسلم والغزالى وابن خلدون ، ونسأل هل تستطيع المسيحية الغربية أن تقدم لنا من غير الغَرْب من لمع فى المسيحية ممن يضاهى هؤلاء الأعلام ؟ ٠

وفى إندونيسيا برز أعلام من المسلمين فبلغوا الغاية ، ولسنا ندرى مَنْ نذكر منهم أو مَنْ ندع ، وليس دحلان وشكروأمينوتو وأجوز سالم وهاشم أشعرى وحسن باندونج وهمكا ومحمد ناصر وحتى وسوتان منصور وعبد الوهاب وحسبى ومختار يحيى ومحمود يونس وبسطامى عبد الغنى ٠٠ إلا نماذج لمئات أو آلاف من المفكرين المسلمين الممتازين الذين انتجتهم هذه البلاد ٠

تناقض :

وهناك فى « العهد الجديد » تناقض ظاهر يحار العقل فى فهمه ، ومن صور التناقض البارزة ما سبق أن أوردناه فى هذا المبحث الأخير

وهو قول هذه الأناجيل بالحب والتسامح ، حتى وصلت إلى القول بحب من يكرهك والتسامح مع من يعتدى عليك ، ثم قولها بأن عيسى قال إنه لم يجىء ليملأ الأرض سلاماً بل حرباً ، ومن لم يكره أباه وولده فلن يكون تلميذاً للمسيح .

ومن صور التناقض كذلك ما سبق أن أوردناه بشأن ضرورة إهمال الجسد وعدم العناية به لأنه فانٍ (١) ، فذلك يتناقض مع قول بولس موصياً بالجسد : ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، فإنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتُريتم بثمن ، فمجدوا الله فى أجسامكم (٢) .

ومن صور التناقض ما أوردناه آنفاً من الاهتمام بالإيمان وأنه يفعل الأعاجيب ، مع أن يعقوب فى رسالته يشيد بالأعمال ويقلل من شأن الإيمان إذا خلا من الأعمال ، يقول يعقوب : ما المنفعة يا إخوانى إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال ، هل يقدر الإيمان أن يخلصه ؟ .. .. .. إن الجسد بدون روح ميت . وهكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت (٣) .

قد يحاول البعض التحوير والتفسير ليلائم بين هذا التناقض الظاهر ، ولكنها كانت دائماً وستكون دائماً محاولة فاشلة ، أما الإجابة الصحيحة فمرجعها أن هذه الأناجيل ليست من مصدر واحد ، إن مصدرها هم قائلوها ، وهم وحدهم أو الذين حرّفوها مِنْ بَعْدهم هم المسئولون عن هذا التناقض والمسئولون عن سواه مما سبق أن أوردناه .

* * *

---

(١) متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ .
(٢) كورنثوس ٦ : ١٩ — ٢٠ .
(٣) يعقوب ٢ : ١٤ — ٢١ .

وبعد فهذه دراسة عن المسيحية التزمتُ فيها روح الإنصاف وبيان الحقيقة جهد الطاقة ، وقَصَدْتُ أن يكون بحثاً علمياً يخضع للعقل والمنطق لا للعاطفة والشعور ، والمرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ، وقد اتضح لنا من هذه الدراسة أن المسيحية بعدت عن صفائها ، ودخلتها عناصر غريبة عجيبة حتى نقلتها عن طبيعتها وطبيعة الأديان السماوية كلها ، وكان ذلك إيذاناً بإرسال نبى جديد برسالة جديدة، ينقذ العالم مما نزل به من خطوب وويلات ، ويضع أسسا صالحة شاملة لأمور الدين وأمور الدنيا ، وبهذا جاء محمد ، وبهذا جاءت رسالة الإسلام، التى خصصنا لها الحلقة الثالثة من هذه السلسلة « سلسلة مقارنة الأديان » .

قضـــية الألوهيـــة

« نموذج للمقارنة بين قضايا الأديان »

مقدمـــــة :

طرق البحث فى مقارنة الأديان

دراسة مقارنة الأديان لها طريقان :

١ ــ الطريق الأول أن تكون المباحث الــكبرى بالأديان هى عناوين للدراسات ، كأن نكتب كتاباً عن « الله » ، وندْرس به مختلف الاتجاهات عن الإله ، ونكتب كتاباً آخر عن « النبوة » وثالثاً عن « التشريع » ... وهكذا ... وقد سار على ذلك المنوال بعض الباحثين مثــل Max Mueller فى كتابه Essay on Comparative Mythology ومثل الأستاذ العقاد فى كتـــابه « اللـــــه » .

ولكن يؤخذ على هذه الطريقة بعض مآخذ أهمها :

أولا ــ أن مباحث الأديان ليست متشابهة ، فمثلا :

ــ تاريخ اليهود له أثر كبير فى عقيدتهم ، ومن ثمَّ وجب أن يــكون مبحثاً مهما عند دراسة « اليهودية » ، ولكن التاريخ الإسلامى ليس ذا أثر فى العقيدة الإسلامية ، ومن ثمَّ فليس ضرورياً أن يكون ضمن مباحث كتاب عن « الإســـــلام » .

ــ لم يتكلم بوذا عن الإله ، ولكن محمداً تكلم عنه وأفاض .

ــ وفى البوذية موضوع النرفانا ، وفى الجينية موضــوع النجاة ، وليس فى الأديان السماوية ما يماثل هذه المباحث .

ــ فى أديان الهنــد موضــوع التناســخ ، وليست كذلك الأديان الســـــماوية .

— يهتم الإسلام بالتشريع ، ولا تهتم المسيحية به ... وهكذا .

واذا لم تتشابه المباحث كانت المقارنة غـير دقيقة ، وكانت المباحث التى توجد فى دين واحد من الأديان قلقة الموضوع فى هذه الدراسة ، إذ لا توجد مقارنة بين الأديان عنها .

ثانيا — دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو لا تعطى فكرة متكاملة عن كل دين ، إذ سترِدُ مباحث كل دين متناثرة هنا وهناك .

على أن دراسة مقارنة الأديان على هذا النحو ينبغى أن تجىء بعد دراسة الأديان نفسها ، فإن طبيعة المقارنة أن تتأخر عن استيعاب الأصل، ففى الأدب المقارن يلزم أن ندرس الآداب المختلفة ثم نقارن بينها ، وفى الفقه المقارن يلزم أن ندرس التشريعات المختلفة ثم نقارن بينها ، وفى مقارنة الأديان يلزم أن ندرس الأديان ثم نعقد المقارنة بين مباحثها .

ويمكن القول — إنه — سبب هذه المآخذ — لم يسر أحد الى آخر الشوط فى دراسة مقارنة الأديان متبعاً هذا الطريق .

٢ — الطريق الثانى : هو أن يُخَصصَ كتاب لكلِّ دين ، نَدْرس فيه مباحثه العقائدية والتشريعية المختلفة مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها مجال وهذا الطريق هو الذى يسير عليه أغلب الكتاب ، وهو ما اتبعتُه فى سلسلة « مقارنة الأديان » وبه نتحاشى المآخذ التى سبق أن أوردناها على الطـريق الأول .

ونحن ، بعد أن استكملنا دراستنا طبقاً لهذه الطريقة ، نجـدنا فى وضع يجعل من اليسير علينا أن نقتبس بعض ما كتبنـاه عن مبحث من أهم مباحث الأديان وهو « قضية الألوهية » ولنضع ما اقتبسناه بعضـه بجانب بعض حتى تتكون لنا صورة واضحة للاتجاهات حول هذه القضية التى هى أساس الأديان ، وبهذا نكون قد عرضنا الطريقين معاً فى هذه القضية كنموذج لدراسة القضايا الدينية الأخرى دراسة مقارنة ، وقـد

خصصنا « قضية الألوهية » بهذه الدراسة لأنها قمة المشكلات الدينية وعلى هدْى دراستنا فيها يمكن للقارىء أن يكوّن فكرة عن المقارنة بين كثير من قضايا الأديان التى احتوتها هذه السلسلة •

ونقطة أخرى يتحتم عرضها فى هذه المقدمة ، وهى أننا فى دراستنا لمقارنة الأديان اهتممنا بالأديان السماوية لأن صراعاً عنيفاً يدور بينها ، وكان من الطبيعى أن يكون بينها وئام ، فأردنا أن نتعرّف على ألوان الانحرافات التى وَضعَتْ الشقاق مكان الوفاق ، والكراهية مكان الحب، أما اهتمامنا بأديان الهند فيرجع لسببين :

أولهما : أن أديان الهند كانت معيناً تسربت منه ألوان من الأفكار فوجدت طريقها بين معتقدات المسيحيين والمسلمين ، فالشعار المسيحى « تثليث فى وحدة ووحدة فى تثليث » منحدر من الهندوسية ، وكانت البوذية أهم مصدر اقتبست منه المسيحية كثيراً من مبادئها كما ذكرنا من قبل ، وقال بعض المسلمين بالتناسخ ووحدة الوجود تأثرا بثقافة الهند •

والسبب الثانى : أن البوذية تعتبر من أديان الدعوة ، أى من الأديان التى لها دعاة ينشرونها ويحاولون جذب الأتباع لها • ومن هنا تدخل البوذية فى صراع مع الإسلام فى منطقة الشرق الأقصى ولابدّ من التعرف على عناصر هذا الصراع ليمكن تقدير نتائجه •

وفى ترتيب الأديان التى درسناها فى هذه السلسلة ابتدأنا بالأديان السماوية بترتيبها التاريخى ، لأنها الأصل فى الدراسة ، ثم درسنا أديان الهند فى الجزء الرابع ، ولكنا فى عرضنا لقضية الألوهية سنبدأ بأديان الهند ، لأن منها تسربت بعض الأفكار — كما قلنا — لمعتقدات المسيحيين وقلة من المسلمين •

وفى ضوء هذا التقديم نبدأ عرض قضية الألوهية :

قضية الألوهية

الله فى الفكر الهندوسى :

يتجه التفكير الهندوسى فيما يختص بالإله إلى نزعة التعدد غالباً وقد بلغ التعدد عند الهنود مبلغاً كبيراً ، فقد كان عندهم لكل قوة طبيعية إله يعبدونه ويستنصرون به فى الشدائد كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها ، وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم فى ذريتهم وأموالهم من المواشى والغلات والثمار وتنصرهم على أعدائهم .

ويقول غوستاف لوبون : وهيهات أن تجد هندوسيا لا يعبد عدداً من الآلهة ، فالعالم عنده زاخر بها حتى أنه يصلى للنمر الذى يفترس أنعامه . ولجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الأوربى ، وللأوربى نفسه عند الاقتضاء (١) .

ولكن بعض الهنود فى وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً للتوحيد أو اتجاه قريب منه ، فقد كانوا إذا دعوا إلهاً من آلهتهم أو أثنوا عليه أو تقربوا اليه بقربان ، أقبلوا عليه بكل عواطفهم وجل ميولهم حتى يغيب عن أعينهم سائر الالهة والأرباب (٢) ، ويصير إليهم هو الإله لا غير ، فيسمونه بكل اسم حسن ويصفونه بكل صفة كمالية ، ويخاطبونه برب الأرباب وإله الالهة ، تعظيما وإجلالا لا تحقيقا وإيقانا . وإذا عطفوا الى غيره أقاموه مقام الأول وجعلوه رب الأرباب وإله الآلهة ، وهذا التعبير « رب الأرباب أو إله الالهة » كان أولا يدل على العظمة والجلال ، فلما مضت القرون على هذا النحو أصبح هذا التعبير ثابت المعنى ، أى أنهم اعتقدوا فعلا أن فى صف الالهة رئيسا ومرءوسين ، وآمرا ومأمورين ، وأن

---

(١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ٣٦٨ .

(٢) Hinduism, Ed. by Lewis Renan p. 6.

الرئيس والآمر هو وحده رب الأرباب وإله الآلهة ، وهذا وصف ثابت له لا ينتقل الى سواه والكائنات كلها تحت يده وسائر الالهة تحت أمره (١).

التثليث فى الفكر الهندى :

وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود الى رأى تشبهه عقيدة التثليث الحالية عند المسيحيين ، فقد جمعوا الالهة فى إله واحد ، وقالوا إنه هو الذى **أخرج العالم من ذاته** ، وهو الذى **يحفظه** الى أن **يهلكه** ويرده اليه ، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء ، فهو « براهما » من حيث هو مُوجد ، وهو « فشنو » من حيث هو حافظ ، وهو « سيفا » من حيث هو مهلك (٢) . وفتح الكهنةُ الهنودُ البابَ للمسيحيين فيما يسمى : تثليث فى وحدة ووحدة فى تثليث .

عبادة البقر :

ومن بين المعبودات المتعددة عند الهنود حظيت البقرة بأسمى مكانة، وهى من المعبودات الهندية التى لم تضعف قداستها مع كرّ السنين وتوالى القرون ، ففى الويدا حديث عن قداستها والصلاة لها ، ولا تزال البقرة حتى الآن تستمتع بهذه القدسية ، ففى الأدب المنسوب للمهاتما غاندى تفسير لما حظيت به البقرة قديما وحديثا من نفوذ دينى ، وفى عدد نوفمبر (سنة ١٩٦٣) من مجلة Bhavan's Journal التى تصدر فى بومباى بالهند ، عدة مقالات عن عبادة البقر ، وسنقتبس هنا خلاصة هذه المقالات، وأول ما نقتبسه نشيد من « ساما ويدا » (٣) نشرته المجلة فى صفحة مستقلة داخل رسم تخطيطى للبقرة (٤) والترجمة العربية للنشيد هى :

---

(١) محمد عبد السلام الرامبورى . فلسفة الهند القديمة .
(٢) دكتور ابراهيم مدكور ودكتور يوسف كرم : دروس فى تاريخ الفلسفة ص ١٢ .
(٣) قسم من اقسام الويدا وهو كتاب الهندوس المقدس .
(٤) انظر بكتاب اديان الهند الكبرى ص ٣١ من الطبعة الرابعة .

صلاة الى البقرة :

أيتها البقرة المقدسة ، لك التمجيد والدعاء ، فى كل مظهر تظهرين به : أنثى تدرّين اللبن فى الفجر وعند الغسق ، أو عجلا صغيراً ، أو ثورا كبيرا فلنعِد لك مكاناً واسعاً نظيفا يليق بك ، وماء نقيا تشربينه ، لعلك تنعمين هنا بالسعادة •

أما رأى مهاتما غاندى فى عبادة البقرة فقد أثبتّه مفصلا فى المجلة السابقة واقتبسناه فى كتابنا عن « أديان الهند الكبرى » (١) وفيما يلى لمحات منه :

« عندما أرى بقرة لا أجدنى أرى حيوانا ، لأنى أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ••• وإن ملايين الهنود يتجهون لها بالعبادة والإجلال وأنا أعد نفسى واحداً من هؤلاء الملايين » •

الله فى الفكر الجينى :

كانت الجينية نوعاً من المقاومة للهندوسية وثورة على سلطان البراهمة ، ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالآلهة فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد طبقة براهمة أو كهنة يَعُدّون أنفسهم صلة بين الناس والآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون ، ومن هنا سمى هذا الدين دين إلحاد •

غير أن العقل البشرى يميل الى الاعتراف بإله • ويحتاج الإلحاد الى أدلة أكثر من الأدلة التى يحتاجها إثبات الآلهة ، ومن هنا وجد فراغ كبير فى الجينية بسبب عدم اعتراف مهاويرا بإله يُكمِل به صورة الدين الذى دعا اليه ، وكان من نتيجة ذلك أن اعتبروه إلهاً • بل عدوا الجيناوات الأربعة والعشرين آلهة لهم ، ولعلهم بذلك كانوا متأثرين بالفكر الهندى الذين يميل فى الأكثر الى تعدد الآلهة •

---

(١) ص ٣٦ •

الله فى الفكر البوذى :

لم يعن بوذا بالحديث عن الإله ، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً ، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية ، وما وراء الطبيعة ، وما يتحدث عن القضايا الدقيقة فى الكون ، وكان ينهى أصحابه وزواره أن يخوضوا فى هذه الأبحاث ويوبخهم على سؤالهم عن مثل هذه القضايا .

ولكن بوذا اتجه أحياناً الى جانب الإنكار أكثر من اتجاهه الى جانب الإثبات فقد وقف فى إحدى خطبه يسخر ممن يقول بوجود الإله ، وكان مما قاله فى ذلك : إن المشايخ الذين يتكلمون عن الله ، ولم يروه وجهاً لوجه ، كالعاشق الذى يذوب كمداً وهو لا يعرف من هى حبيبته ، أو كالذى يبنى السلم وهو لا يدرى أين يوجد القصر ، أو كالذى يريد أن يعبر نهراً فينادى الشاطىء الآخر ليقدم له (١) .

ومن أجل إهمال الإله أو الاتجاه الى نكرانه أحياناً ، اتجه براهمة عصره الى أن يصموه بوصمة الإلحاد .

والإيمان بإله ، اتجاه نفسى قوى لا يقل عن قوة الغرائز فى البشر ، وإهمال هذا الاتجاه يُحْدِث ارتباكاً واضطراباً ، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون فى الإله ، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه ، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً ، فقد لعبت بهم الأهواء فاتجه بعضهم الى الاعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضا ، بل إن روح الله قد حلت به ، وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التى يعتنقها بعض المسيحيين فى السيد المسيح فيقولون إن شخصيته ثنائية : لاهوتية وناسوتية ، وإن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت . وتسربت هذه العقيدة أيضاً الى « مدعى التشيع » فقالوا بها فيما يتعلق بعلى بن أبى

---

(١) العلامة رادها كرشنن (انظر اديان الهند للمؤلف ص ١٧٢) .

طالب • وعاقبهم رضى الله عنه بما يستحقون ، بل ذهب بعض البوذيين الى القول بأن بوذا كائن لاهوتى هبط الى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور (١) • وقد تسربت هذه العقيدة كذلك لبعض الطوائف المسيحية •

الله عنـــــد اليهـــــود :

لم يستطع بنو إسرائيل فى أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم الى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم ، وعـلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وكثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالى تجدد الحاجة الى أنبياء يجددون الدعوة الى التوحيد ، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال ، فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأحجار ، وأحيـانـاً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضـارة وفـكر قلدهما اليهود • ويقول J. Shotwell (٢) إن اليهود كانوا فى مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحـّلا تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخـوف من الشياطين ، والاعتقاد فى الأرواح ، كانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار ، ويقول Reinach إن اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان الى مكان (٣) ، وقد ظل بنو إسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر •

ولكن بنى إسرائيل كما يقـول ول ديورانت (٤) لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنـع قطيعه من عبادة العجل الذهبى لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمناً طويلا يتخذون هذا الحيـوان القوى آكـل العشب رمزاً لإلهم ، وتقرر التوراة قصة العجل الذى عمله لهم هارون

---

(١) حامد عبد القادر . بوذا الاكبر ص ٩٦ ، ١٣٠ .

(٢) The Religious Revolution of today p. 30.

(٣) History of Religions p. 176.

(٤) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٨ .

فعبدوه بعد أن تأخر موسى فى العودة اليهم ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن (١) ، وقد بقيت عبادة العجل تتجدد فى حياة بنى إسرائيل من حين الى حين ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلىَ ذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل (٢) ، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد (٣) ٠

وهكذا كان اتجاه اليهود ماديا فى الغالب ولم تجد الاتجاهات الروحية عندهم أرضاً خصبة فى أكثر الأوقات ، وقد عبرت يائيل ديان ابنة القائد العسكرى موسى ديان عن ذلك بقولها — على لسان أحد أبطال رواياتها « طوبى للخائفين » — ما يلى :

أيام زمان كنا يهوداً فى روسيا وغيرها ، وكان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ، ونحافظ على ديننا ، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى ، أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم ، هو الأرض ، أنتَ الآن إسرائيلى ، ولست مجرد يهودى إنى قد تركت فى روسيا كل شىء ملابسى ، ومتاعى وأقاربى وإلهى ، وعثرت هنا على رب جديد ، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال (٤) ٠

وحتى عندما ظهرت الوحدانية عند بنى اسرائيل كان معناها أن هناك إلها واحدا لبنى اسرائيل ، ولغير بنى اسرائيل آلهتهم ، فالتعدد كان موجوداً ٠

---

(١) خروج ٣٢ : ١٨ — ٢٦ والقرآن الكريم يقرر أن السامرى هو الذى عمل العجل ٠
(٢) الملوك الاول ٢٢ : ٢٦ — ٢٨ ٠
(٣) ول ديورانت جـ٢ ص ٣٣٩ ٠
(٤) يائيل ديان : طوبى للخائفين (أنظر القصة كاملة بكتاب اليهودية ص ١٧٦ — ١٧٧) ٠

الله فى الفكر المسيحى :

عندما نصل الى الحديث عن الله فى التفكير المسيحى نحتاج الى مزيد من الصبر لنرى التحول الخطير الذى أصاب الفكر المسيحى فى هذه القضية الهامة :

تقرر الأناجيل المسيحية وأعمال الرسل ثلاث قضايا مهمة :

أولاها : أن الله واحد لا شريك له

والثانية : أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول •

والثالثة : أن عيسى رسول لبنى إسرائيل فقط •

وعن القضية الأولى نورد النصوص التالية من هذه الأناجيل :

— يروى متى عن عيسى قوله : أن أباكم واحد الذى فى السموات (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨) •

— ويروى مرقص : قول عيسى : الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه (١٢ : ٣٠ — ٣١) •

— ويروى يوحنا عن عيسى قوله : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم (٢٠ : ١٨) •

وعن القضية الثانية نورد من الأناجيل النصوص التالية :

— جاء فى انجيل متى قوله : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل (٢١ : ١١) •

— وجاء فى لوقا : قد خرج نبى عظيم (٧ : ١٦) •

— ويروى يوحنا : إن هذا هو بالحقيقة **النبى** الآتى الى العالم (٦ : ١٤ و ٧ : ٤٠) •

— ويروى يوحنا كذلك عن عيسى قوله : **وأنا إنسان قد كلمكم بالحق** الذى سمعه من الله (٨ : ٤٠) •

— ويروى لوقا عن عيسى قوله عندما أحس بقرب نهايته بسبب مؤامرات اليهود عليه :

ينبغى أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم ، يا أورشليم ، يا أورشليم ، **يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين** •

وعن القضية الثالثة نورد النصوص التالية :

— جاء فى متى ما نصه : ثم خرج يسوع من هناك ، وانصرف الى نواحى صور وصيدا وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة : ارحمنى يا سيد يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جداً فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : **لم أرسل إلا الى خراف بنى إسرائيل الضالة** (متى ١٥ : ٢١ — ٢٤) •

— وفى متى كذلك أن عيسى عندما حدد الحواريين الاثنى عشر أوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة **للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بنى اسرائيل الضالة** (١٠ : ٥ — ٦) •

وقد خاصم اليهود بطرس لانه دخل على غير اليهود وتكلم معهم • (أعمال الرسل ١١ الفقرة الأولى) •

وورد فى عبارات بطرس قوله لغير اليهود : أنتم تعلمون كيف هو **محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه** (أعمال الرسل ١٠ : ٢٨) •

والقرآن الكريم يقرر هذه الاتجاهات الثلاث فى المسيحية ، قال تعالى :

— وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم (سورة المائدة الآية ٧٢) .

— لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد (سورة المائدة الآية ٧٣) .

— ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (سورة المائدة الآية ٧٥) .

— ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (سورة المائدة الآية ١٧) .

— ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل (سورة آل عمران الآيتان ٤٨ — ٤٩) .

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية الى التثليث ، ونقل عيسى من رسول الى إله ، والقول بأن المسيحية رسالة عامة ، والقول بأن عيسى هو ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وأنه عاد مرة أخرى الى السماء ليجلس على يمين أبيه ، كان هذا كله عملا جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى .

كيف انتقلت المسيحية من حال الى حال ، ومَنْ الذى قام بذلك ؟ ومتى ؟ . هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى :

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية ، هى شخصية شاءول (بولس) ، ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة هى من صنع هذا الرجل ، ويقول Berry (١) إن بولس هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية ، ويقول Wells (٢) إن كثيراً من الثقات

---

(١) رأى Berry فى كتاب « المسيحية » ص ٩١ — ١٠١ .
(٢) Outline of History Vol. 3 p. 695.

العصريين يعدونه المؤسس الحقيقى للمسيحية •

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فرّيسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات) (أعمال الرسل ٢٣ : ٦) وكان عدواً للمسيحيين ، وهو فى ذلك يقول : سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية ، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى ، إذ كنت أوفر غَيْرَةً فى تقليدات آبائى » (غلاطية ١ : ١٣ — ١٤) •

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة ، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة ، فادعى شاءول أن السيد المسيح — بعد نهايته على الأرض — ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه الى دمشق: لماذا تضطهدنى ؟ فخاف شاءول وصرخ : من أنت يا سيد ؟ قال : أنا يسوع الذى تضطهده • قال شاءول : ماذا تريد أن أفعل ؟ قال يسوع : قم وكرّز بالمسيحية •

ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى : « وللوقت جعل يكرّز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله » (أعمال ٩ : ٣ — ٣٠) •

****

ادعاءات بولس :

وهكذا وضع بولس لنفسه سياجاً يحتمى به لأنه كان يدرك أن معارضة قوية ستَهُبُّ فى وجهه وتنكر هذه المعتقدات الجديدة التى جاء بها ، وهى القول بتعدد الآلهة وأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر ، وأنه عاد مرة أخرى الى السماء ليجلس على يمين أبيه ، فأعلن أنه تلقى المعتقدات الجديدة من عيسى مباشرة ، وأنه

الوحيد الذى أؤتمن عليها وفى ذلك يقول : وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح (غلاطية ١ : ١١ — ١٢)، ويقول كذلك : إنه الوحيد الذى أؤتمن على المسيحية الصحيحة (تيطس ١ : ٣) وعلى انجيل مجد الله المبارك (تيموثاوس الأولى ١ : ١١) •

معارضة الحواريين لبولس واستغاثته :

وقد عارضه الحواريون معارضة شديدة ، وهبوا فى وجهه يصارعونه فى عناد طويل مرير ، وحققوا عليه كل نصر ، فانفض الناس من حوله تماماً ، ولم يبق معه إلا قلة قليلة جداً ، وهو يقرر ذلك بقوله الى تلاميذه:

— أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى (تيموثاوس الثانية ١ : ١٥) •

— بادر أن تجىء الى سريعاً لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب الى تسالونيكى ، وكريسكيس الى غلاطية ، وتيطس الى دلماطية ، لوقا وحده معى،اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضاً ، لأنه قاوم أقوالنا جداً فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى ، بل الجميع تركونى (تيموثاوس الثانية ٤ : ٩ — ١٦) •

وراح بولس يهاجم معارضيه مهاجمة قاسية ، ويصفهم بأنهم انحرفوا الى كلام باطل ، وأنهم يميلون للحقد والحسد ، ويتجهون للباطل والرياء ، والعلم الكاذب والمباحثات الغبية السخيفة ••• (تيموثاوس الأولى الإصحاح السادس) •

وقد سار يوحنا فى رسائله فى الطريق الذى فتحه أستاذه بولس ، وأخذ يدافع عن المعتقدات التى ابتكرها فكر بولس ويهاجم المعارضين

بألفاظ قاسية لا تليق بالمفكرين فهو فى أسلوبه وفى فكره يحذو حذو أستاذه ، ومن ذلك قوله فى رسالته الأولى :

كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً ، احذروا الذين يضلونكم (١) •

وفى رسالته الثانية يقول :

قد دخل الى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد ، هذا هو المضل والضد للمسيح ، انظروا الى أنفسكم لئلا يضيع ما عملناه ، كل من تعدى ولم يثْبُتْ فى تعليم المسيح فليس له الله ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الأب والابن جميعاً ، إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام ، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة (٢) •

وفى رسالته الثالثة يقول :

كتبتُ الى الكنيسة ولكن ديوتريفس لا يَقْبَلُنا ومن أجل ذلك اذا جئتُ فسأذكِّره بأعماله التى يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة ، وهو غير مكتف بهذه الأقوال بل لا يَقْبلُ أتباعنا ، ويمنعهم ويطردهم من الكنيسة (٣) •

ولم تَجِدْ أفكار بولس ولا أفكار يوحنا أرضاً خصبة فى آسيا ، كما اقتبسنا من كلامهما آنفاً ، فلما عبرت هذه الأفكار الى أوربا وجدت هناك أرضا خصبة ، فالتثليث ونزول الإله من السماء تضحية بنفسه وتكفيراً عن خطيئة البشر ، وصعوده الى السماء مرة أخرى ، كل هذا كان له

---

(١) يوحنا الاولى ٦ : ١٨ — وما بعدها .
(٢) يوحنا الثانية ٧ — ١٩ .
(٣) يوحنا الثالثة ٩ — ١٠ .

جذور قديمة فى الأساطير الأوربية ، ولم يكن التوحيد عميق الجذور بأوربا •

دينان مسيحيان ومؤتمر نيقية :

ومر الزمن جيلا بعد جيل والمذهبان يعيشان ، ففى آسيا تعيش المسيحية التى جاء بها عيسى ويعتنقها علماء المسيحية ، وغيرهم ، وفى أوربا تعيش آراء بولس ، حتى جاء القرن الرابع الميلادى وجاء عهد قسطنطين (توفى سنة ٣٣٧ م) الذى أصدر سنة ٣١٣ قانون التسامح ، وأراد بعد ذلك أن يضع حداً حول حقيقة المسيح ، فدعا لمؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ وحضره جلة العلماء المسيحيين من كل البقاع ومعهم الأسانيد التى يستندون عليها فى معتقداتهم ، وكان عدد الحاضرين ٢٠٤٨ ، وقد اتضح من أول لحظة أن الجمهرة العظمى من الحاضرين تدين بالمسيحية الحقيقية، وكان معهم من الأناجيل ما يعضد آراءهم ، ولكن حاشية الامبراطور وهى أوربية لم تكن تعرف من المسيحية إلا تلك المعلومات السائدة فى أوربا ، والتى كانت من تراث بولس ، ولذلك رأت هذه الحاشية أن اتجاه الأغلبية من حاضرى المؤتمر يتعارض مع الاتجاه الرسمى ومع معلوماتهم عن المسيحية وعدوا ذلك انحرافا ، وأثاروا الامبراطور ، الذى كان طبعاً كالحاشية فى اعتقاده ، وقد أثاره كذلك « بابا » روما الذى يمثل هذا الاعتقاد من الناحية الدينية فأصدر الإمبراطور بناء على ذلك أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ونفى الكثيرين منهم • وقتل العالم المصرى أريوس الذى كان يتخذ التوحيد عقيدة له ، ثم أمر بعقد المؤتمر من جديد • فحضره الأعضاء الذين يعتنقون مذهب بولس أو الخائفون والمترددون ، وكان عددهم ٣١٨ ، واتخذ هؤلاء قراراً بألوهية المسيح ، وكان هذا أساساً المعتقدات الأخرى التى قال بها بولس ،

واتخذ المؤتمر كذلك قراراً بتدمير كل الوثائق التى تخالف هذا الرأى ، وإنزال العقوبات الشديدة بمن يُخْفِى مثل تلك الوثائق ، وتبدأ لذلك اختفت المسيحية الحقيقية رويداً رويدا واختفت الأناجيل الصحيحة ، وحلت المسيحية البوليسية محل مسيحية عيسى •

وهكذا صنع هؤلاء الإله وأخفوا إنجيل عيسى ، والأناجيل الحقيقية التى أخذت عنه ، ولم يُبْقُوا من المصادر المسيحية إلا ما يؤيد اتجاههم أو ما يقف موقفاً سلبياً ، ولعل ذلك يوضح قصة التفكير المسيحى فى قضية الألوهية •

الله فى الفكر الاسلامى

لا يحتاج الحديث عن « الله فى التفكير الإسلامى » الى جهد كبير ، فعندما يذكر الله فى الإسلام تتجلى الوحدانية الخالصة وصفات الكمال المطلق ، ولذلك فنحن هنا نكتفى بهذا ونحيل من يريد التفصيل الى كتاب « الاسلام » من هذه السلسلة ليرى دراسة واضحة حول وجود الله ووحدانيته وصفاته ، وليتأكد أن محاولات الانحراف فى الاسلام باءت بالفشل •

نتيجة المقارنة

إن المقارنة السابقة توضح حقيقتين مهمتين :

الحقيقة الأولى أن جهود الانحراف اتجهت بكل قواها وشرورها الى الله سبحانه وتعالى ، وحققت — للأسف — فى هذا المجال ما أرادته من نجاح ، والقارىء يرى اتجاه التعدد فى الهندوسية وتأليه البقرة ، ويرى كذلك تأليه جينا ، وتأليه بوذا ، وتأليه العجل ، وتأليه المسيح ، وقد اتجهت المحاولة كذلك للإسلام ، فقال قوم من مدعى التشيع بتأليه

على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح وحاربها على بقسوة (١) ، وحاربها بعده كل المسلمين ، فنجا الإسلام وحده من محاولات التحريف فى عقيدة الألوهية .

الحقيقة الثانية : أن الانحراف بالأديان هو الذى سبب الصراع بين معتنقيها . ولو سارت الأديان سيرها الطبيعى كرسالات من عند الله دون تحريف لالتقت جميعاً فى أهدافها وفى كثير من وسائلها .

إن الدعوة التى ننادى بها هى أن نعود للحق ، وأن نخلّص معتقدات البشرية مما تسرب لها من أخطاء وما قادها للانحراف ، ليحلّ الوفاق محل الخلاف ، والوئام محل الصراع ، ونحن نعتقد أن العقيدة الصحيحة معروفة لكثيرين من قادة الأديان ، ولكن الاحتراف وحب الدنيا وزينتها يزيّنان الباطل ويدفعان لتأييد الانحراف .

فاللهم اهدنا سواء السبيل

---

(١) انظر هذه المسألة فى « اديان الهند الكبرى » ص ٧٢ — ٧٣ .

— —

مراجـــع الكتـــاب

محوظتـــان :

١ ــ المصادر المذكورة هنا هى التى اعتمد عليها هذا الكتاب ووردت فى ذيل صفحاته، أما المصادر الأخرى التى اسهمت فيه بطريق غير مباشر فلم تذكر فى هذه القائمة .

٢ ــ الطريقة التى اتبعت فى تنظيم هذه القائمة بنيت على الترتيب الأبجدى لاسم المؤلف الذى اشتهر به ، مع عدم اعتبار الملحقات (ابن ــ ال) .

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ تفسير البيضاوى .

٣ ــ « الأستاذ الامام محمد عبده .

٤ ــ « أبى السعود .

٥ ــ « المنـــار .

٦ ــ « الفخر الرازى .

٧ ــ « الألوسى .

٨ ــ « فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب .

٩ ــ كتب الأحاديث الستة .

١٠ ــ مجموعة من كتب الفقه الاسلامى .

١١ ــ عدة ابحاث فى مجلات علمية .

١٢ ــ وثائق وسجلات .

١٣ ــ العهد القديم .

١٤ ــ العهد الجديد (الأناجيل الأربعة والرسائل) .

١٥ ــ انجيل برنابا .

١٦ ــ Encyclopacdia of Islam,

١٧ ــ Enyclopacdia Britannica

١٨ ــ Encyclopaedia of Religions and Ethics

١٩ ــ دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى .

٢٠ — دائرة المعارف الفرنسية .

٢١ — مجلة رسالة الحياة المسيحية .

٢٢ — Islamic Review

٢٣ — مجلة الوثائق الكاثوليكية .

٢٤ — المسيحية عقيدة وعمل	(نشر الكنيسة)
٢٥ — Pengadjaran Geredjla Katolik	
٢٦ — ابراهيم سعيد	تفسير بشارة لوقا
٢٧ — دكتور ابراهيم مدكور	تاريخ الفلسفة
٢٨ — Edward Smith	The life of Bnddha
٢٩ — دكتور أحمد شلبى	موسوعة التاريخ الاسلامى (عشرة اجزاء)
٣٠ — » » »	المجتمع الاسلامى
٣١ — » » »	الاسلام
٣٢ — » » »	اليهودية
٣٣ — » » »	أديان الهند الكبرى
٣٤ — Berry	Raligions of the World
٣٥ — Bury	A History of Freedom of thought
٣٦ — الأنبا ناسيليوس	بحث عن الأديرة بكتاب (صوت الحق)
٣٧ — القس بوطر	رسالة الأصول والفروع
٣٨ — بولس الياس	يسوع المسيح
٣٩ — القس بولس شباط	المشرع
٤٠ — Pflederc	The Early Chrisitian Conception of Christ
٤١ — T. W. Doane	Bible Mythology
٤٢ — دكتور توفيق الطويل	الاضطهادالدينى فى المسيحيةوالاسلام
٤٣ — Justin Martyr	The Christianity
٤٤ — جرجس فرج (الخورى)	شرح رسالة القديس بولس

٤٥ — ابن حزم	الفصل فى الملل والأهواء والنحل
٤٦ — حبيب جرجس	كتاب القسطاس البروتستنتى
٤٧ — » »	كتاب الصخرة الأرثوذكسى
٤٨ — دالور شنودة المنفلوطى	المطهر تحت المجهر
٤٩ — رشيد رضا	شبهات النصارى وحجج المسلمين
٥٠ — Roland Binton	The Church From the Bigining up to the 20th Century.
٥١ — رءوف حبيب	كنائس القاهرة القبطية
٥٢ — روبير ديشان	الديانات فى افريقية السوداء
٥٣ — زكى شنودة	تاريخ الاقباط
٥٤ — دكتور سامى جبرة	فى رحاب المعبود توت
٥٥ — السيوطى	الفتاوى
٥٦ — الشابوشتى	الديارات
٥٧ — الشهرستانى	الملل والنحل
٥٨ — Shotwell	The Religious Revolution of today
٥٩ — صابر جبرة	مجد الكتاب المقدس
٦٠ — طه المدور	بين الديانات والحضارات
٦١ — عباس محمود العقاد	عقائد المفكرين فى القرن العشرين
٦٢ — عبد الأحد داود	الانجيل والصليب
٦٣ — دكتور عبد العزيز عبدالمجيد	هداة الانسانية فى الشرق
٦٤ — عبد الوهاب النجار	قصص الأنبياء
٦٥ — Otto Meinardus	Christian Egypt : Faith and life
٦٦ — عمر عنايت	العقائد
٦٧ — غوستاف لوبون	حضارة الهند
٦٨ — كارليل	الأبطال وعبادة البطولة
٦٩ — Khwaja Kamalud-Din	The Sources of Christianity
٧٠ — KOITHEFF	Der Bremer Radikalismus
٧١ — ليون جوتيه	المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية)

٧٢ — محمد ابو زهرة	محاضرات فى النصرانية
٧٣ — دكتور محمد حماد	الفنون والطرز القبطية
٧٤ — محمد طاهر التنير	العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية
٧٥ — الامام محمد عبده	الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية
٧٦ — محمد فؤاد الهاشمى	الاديان فى كفة الميزان
٧٧ — محمود ابو الفضل	وحدة الدين والفلسفة والعلم
٧٨ — محمود شلتوت (الامام)	الفتاوى
٧٩ — ميخائيل فكس	القدس عبر التاريخ
٨٠ — Harnack	What is Christianity
٨١ — Hirth	The Ancient History of China
٨٢ — ابن هشام	سيرة ابن هشام
٨٣ — Wells	A Short History of the world
٨٤ — Wells	Outline of History
٨٥ — وليم باركلى	انجيل مرقس
٨٦ — William Patoun	اديان العالم الكبرى (ترجمة حبيب سعيد) .
٨٧ — ول ديورانت	قصة الحضارة
٨٨ — وهيب عطا (القس)	طبيعة السيد المسيح
٨٩ — يوسف الدبس	من تحفة الجيل
٩٠ — دكتور يوسف بوست	قاموس الكتاب المقدس

COMPARATIVE RELIGIONS

2

CHRISTIANITY

BY
AHMED SHALABY
B.A. (Hon.) Cairo University,
Ph. D. Cambridge University,
Professor of Islamic History and Civilization
Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

Published by:
THE RENAISSANCE BOOKSHOP
9 Adly Street, Cairo.



الدكتور أحمد شلبي

ـقى دراساتة فى الازهر و فى كليــة دار العلوم
ـعة القاهرة) و فى جامعة لندن وجامعة كمبردج.
ر الولايات المتحدة الامريكية كما زار اكثر دول اوروبا
سيا و افريقيا ، ومثل مصر فى عدة مؤتمرات دوليــة.
رس مجموعة من اللغات الاجنبية ويجيد الانجليزية
الاندونيسية.

ـتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصـل الى
رجة استــاذ ورئيس قســم التــاريخ الاســلامى
الحضارة الاسلامية ، وقد حاضر منتدبا و زائرا
ـارا فى جامعة الازهر، و عين شمس واندونيسيا ،
السودان ، وماليـزيا، والمملكة العربيـة السعـودية ،
ـيا و فى معهد الدراسات الاسلاميـة ومعـهد البحوث
الدراسات العربية، و معهد الدراسـات الدبلوماسية .
ؤلفاتة تزيد عن خمسين كتابا و اهم هذه المؤلفات :

- موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشرة مجــلدات.
- موسوعة الحضارة الاسلاميــة فى عشــرة اجزاء.
- مقارنــة الاديــان فى اربعـــة اجــزاء.
- كيـف تكتب بحثــا او رســالة.
- المكتبـة الاسلاميـــة لكل الاعمـــار (١٠٠ جــزء مـن السير و التاريـخ و قصص القرآن للاولاد و الشبــان و السيدات و الرجال.)

ISLAM:BELIEF , LEGISLATION,MORAS
HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

كتب بعض كتبــة بالانجليـزية و الانـدونيسيـة ، و تـرجـمت اكثـر مؤلفاتة الى الاورديـة ، و التركيـة ، والاندونيسيـة و الماليـزية، و الفرنسيـة، و الفارسيـة.